
الصحيح

من سيرة النبي الأعظم

.....

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الخامسة

٢٠٠٥ م - ١٤٢٥ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

..... :

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الخامس

المركز الإسلامي للدراسات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

..... :

الفصل الثاني:

قضايا وأحداث غير عسكرية

عودة بعض المهاجرين من الحبشة:

وبلغ المسلمين في الحبشة نبأ هجرة الرسول «صلى الله عليه وآله» والمسلمين إلى المدينة، فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً، وثمانى نسوة، فمات منهم رجلان في مكة، وحبس سبعة، وانتهى بقيتهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المدينة، وشهد بداراً منهم أربعة وعشرون^(١).

واستمروا يخرجون إليه «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة^(٢) إلى أن قدم جعفر «عليه السلام» مع الجماعة الباقية في سنة سبع، حين فتح خيبر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وهؤلاء الثلاثون المشار إليهم هنا، هم غير الذين عادوا إلى مكة في السنة الخامسة من البعثة، قبل الهجرة إلى المدينة بثمانى سنوات.

وأما السبب في مرورهم على مكة، مع أنها البلد الذي فروا منه، فهو أن طريقهم إلى المدينة كان يمر بقرب مكة، على ما يظهر.

ويدل على ذلك ما ورد عن الصنعاني حيث قال: «فلما قاتل رسول الله

(١) راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩.

(٢) راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩، وزاد المعاد ج ١ ص ٢٥، وج ٢

ص ٢٤ و ٤٥، والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٥٢، وفتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

«صلى الله عليه وآله» كفار قريش، حالت بين مهاجرة أرض الحبشة، وبين القدوم على رسول الله، حتى لقوه بالمدينة زمن الخندق»^(١) انتهى.

لكن قوله: «زمن الخندق» لا يمكن تأكيده ولعله تصحيف خبير، وبالنسبة لهؤلاء الذين نحن بصدد الحديث عنهم، فإن المعروف هو ما ذكرناه، ولعل عدداً منهم قد دخل مكة، سراً أو جهرًا، بهدف الحصول على أموالهم التي كانت في مكة، وتجديد العهد بأهلهم وذويهم، وبالبيت العتيق، ثم يسافرون إلى المدينة.

ولكن قريشاً واجهتهم بالعنف والقسوة، ولم ترع لهم حرمة، ولا غربة، ولا قرابة.

وواضح: أن وصول هذه الثلة من مهاجري الحبشة إلى المدينة، كان بعد عدة أشهر من وصول النبي «صلى الله عليه وآله» إليها، إذ أن وصول نبأ هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم، ثم هجرتهم إلى مكة، وتصفية بعضهم علاقاتهم بها، ثم ما جرى لهم مع قريش، ثم سيرهم إلى المدينة، يحتاج إلى وقت طويل.

حتى إن البعض يذكر: أن ابن مسعود قد كان من جملة الثلاثين العائدين إلى مكة، فالمدينة، فوصل إلى المدينة حين كان النبي «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى بدر^(٢).

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

عائشة في بيت النبي :

وفي السنة الأولى من الهجرة، وقيل في التي بعدها، انتقلت عائشة إلى بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، وذلك في شهر شوال. وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يتزوج بكرة غيرها، ولكننا لا نطمئن إلى صحة ذلك، لأمر:
أولاً: لما تقدم حين الكلام على زواجه «صلى الله عليه وآله» بخديجة حيث قلنا: إن زواج خديجة برجل آخر سوى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر مشكوك فيه إلى حد كبير، ولربما نشير إلى ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى.
ثانياً: سيأتي في هذا الكتاب ما يدل على أن عائشة كانت متزوجة برجل آخر غير رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان لها منه ولد.

مراسم الزفاف:

ولا نعرف لماذا كان زفاف عائشة غير ذي أهمية لدى النبي «صلى الله عليه وآله»؟!
فقد روي: أنه «صلى الله عليه وآله» ما أولم على عائشة بشيء - رغم توقع الناس منه ذلك وقدرته عليه في تلك الفترة - غير أن قدحاً من لبن أهدي إليه من بيت سعد بن عبادة، فشرب النبي «صلى الله عليه وآله» بعضه، وشربت عائشة منه!!^(١). ولا يصح أن يعد ذلك وليمة عرس لها؛ إذ من الطبيعي أن لا يغفل النبي عن عرض الطعام على جلسيه، فضلاً عن زوجته.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢١.

استدلال طريف:

وقد كانت عائشة تستدل على حظوتها عند النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه قد تزوجها في شوال، فتقول:

تزوجني رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شوال، فأني نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت أحظى عنده مني؟^(١) وهو استدلال طريف حقاً، فمتى كان لشوال هذه الفضيلة العظيمة التي تدل على الحظوة؟! أضف إلى ذلك: أن خديجة، وأم سلمة، وسائر نسائه «صلى الله عليه وآله» قد كن أحظى عنده منها، ولذا فقد كانت تحسدهن، وتؤذيهن، وتسيء إليهن كثيراً، حتى أمام رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، وقد تقدم بعض ما يدل على ذلك حين الكلام عن العقد على عائشة قبل الهجرة. وأطرف من ذلك: أننا نجد البعض يحكم باستحباب العقد في شوال^(٢).

ويبدو أن حبههم لعائشة، وتقديرهم لرغباتها، وهي التي كانت الساعد الأيمن للهيئة الحاكمة بعد النبي، والتي حاربت علياً الشوكة الجارحة في أعينهم، الذي لم تكن تقدر أن تذكره بخير أبداً^(٣) - إن ذلك هو الذي دفعهم إلى وضع هذا التشريع - مع أنهم يروون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تزوج بجويرية، وبحفصة في شعبان، وبزينب بنت خزيمة في شهر رمضان،

(١) تاريخ الطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ١١٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٨.

(٢) راجع: نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٣٧.

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ١٣١، ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٢٨، والندير ج ٩ ص ٣٢٤.

.....
:
وبزينب بنت جحش في ذي القعدة كما يقال، فالنبي إذًا، قد ترك هذا المستحب، ولم يفعله إلا بالنسبة لعائشة وحدها، ووحدها فقط!! إن ذلك عجيب حقاً وأي عجيب!!.

فاتحة عهد جديد:

وعلى كل حال، فإن بدخول عائشة إلى بيت النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قد بدأت في هذا البيت، الذي كان مثلاً للهدوء والسكينة، والجلال - حتى عهد قريب - تحولات وتغيرات ذات طابع معين، حينما صار مجالاً لكثير من التناقضات، التي كانت مصدراً لهم النبي «صلى الله عليه وآله» وغمه أحياناً كثيرة، وكانت عائشة هي السبب المباشر والمحرك في القسم الأعظم منها.

ولا نقول ذلك من عند أنفسنا، وإنما نستند في ذلك إلى ما أثبتته التاريخ والحديث المتواتر عنها، بل إنها هي نفسها تصرح: بأنها كانت السبب في كل ما كان يجري في بيته «صلى الله عليه وآله» من مشاحنات وتناقضات كما جاء في بعض المصادر، على ما ذكره لي بعض المحققين.

آية الصلح بين المؤمنين:

ويذكر البعض: من الحوادث التي كانت قبل غزوة بدر^(١): أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» ذهب ليعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي بن سلول؛ فمر «صلى الله عليه

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

.....

وآله» - وهو على حمارة - بمجلس ابن أبي، وفي المجلس أخلاط من المسلمين، والمشركون، واليهود، وفيهم عبد الله بن رواحة؛ فثار غبار من مشي الحمار، فخمر ابن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا.

فنزل إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعاهم إلى الله؛ فقال له ابن أبي: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً؛ فلا تؤذينا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك؛ فمن جاءك فاقصص عليه.

فقال ابن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشانا، فإننا نحب ذلك.

فاستب المسلمون والمشركون، حتى كادوا يتبادرون، فلم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم حتى سكنوا.

ثم دخل على سعد بن عبادة، فحدثه بما جرى، فطلب منه سعد أن يصفح عن ابن أبي؛ لأنهم كانوا على وشك أن يتوجه قبل قدومه «صلى الله عليه وآله»، فلما قدم انصرفوا عن ذلك.

وفي رواية أخرى: إنه «صلى الله عليه وآله» ذهب ومعه المسلمون إلى ابن أبي تألفاً لقومه، فلما أتاه قال له: إليك عني، والله لقد آذاني ريح حمارك.

فقال أحد الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحاً منك، فتعصب لابن أبي رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والنعال؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..﴾^(١).

(١) الآية ٩ من سورة الحجرات، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٣ و ٦٤، والدر المنثور ج ٦ ص ٩٠، عن مسلم، والبخاري، وأحمد، والبيهقي في سننه، وابن مردويه، وابن =

وفي مجمع البيان: أن الذي قال لابن أبي ذلك، هو عبد الله بن رواحة، وأن التضارب كان بين رهط ابن رواحة من الأوس، ورهط ابن أبي من الخزرج، ولكن لا تخلو كلتا الروايتين من الإشكال. فأولاً: إن آية الصلح بين المؤمنين لا يمكن أن تنطبق على الرواية الأولى؛ فإن النزاع فيها كان بين المشركين والمسلمين، وليس بين طائفتين من المؤمنين.

بل لم يظهر من الرواية الثانية كون النزاع كان بين طائفتين من المؤمنين، فإذا جعلنا الروايتين رواية واحدة؛ لتقارب سياقهما ومضمونها، لم يمكن الاطمئنان إلى صحة كون الآية قد نزلت بهذه المناسبة. وثانياً: إن الآية موجودة في سورة الحجرات، وهي قد نزلت بعد سنوات من الهجرة، لأنها نزلت بعد المجادلة والأحزاب، التي نزلت في مناسبة الخندق وغيرهما.

وتقدم قولهم: إن هذه القضية قد حصلت قبل بدر.

هذا كله عدا عن التنافي بين مضمون كل من الروايتين كما هو ظاهر. ولكن ذلك لا يعني أن الرواية مختلفة من الأساس؛ فلربما تكون قد حصلت بعد سنوات من الهجرة، بعد نزول سورة الحجرات، وبعد إظهار ابن أبي للإسلام؛ ويكون النزاع قد حصل بين طائفتين من المؤمنين، وبذلك تكون الرواية الثانية هي الأرجح.

= جرير، وابن المنذر، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٦٠، عن البخاري ج ١ ص ٣٧٠ وج ٣ ص ٨٤٥.

إسلام سلمان المحمدي:

وفي السنة الأولى من الهجرة، ويقال: في جمادى الأولى منها^(١) كان إسلام سلمان المحمدي، المعروف بسلمان الفارسي، حشرنا الله معه وفي زمرته، والذي قال النبي «صلى الله عليه وآله» وغير واحد من الأئمة عنه: سلمان منا أهل البيت^(٢).

وكان سلمان قد هاجر من بلاده في طلب الدين الحق، وتعرض في هجرته تلك إلى المصائب والمصاعب، حتى ابتلي بالرق، وأعتق على يد النبي «صلى الله عليه وآله».

وملخص ذلك - على ما ذكره الصنعاني: أنه كان في بلده راهب، فأخذ عنه بعض التعاليم، وعلم أهله بالأمر فأخرجوا الراهب من البلد، فخرج معه بالسر عن أهله، فجاء الموصل، فوجد أربعين راهباً، وبعد أشهر ذهب مع أحدهم إلى بيت المقدس، ورأى عبادة الراهب واجتهاده، ثم ضاع عنه، فسأل عنه ركباً من الأنصار، فقالوا:

هذا عبد آبق، فأخذوه إلى المدينة، وجعلوه في حائط لهم، وكان الراهب قد أخبره أن نبياً من العرب سيخرج، لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية، وبين كتفيه خاتم النبوة، وأمره باتباعه^(٣).

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥١.

(٢) راجع: قاموس الرجال ج ٤ ترجمة سلمان الفارسي.

(٣) المصنف للصنعاني ج ٨ ص ٤١٨. وتفصيل ما لاقاه سلمان من المتاعب والمصاعب في أسفاره تلك يطلب من كتب الحديث، والتاريخ، والتراجم.

وفي المدينة - وبالذات في قباء كما يقولون - التقى بالنبى «صلى الله عليه وآله»، فقدم إليه رطباً على أنها صدقة، فأبى النبى «صلى الله عليه وآله» أن يأكل منها، وأمر أصحابه فأكلوا، وعدها سلمان واحدة. ثم التقى به في المدينة، فقدم إليه رطباً على أنها هدية، فقبلها وأكل منها، فعدها سلمان ثانية.

ثم التقى به في بقيع الغرقد وهو في تشييع جنازة بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم استدار خلفه، فكشف النبى «صلى الله عليه وآله» عن ظهره، فرأى خاتم النبوة، فانكب عليه يقبله ويبكي، ثم أسلم وأخبره بقصته، وبعد ذلك كاتب سيده، واستمر يعمل من أجل أداء مال الكتابة، وأعانه النبى «صلى الله عليه وآله» على ذلك.

وكان أول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها من المشاهد. وقال ابن عبد البر: إن أول ما شهدته بدر؛ وهو المناسب لمعونة النبى «صلى الله عليه وآله» له، فراجع في سيرة سلمان وفضائله كتب الحديث والتراجم^(١) بالإضافة إلى ما كتبناه عنه في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي».

ملاحظة:

ويلاحظ هنا: أن سلمان لم يسلم بدافع عاطفي، أو مصلحي؛ ولم يسلم أيضاً استجابة لضغوط أو لجو معين، وإنما دخل في الإسلام عن قناعة فكرية خالصة، وبعد أن سعى من أجل الوصول إلى الدين الحق، ولاقى

(١) مثل: قاموس الرجال ج ٤، والإصابة ج ٢ ص ٦٢ والإستيعاب، وغير ذلك.

المصاعب والمتاعب الطويلة في سبيل ذلك، وذلك يؤيد فطرية هذا الدين،
وكونه ينسجم مع أحكام العقل، ومقتضيات الفطرة السليمة، وقد أشرنا
إلى ذلك أيضاً حين الكلام عن إسلام أبي ذر، فليراجع.

بئر رومة في صدقات عثمان:

وقد ذكروا في جملة فضائل عثمان: أنه لما قدم رسول الله «صلى الله عليه
 وآله» المدينة، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، قال: من يشتري بئر
 رومة من خالص ماله؛ فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها
 في الجنة؟.

فاشترها عثمان من صلب ماله، وجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين،
 ثم لما حصر عثمان منعه من الشرب منها حتى شرب ماء البحر.
 وللروايات نصوص مختلفة جداً كما سنرى، وسنشير إلى بعض مصادرها
 فيما يأتي.

ونحن نشك في صحتها، وذلك استناداً إلى ما يلي:
 أولاً: تناقض نصوصها الشديد جداً، حتى إنك لا تجد نصاً إلا ويوجد
 ما ينافيه ويناقضه، ونذكر على سبيل المثال:
 أنهم يروون: أن عثمان قد ناشد الصحابة بقضية بئر رومة، وذلك حين
 الثورة عليه.

فرواية تقول: إنه اطلع عليهم من داره وهو محصور فناشدهم.

وأخرى تقول: إنه ناشدهم في المسجد.

ورواية تقول: إنه اشترى نصفها بمائة بكرة، والنصف الآخر بشيء يسير.

وأخرى تقول: إنه اشتراها بأربعين ألفاً.

وثالثة: بخمس وثلاثين.

ورابعة: إنه اشترى نصفها باثني عشر ألف درهم، والنصف الآخر
بثمانية آلاف.

ورواية تقول: إن هذه البئر كانت ليهودي لا يسقي أحداً منها قطرة إلا
بشمن.

وأخرى: إنها كانت لرجل من مزينة.

وثالثة: لرجل من بني غفار.

ورواية تقول: إنه اشترى البئر.

وأخرى تقول: إنه حفرها.

والجمع بأنه اشتراها، ثم احتاجت إلى الحفر^(١) لا يصح، لأنهم يقولون:
إن عثمان قال ذلك حين المناشدة، والمناشدة كانت واحدة ولم تتكرر.

ورواية تقول: إنها كانت عيناً (أي فيها نبع وسيلان على وجه
الأرض).

وأخرى تقول: كانت بئراً.

ورواية تقول: إنه اشتراها عند مقدم النبي «صلى الله عليه وآله»
والمسلمين المدينة.

وأخرى تقول: إنه اشتراها وهو خليفة.

ورواية تقول: إن النبي طلب منه ذلك.

(١) هذا الجمع ذكره السمهودي في وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٠.

وأخرى تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» ناشد المسلمين من يشترئها منهم.
وثالثة تقول: إن غفاريّاً أبى بيعها للنبي بعينين في الجنة!! فبلغ ذلك
عثمان فاشتراها منه بخمسة وثلاثين ألفاً^(١).
وثمة تناقضات كثيرة أخرى لا مجال لذكرها؛ فمن أراد المزيد فليراجع
وليقرن.

ثانياً: إن ما ورد في الرواية - كما عند النسائي وأحمد والترمذي - من أنه
«صلى الله عليه وآله» قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب، لا يصح بوجه،
فقد كان في المدينة آبار كثيرة عذبة، وقد استمر النبي «صلى الله عليه وآله»
على الاستقاء والشرب منها إلى آخر حياته، ومنها بئر السقيا، وبئر بضاعة،
وبئر جاسوم، وبئر دار أنس التي تفل فيها النبي «صلى الله عليه وآله» فلم
يكن في المدينة بئر أعذب منها^(٢)، وغير ذلك من آبار كثيرة لا مجال

(١) راجع في الروايات وقارن بينها: وفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٦٩٧- ٩٧١،
وسنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٤، ومنتخب كنز العمال ج ٥ ص ١١،
وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨٩ عن الطبراني وابن عساكر، ومسند أحمد ج ١ ص ٧٥
و ٧٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٥، وروي ذلك أيضاً عن البغوي، وابن زبالة
وابن شبة، والترمذي ص ٦٢٧، وابن عبد البر، والحازمي، وابن حبان، وابن
خزيمة.

وراجع: حلية الأولياء ج ١ ص ٥٨، والبخاري هامش الفتح ج ٥ ص ٣٠٥، وفتح
الباري ج ٥ ص ٣٠٥ و ٣٠٦، وسنن البيهقي ج ٦ ص ١٦٧ و ١٦٨، والتراتب
الإدارية ج ٢ ص ٩٥.

(٢) راجع وفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٩٧٢ و ٩٥٦ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٥١.

لذكرها^(١).

ثالثاً: لو صح حديث بئر رومة؛ فلا بد إذاً من الإجابة على التساؤلات في المجالات التالية:

أ- إنه إذا كان عثمان قد قدم من الحبشة جديداً، ولم يكن له مال؛ فمن أين جاء عثمان بالأربعين، أو الخمسة والثلاثين، أو العشرين ألفاً من الدراهم، أو المئة بكرة؟! ومتى وكيف اكتسب هذا المال؟!.

ب- لماذا لا يعين المسلمون في حرب بدر بشيء من تلك المبالغ الهائلة من الدراهم؟ أو بشيء من تلك البكرات التي أخرج منها مئة من صلب ماله، حسبما تنص عليه الرواية؟! مع أن المسلمين كانوا في بدر بأمس الحاجة إلى أقل القليل من ذلك، وكان الاثنان والثلاثة منهم يعتقبون البعير الواحد، ومع أنه لم يكن معهم إلا فرس واحد، ولم يكن معهم إلا ستة أدرع وثمانية سيوف، والباقون يقاتلون بالعصي وجريد النخل، كما سيأتي بيانه مع مصادره.

أم يعقل أن يكون قد بذل كل ما لديه في بئر رومة حتى أصبح صفر اليدين؟!.

أو لماذا لا يطعم المسلمون، ويسد حاجاتهم، ويكفيهم معونة الأنصار؟! ولماذا لا يعين النبي نفسه بشيء من ماله، وقد كان يعاني أشد الصعوبات، ولم يتسع الحال عليه وعليهم إلا بعد سنوات من الهجرة؟!.

ج- وتقول روايات المناشدة: إنهم قد منعه من الشرب منها حتى

(١) راجع: المصدر السابق، فصل آبار المدينة.

اضطر إلى الشرب من ماء البحر، وهذا عجيب حقاً!! فإنه إذا كان يستطيع الحصول على الماء فلماذا لا يشرب من غيرها من العيون العذبة التي كانت في المدينة والتي تعد بالعشرات؟!.

كما أن من كان يمنعه من شرب الماء، فإنه لم يكن ليسمح بدخول أي ماء كان إليه، ومن أي مصدر كان.

ويقولون: إن عماراً أراد أن يدخل إليه روايا ماء؛ فمنعه طلحة^(١) ولم يستطع الحصول على الماء إلا من قبل علي الذي أرسل إليه الماء مع أولاده، وعرضهم للأخطار الجسيمة، كما هو معلوم.

وهل يمكن أن نصدق أنه شرب من ماء البحر حقاً؛ مع أن البحر يبعد مسافة كبيرة جداً عن المدينة، أم أن ذلك كناية عن شربه للمياه غير العذبة والمالحة؟!.

د - وإذا كان عثمان قد بذل هذا المال حقاً، فلماذا لم تنزل فيه ولو آية واحدة تمدح فعله، وتثني عليه؟! وكيف استحق علي أن تنزل فيه آيات حينما تصدق بثلاثة أقراص من شعير، وحينما تصدق بخاتمه، وحينما تصدق بأربعة دراهم، وحين قضية النجوى؟! وهذا عثمان يبذل عشرات الآلاف، ومئة بكرة من الإبل، ولا يذكره الله بشيء، ولا يشير له بكلمة ولا بحرف؟! بل إن الرواية التي تنقل هذه الفضيلة الكبرى عنه نراها متناقضة متهافئة، لا تقوى ولا تثبت أمام النقد العلمي الحر والصريح.

وبعد.. لماذا امتنع - كغيره - عن التصدق بدرهم في آية النجوى، حتى

(١) وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٥.

.....
: نزل القرآن يلوم الصحابة وهو معهم على إشفاقهم: أن يقدموا بين يدي
نجواهم صدقة؟!!!.

بئر أريس:

وأخيراً: فلسنا ندري لماذا اختصت بئر رومة بهذا التعظيم والتبجيل،
دون بئر أريس، مع أنها أيضاً - كما يدعون!! - قد اشتراها عثمان؛ وقد
اشتراها أيضاً من يهودي، وكذلك هو قد تصدق بها!!^(١) بارك الله في آبار
عثمان، وليمت اليهود بغيظهم، فإنهم يملكون الآبار، ويشتريها منهم عثمان،
ويتصدق بها، وينال الأوسمة، ويحصل على الفضائل والكرامات!!.

حقيقة القضية:

وبعد كل ما تقدم، فإن الظاهر: أن الصحيح في القضية هو ما رواه ابن
شبة: «عن عدي بن ثابت، قال: أصاب رجل من مزينة بئراً يقال لها: رومة؛
فذكرت لعثمان بن عفان، وهو خليفة، فابتاعها بثلاثين ألفاً من مال المسلمين،
وتصدق بها عليهم»^(٢).

وقد ضعف السمهودي الرواية بأن في سندها متروكاً، ورواها الزبير
بن بكار في عتيقه، وردها بقوله: وليس هذا بشيء، وثبت عندنا أن عثمان
اشتراها بهاله، وتصدق بها على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٥.

(٢) وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٦٧ عن ابن شبة، وروى ذلك الزبير بن بكار أيضاً.

(٣) المصدر السابق.

ونقول نحن: لقد ثبت عدم صحة تلك الروايات التي أشار إليها الزبير بن بكار بأي وجه، ولا سيما مع تناقضها، ومع ما تقدم من الإيراد عليها ومن وجوه الإشكال فيها، مما لا دافع له.

هذا، عدا عما في أسانيدنا من نقاش كبير وكثير، فوجود المتروك في سند هذه الرواية لا يضر، ما دامت منسجمة مع الواقع التاريخي، ومع الظروف التي كانت قائمة آنذاك.

وما دام لا يمكن أن يصح غيرها، فالظاهر: أنها قد حرفت وحورت ليتمكن الاستفادة منها في إثبات فضيلة لعثمان لا يمكن أن تثبت له بدون هذا التحوير والتزوير.

ولكننا لم نفهم قوله: «ابتاعها بثلاثين ألفاً من مال المسلمين، وتصدق بها عليهم»؛ فإنها إذا كانت من مالهم، فما معنى الصدقة بها عليهم؟ إلا أن يقال: إن عثمان والهيئة الحاكمة كانوا يرون أنهم يملكون بيوت الأموال حقاً، وقد ذكرنا بعض الشواهد والدلائل على نظرهم هذه في مورد آخر، فراجع^(١).

تأبير النخل:

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لما قدم المدينة مر بقوم يؤبرون النخل، أي يلقحونه - أو سمع ضجتهم - فقال: لو لم تفعلوا لصلح، فتركوا

(١) راجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، بحث (أبو ذر إشتراكي أم شيوعي، أم مسلم).

تلقيحه، فخرج شيصاً^(١)، فمر بهم (أو قيل له) فقال: ما لنخلكم؟

قالوا: قلت: كذا وكذا.

قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم، أو قال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه،
فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً
فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل^(٢).

ونحن نشك في صحة ذلك، إذ مضافاً إلى الاختلاف الظاهر في
نصوص الرواية، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة، لا بد أن نسأل:

لماذا يتدخل النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» فيما لا يعنيه، وما ليس
من اختصاصه؟! من اختصاصه؟! من اختصاصه؟! من اختصاصه؟!

ألا يعلم: أن الناس يهتمون بكل كلمة تصدر منه، ويرتبون الأثر
عليها، ويلتزمون بها؟! من اختصاصه؟!

ولماذا يعرض الناس إلى هذا الضرر الجسيم؟! من اختصاصه؟!

ومن هو المسؤول عن هذه الأضرار التي سببتها مشورته تلك؟! من اختصاصه؟!
ثم إنه كيف يقول ذلك لهم، وهو الذي أمر عبد الله بن عمرو بن العاص
بأن يكتب عنه كل ما يسمع؛ فإنه لا يخرج من بين شفثيه إلا الحق؟! من اختصاصه؟!

(١) الشيص هو: رديء التمر، وهو الذي لا يشتد نواه.

(٢) راجع: صحيح مسلم ج ٧ ص ٩٥، وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٢٥، كتاب الرهون
باب ١٥، ومسند أحمد ج ٦ ص ١٢٣ وج ٣ ص ١٥٢، والبرصان والعرجان
ص ٢٥٤، ومشكل الآثار ج ٢ ص ٢٩٤، وكشف الأستار عن مسند البزار ج ١
ص ١١٢، ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٢٣٨ و ١٩٨، وصحيح ابن حبان ط مؤسسة
الرسالة ج ١ ص ٢٠١.

.....

وقد قدمنا الرواية مع مصادرها في الجزء الأول فلتراجع هناك.
وأيضاً: لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعيش في قلب المنطقة
العربية، وقد جاوز الثلاث وخمسين سنة؛ فهل يمكن أن نصدق أنه لم يكن
يعرف تأبير النخل وفائدته، وأن النخل لا ينتج بدونه؟
وكيف لم يسمع طيلة عمره المديد شيئاً عن ذلك، وهو يعيش بينهم
ومعهم؟ أو على الأقل بالقرب منهم؟!
وأخيراً: هل صحيح: أنه ليس على الناس أن يطيعوه في أمور دنياهم؟!
وأنه إنما كان يقول برأيه فيها؟!
وهل صحيح: أن الإسلام يفصل بين الدين والدنيا؟ وأن مصب
اهتماماته هو ما عدا أمور دنياهم؟!
أليس هذا بهتاناً على الإسلام وافتراء عليه؟! ألا يتنافى ذلك مع
القرآن والسنة، ومع الإسلام بمجموعه?!.

الباب الثاني

أعمال تأسيسية في مطلع

الفصل الأول: التاريخ الهجري أولاً
الفصل الثاني: بناء مسجد المدينة
الفصل الثالث: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
الفصل الرابع: أسس العلاقات في المجتمع الجديد

بداية:

فور وصوله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، باشر بالقيام بأعمال تأسيسية، ترتبط بمستقبل الدعوة الإسلامية، وهي كثيرة ومتنوعة، ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

- ١ - صلاة الجمعة.
 - ٢ - تأسيس مسجد قباء، وقد تحدثنا عنها فيما سبق.
 - ٣ - بناء المسجد في المدينة، ولسوف نتحدث عنه في فصل مستقل.
 - ٤ - وضع التاريخ الهجري، وقد خصصنا له فصلاً مستقلاً أيضاً.
 - ٥ - المؤاخاة.
 - ٦ - تحديد نوع ومستقبل العلاقات بين المسلمين، وبينهم وبين غيرهم.
 - ٧ - موادعة اليهود الذين يعيشون في المنطقة.
- وهذه الأشياء الأخيرة أيضاً قد تحدثنا عنها في فصل على حدة ونبدأ بالحديث عن التاريخ الهجري، فنقول:

..... :

الفصل الأول:

التاريخ الهجري أولاً

التاريخ الهجري:

إن ضبط الأحداث، والمعاملات، وغير ذلك من الشؤون لهو من الأمور التي لا بد منها في قيام أية حضارة تريد أن تهيمن على شعب أو أمة، وتقود مسيرتها نحو الأهداف التي تتوخاها.

فكيف إذا كانت هذه الحضارة تحظى بالرعاية الإلهية، وبرضى الباري جل وعلا، وتريد أن تهيمن على مسيرة الإنسانية جمعاء في مختلف الأحوال والشؤون، وعلى مر الأحقاب والقرون؟.

ومن هنا: فإنه يصبح من البديهي أن يكون من جملة المبادرات الأولى لنبي الإسلام هو وضع التاريخ، تماماً كما كان من أولى اهتماماته بناء المسجد كما سنرى إن شاء الله تعالى..

ولكن ما يؤسف له هو أن ثمة يداً تحاول - أو فقل قد حاولت - التعقيم على هذا الحدث الهام، فكان لا بد من بحث هذا الحدث، في الناحية التاريخية، ولسوف يثبت لنا الدليل العلمي بصورة قاطعة أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» هو الذي وضع هذا التاريخ، وأرخ به في أكثر من مرة، وأكثر من مناسبة.

فإلى ما يلي من مطالب لنعرف:

من هو أول من أرخ بالهجرة النبوية؟

فنقول:

يقول المؤرخون: إن أول من أرخ بالهجرة النبوية، هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأكثرهم يذكر: أن اختياره الهجرة مبدأً للتاريخ كان بإشارة علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه^(١).

وبعض منهم يقول: إن المشير عليه بذلك ليس علياً فقط، بل معه بعض الصحابة أيضاً^(٢).

وثالث يروي: إشارة بعض الصحابة على عمر بذلك، ولكنه لا يصرح بإسم المشير^(٣).

(١) راجع: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٦، والكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ٥٢٦، وتاريخ يعقوبي ط صادر ج ٢ ص ١٤٥، والتنبيه والإشراف ص ٢٥٢، ومحاضرة الأوائل ص ٢٨، وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٣، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، وتاريخ الخلفاء ص ١٣٢ و ١٣٦ و ٢٣ و ص ١٣٨ عن البخاري في تاريخه، والبحار ج ٥٨ ص ٣٥٠ - ٣٥١ بعد تصحيح أرقام صفحاته وج ٤٠ ص ٢١٨، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٤٤، عن الطبري ومجاهد في تاريخيهما، والإعلان بالتوبيخ ص ٨٠ و ٨١ وعلي والخلفاء ص ١٣٩ - ١٤١، إحقاق الحق ج ٨ ص ٢٢٠ عن الوسائل للسيوطي ص ١٢٩، ومحاضرة الأوائل ص ٢٨، وسيأتي جانب من المصادر لذلك فيما يأتي.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٤ والوزراء والكتاب ص ٢٠، ومآثر الإنافة ج ٣ ص ٣٣٦.

(٣) صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤١ ومآثر الإنافة ج ٣ ص ٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٠ ط صادر.

وبعض رابع: يسكت عن ذكر الإشارة، ويكتفي بذكر: أنه أول من أرخ بالهجرة^(١).

الحكاية كما يرويها المؤرخون:

ويكون السبب في وضع التاريخ على أنحاء مختلفة، ونختار هنا النمق الذي ذكره ابن كثير، وقد وضعناه بين قوسين، وأشرنا خلاله إلى مصادر بعض التوضيحات، فنقول:

قال ابن كثير: «قال الواقدي: وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة أو سبع عشرة أو ثماني عشرة^(٢) - كتب عمر بن الخطاب التاريخ، وهو أول من كتبه.

قلت: قد ذكرنا سببه في سيرة عمر، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين، يحل عليه في شعبان، فقال: أي شعبان؟ أمن

(١) الإستيعاب هامش الإصابة ج ٢ ص ٤٦٠، والمحاسن والمساوي ج ٢ ص ٦٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ وج ٢ ص ٢٤١، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٤٠ ومآثر الإنافة ج ١ ص ٩٢ وتحفة الناظرين للشرقاوي هامش فتوح الشام ج ٢ ص ٦٢، وصفة الصفوة ج ١ ص ٢٧٦ وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٢، وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٥، والأوائل للعسكري ج ١ ص ٢٢٣، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٧٧، ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٠٥، والأنس الجليل ج ١ ص ١٨٨، والأعلاق النفيسة ص ١٩٩، والبحار ج ٥٨ ص ٣٤٩ و ٣٥٠، وراجع: الإعلان بالتوبيخ ص ٧٩ ونفس الرحمن ص ٤٤.

(٢) الوزراء والكتاب ص ٢٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٧.

هذه السنة، أم التي قبلها، أم التي بعدها؟.

ثم جمع الناس (أي أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله») فقال: ضعوا للناس شيئاً يعرفون به حلول ديونهم، فيقال: إنهم أراد بعضهم (الهرمزان)^(١): أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده، فكرهوا ذلك.

ومنهم من قال (وهم بعض مسلمي اليهود)^(٢): أرخوا بتاريخ الروم، من زمان إسكندر، فكرهوا ذلك لطوله أيضاً.

وقال قائلون: أرخوا من مولد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقال آخرون: من مبعثه، وأشار علي بن أبي طالب «عليه السلام»

وآخرون:

«أن يؤرخ من هجرته إلى المدينة، لظهوره لكل أحد، فإنه أظهر من المولد، والمبعث، فاستحسن عمر ذلك والصحابة، فأمر عمر: أن يؤرخ من

(١) صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن تاريخ أبي الفداء، وقد ذكر: أن عمر قد أرسل إليه فاستشاره، وليراجع أيضاً: البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ بعد تصحيح أرقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٤٥ والأنس الجليل في أخبار القدس والخليل ج ١ ص ١٨٧ والخطط للمقريزي ج ١ ص ٢٨٤ وفيه: أن عمر استدعاه.

(٢) الإعلان بالتوبيخ ص ٨١، والبحار ج ٥٨ ص ٣٥٠ وفي نزهة الجليس ج ١ ص ٢٢ عن تاريخ ابن عساكر: أن النصارى كانوا يؤرخون بتاريخ الإسكندر. أقول: فأين كان التاريخ الميلادي إذا؟ ومتى ظهر؟ الجواب: إنه ظهر في هذه القرون الأخيرة كما سيأتي.

هجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وروي عن سعيد بن المسيب: أنه قال: «جمع عمر الناس فسألهم: من أي يوم يكتب التاريخ؟

فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: من يوم هاجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وترك أرض الشرك، ففعله عمر رضي الله عنه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الأسناد، ولم يخرجاه»^(٢).

(١) راجع جميع ما تقدم في البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٣ و ٧٤ وليراجع أيضاً ج ٣ ص ٣٠٦، وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٥ و ٧٦، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٢ و ٢٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٤، وعلي والخلفاء ص ٢٤٠ عنه ملخصاً، وليراجع أيضاً: الإعلان بالتوبيخ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨١، ومنتخب كنز العمال، هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٦٧، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٠ ط صادر، وكنز العمال ج ١٠ ص ١٩٥ عن المستدرک، وعن البخاري في الأدب، وراجع ص ١٩٣ عن ابن أبي خيثمة، وذكر في البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩ بعد تصحيح أرقام صفحاته، ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١، والطبري ط دار المعارف بمصر ج ٢ ص ٣٨٨، والوزراء والكتاب ص ٢٠، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، وصبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: أن أبا موسى كتب إلى عمر أنه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف نعمل فيها قد قرأنا صكاً محله شعبان فما ندري أي الشعبانين هو: الماضي؟ أو الآتي؟ فجمع الصحابة الخ ما في المتن. وليراجع أيضاً: الأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ٢٢٣، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٠.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤، وتلخيص المستدرک للذهبي هامش الصفحة ذاتها وصححه أيضاً، والإعلان بالتوبيخ ص ٨٠، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، =

وقال اليعقوبي في حوادث سنة ١٦ هـ: «وفيها أرخ الكتب، وأراد أن يكتب التاريخ منذ مولد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: من المبعث، فأشار عليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»: أن يكتبه من الهجرة»^(١). إلى غير ذلك من النصوص، التي تؤكد على أن عمر هو أول من وضع التاريخ الهجري الإسلامي.

الرأي الأمثل:

ولكننا بدورنا نشك كثيراً في صحة هذا القول، ونعتقد أن التاريخ الهجري قد وضع من زمن النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد أرخ به النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة. وما حدث في زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة شهر محرم بدلاً من ربيع الأول كما أشار إليه الصاحب بن عباد^(٢). وقد اختلفوا في ذلك أيضاً، فقال بعضهم: إنهم جعلوا مبدأ السنة

= والطبري ط المعارف ج ٢ ص ٣٩١، وج ٣ ص ١٤٤، وتاريخ عمر بن الخطاب ص ٧٦، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٣، ومنتخب كنز العمال هامش المسند ج ٤ ص ٦٧، وعلي والخلفاء ص ٢٣٩ و ٢٤٠، وكنز العمال ج ١٠ ص ١٩٣ و ١٩٢، وإحقاق الحق ج ٨ ص ٢١٩ عن ابن عساكر، والمقريري في كتاب الخطط والآثار ج ١ ص ٢٨٤، والشماريخ للسيوطي ص ٤ ط ليدن، والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٩، والكامل ج ١ ص ١٠ ط صادر.

(١) تاريخ اليعقوبي ط صادر ج ٢ ص ١٤٥.

(٢) عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١.

الهجرية محرم السنة الأولى، وهو ما ذهب إليه الجمهور، وبعضهم إلى أنهم جعلوا محرم السنة الثانية مبدأً للسنة الهجرية، وألغوا ما قبله، وهو ما حكاه البيهقي، وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي، فراجع^(١).

من المشير بمحرم؟!:

أما من الذي أشار بمحرم بدلاً من ربيع الأول، فقد اختلفت الروايات في ذلك أيضاً فيقال: إن ذلك كان بإشارة عثمان بن عفان^(٢).
وقيل: بل ذلك هو رأي عمر نفسه^(٣).
وبعضهم قال: إن عبد الرحمن بن عوف قد أشار بشهر رجب، فأشار علي «عليه السلام» في مقابل ذلك بشهر محرم، فقبل منه^(٤).
ويقول آخرون: إن عمر ابتداءً من المحرم، بعد إشارة علي «عليه السلام» وعثمان بذلك^(٥).

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٤.

(٢) نزهة المجلس ج ١ ص ٢١، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، والإعلان بالتوبيخ ص ٨٠، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٦٧، والشماريخ ص ١٠ ط سنة ١٩٧١، وكنز العمال ج ١٧ ص ١٤٥ عن ابن عساكر ج ١٠ ص ١٩٣ عن أبي خيثمة في تاريخه.

(٣) الإعلان بالتوبيخ ص ٧٩، وليراجع الوزراء والكتاب ص ٢٠، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، ومآثر الانافة ج ٣ ص ٣٣٧.

(٤) الإعلان بالتوبيخ ص ٨١ ط القاهرة. وقال ص ٨٢: إن الديلمي في الفردوس، وولده قد روي ذلك عن علي، وإحقاق الحق ج ٨ ص ٢٢٠ عن الإعلان.

(٥) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

وفريق آخر يقول: فاستفدنا من مجموع هذه الآثار: أن الذي أشار
بالمحرم عمر، وعثمان، وعلي «عليه السلام»^(١).
ويفهم من كلام العسكري: أن عمر هو الذي ارتأى جعل محرم أول
السنة، لتكون الأشهر الحرم في سنة واحدة^(٢).
ولكننا نستبعد كثيراً: أن يكون علي «عليه السلام» قد أشار بترك ربيع
الأول، والأخذ بشهر محرم، الذي كان أول السنة عند العرب^(٣) بل نكاد
نجزم بخلافه، وأنه «عليه السلام» كان مصراً على شهر ربيع الأول مدة
حياته صلوات الله وسلامه عليه.
ولم يكن ذلك رأيه وحده، بل كان رأي جمع كبير من المسلمين الأبرار،
والصحابة الأخيار، ونستند في ذلك إلى النقاط التالية، فإنها تدل بمجموعها على
ذلك:

١ - قد تقدم أنه «عليه السلام» قد أشار عليهم بأن يكتبوا التاريخ من
«يوم هاجر»، أو من «يوم ترك النبي «صلى الله عليه وآله» أرض الشرك» كما
هو صريح رواية ابن المسيب المتقدمة، وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول
كما هو معلوم.

٢ - لقد جاء فيما كتبه علي «عليه السلام» على عهد أهل نجران العبارة

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٨٠، وإرشاد الساري ج ٦ ص ٢٣٤، وفتح

الباري ج ٧ ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) الأوائل ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧، والبحار ج ٥٨.

التالية: «وكتب عبد الله^(١) بن أبي رافع، لعشر خلون من جمادى الآخرة، سنة سبع وثلاثين، منذ ولج رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة^(٢)، وإنما ولجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شهر ربيع الأول كما هو واضح، هذا بالنسبة لعلي «عليه السلام».

وأما بالنسبة لسائر الصحابة، فنذكر:

١ - أن مالك بن أنس على ما حكاه السهيلي، وغيره، يقول: «أول السنة الإسلامية ربيع الأول، لأنه الشهر الذي هاجر فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

٢ - ونقل عن الأصمعي قوله: إنهم «إنما أرحوا من ربيع الأول شهر الهجرة»^(٤) وكذا عن الزهري.

٣ - وقال الجهشيارى: «روي في خبر شاذ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما ورد المدينة مهاجراً من مكة يوم الإثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة من حين نبئ، أمر بالتاريخ»^(٥). وسيأتي قوله «صلى الله عليه وآله»: يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري، وثمة روايات أخرى قريبة من هذا المضمون تدل على أن رأس السنة الهجرية قد كان شهر ربيع الأول، لأن الحسين إنما قتل سنة إحدى

(١) الظاهر أنه: عبيد الله.

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٨١، وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٨٢ رقم ٥٣ عنه.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧، وأشار إليه أيضاً في ج ٤ ص ٩٤.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧، وأشار إليه أيضاً في ج ٤ ص ٩٤.

(٥) الوزراء والكتاب ص ٢٠.

.....
وستين على تقدير كون أول السنة هو محرم، وهو في أواخر سنة ستين على تقدير كون أول السنة هو ربيع الأول.

٤ - وسيأتي أيضاً: أن الصحاح بن عباد وغيره يقولون: إن أول السنة كان ربيع الأول، ثم رد إلى محرم.

٥ - عن سهل بن سعد قال: أخطأ الناس في العدد، ما عدوا من مبعثه، ولا من وفاته، إنما عدوا من مقدمه المدينة^(١).

٦ - وكان الصحابة - وتبعهم المؤرخون كما سيأتي - يعدون بالأشهر من مهاجره «صلى الله عليه وآله» الذي هو شهر ربيع الأول، إلى أواسط السنة الخامسة للهجرة.

فما تقدم يدل على أن علياً «عليه السلام» ليس فقط لم يشر على عمر بشهر محرم، بل كان من المصرين على أن يبقى أول السنة هو شهر ربيع الأول، الذي خرج النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة، أو من الغار، أو ولج المدينة في أول يوم منه، شأنه صلوات الله وسلامه عليه شأن كثيرين ممن لم يرضوا بمثل هذا التغيير، لكنهم غلبوا على أمرهم.

ولا يفوتنا أخيراً التنبيه: على أن جعل علي «عليه السلام» اليوم الذي ولج فيه النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة مبدأً للتاريخ، ربما يؤيد قول من قال: إنه «صلى الله عليه وآله» دخلها في أول يوم من ربيع الأول. وسيأتي بعض الكلام أيضاً في ذلك، وإن لم يكن هو محط نظرنا في هذا البحث.

(١) الخطط للمقريزي ج ١ ص ١٨٤.

فإن ما يهمننا هنا: هو البحث عن أول من أرخ بالسنة الهجرية، وقد قلنا: إننا نعتقد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أول من أرخ بالهجرة.

الموافقون على هذا الرأي:

وإننا وإن كنا لا نرى كثيرين يوافقوننا على هذا الرأي، ونرى بعضهم يتردد في إصدار حكم جازم في ذلك، وبعضهم ربما يظهر منه الميل إلى الرأي الشائع، إلا أن مرد ذلك كله إلى عدم اطلاعهم على النصوص الكافية للجزم بالأمر، وتكوين قناعة تقاوم ما يروونه قد اشتهر وذاع على السنة الرواة والمؤرخين.

ومهما يكن من أمر، فنذكر ممن وافقنا على ما نذهب إليه: السيد عباس المكي في نزهة الجليس، كما سيأتي، ونقله السيوطي عن ابن القماح، عن ابن الصلاح، عن أبي مجمش الزيايدي، كما سيأتي أيضاً، أما صاحب المواهب فقد قال: «وأمر «صلى الله عليه وآله» بالتاريخ، وكتب من حين الهجرة.

قال الزرقاني: رواه الحاكم في الإكلیل عن الزهري مفصلاً، والمشهور خلافه، وأن ذلك في زمان عمر، كما قال الحافظ»^(١).

ونقل ذلك عن الأصمعي وغيره أيضاً كما سيأتي.

وقال الصاحب بن عباد: «ودخل المدينة يوم الإثنين لاثني عشرة خلت من ربيع الأول، وكان التاريخ من ذلك، ثم رد إلى المحرم»^(٢).

(١) التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٨١، وليراجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧.

(٢) عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١.

وقال ابن عساكر: «وهذا أصوب» ثم أيده السيوطي ببعض ما يأتي^(١).
وقال السيد علي خان، بعد ذكره عهد النبي «صلى الله عليه وآله»
لسلمان الفارسي، الآتي:
يستفاد من هذا العهد: أن التاريخ كان من زمن النبي «صلى الله عليه
وآله»، وهو خلاف المشهور من أن التاريخ بالهجرة إنما وضعه عمر بن
الخطاب في أيام خلافته^(٢).
وقال القسطلاني: «وأمر «صلى الله عليه وآله» بالتاريخ فكتب من حين
الهجرة، وقيل إن عمر أول من أرخ وجعله من المحرم»^(٣).
وقال مغلطاي: «وأمر عليه الصلاة والسلام بالتاريخ، فكتب من حين
الهجرة.
قال ابن الجزار: ويعرف بعام الأذن، وقيل إن عمر «رض» أول من
أرخ وجعله من المحرم»^(٤).
هذا وقد سميت كل سنة من السنين العشر باسم خاص، والعام الأول
أطلق عليه: عام الأذن^(٥) فراجع.
قال ابن شهر آشوب: «قال الطبري ومجاهد في تاريخيهما: جمع عمر بن
الخطاب الناس يسألهم من أي يوم نكتب؟

(١) الشارح في علم التاريخ للسيوطي ج ١٠ ط سنة ١٩٧١.

(٢) الدرجات الرفيعة ص ٢٠٧.

(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧.

(٤) سيرة مغلطاي ص ٣٥-٣٦.

(٥) نفس الرحمن ص ٤٤، وراجع: الإعلان بالتوبيخ ص ٨٢.

فقال علي «عليه السلام»: من يوم هاجر رسول الله ونزل المدينة، و
(ترك ظ) أرض أهل الشرك.

فكانه أشار: أن لا تبدعوا بدعة، وتؤرخوا كما كانوا يكتبون في زمان
رسول الله؛ لأنه قدم النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة في شهر ربيع الأول
أمر بالتاريخ، فكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت له
سنة، ذكره التاريخي عن ابن شهاب»^(١).

كما أن المجلسي «رحمه الله» قد قال بهذا القول، ورأى: «أن جعل مبدأ
التاريخ من الهجرة مأخوذ من جبرائيل «عليه السلام» ومستند إلى الوحي
السماوي، ومنسوب إلى الخبر النبوي»^(٢).

كلام السهيلي:

أما السهيلي: فهو يصر على أن التاريخ الهجري قد نزل به القرآن،
ويقول ما ملخصه:

إن اتفاق الصحابة على جعل الهجرة مبدأ للتاريخ، إن كان مستنداً إلى
استفادتهم ذلك من القرآن، فنعم الاستفادة هي، وذلك هو الظن بهم، وإن
كان اجتهاداً ورأياً منهم، فهو أيضاً نعم الاجتهاد والرأي، أشار القرآن إلى
صحته من قبل أن يفعلوا.

فإن قوله تعالى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ

(١) المناقب ج ٢ ص ١٤٤، وراجع: البحار ج ٤٠ ص ٢١٨، وراجع: علي والخلفاء
ص ٢٤١.

(٢) راجع: البحار (ط مؤسسة الوفاء) ج ٥٥ ص ٣٥١.

أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ..»^(١).

قد علم: أنه ليس المقصود منه: أول الأيام كلها؛ كما أنه لا يوجد لفظ ظاهر، أضيف إليه لفظ: يوم، فتعين إضافته إلى مضمر، ولا يعقل قول القائل: فعلته أول يوم، إلا بالإضافة إلى عام، أو شهر، أو تاريخ معلوم. ولا قرينة هنا، لا حالية ولا مقالية، تدل إلا على تقدير: «من أول يوم حلول النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة»، وهو أول يوم من التاريخ. وقول بعض النحاة: لا بد من تقدير: «من تأسيس أول يوم»، لأن (من) لا تدخل على الزمان، لا يصح، لأنه حتى على هذا لا بد من تقدير الزمان أيضاً، فيقال: «من وقت تأسيس»، فإضمار كلمة تأسيس لا يفيد شيئاً، هذا بالإضافة إلى أن كلمة (من) تدخل على الزمان، وعلى غيره، قال تعالى: {مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}. انتهى كلام السهيلي ملخصاً^(٢).

وقال الكتاني ما ملخصه: وقد عقب الحافظ في فتح الباري على كلام السهيلي هذا بقوله: كذا قال، والمتبادر أن معنى قوله: من أول يوم، أي دخل النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه المدينة^(٣).

لكن ابن منير يرى: أن كلام السهيلي هذا تكلف وتعسف، وخروج عن تقدير الأقدمين الذين قدروه: «من تأسيس أول يوم» أي من أول يوم

(١) الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

(٢) الروض الأنف ج ٢ ص ٢٤٦ ط سنة ١٩٧٢، وإرشاد الساري ج ٦ ص ٢٣٤ عنه، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ عنه أيضاً، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨، وأشار إليه في البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧.

(٣) ليراجع فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩.

وقع فيه التأسيس، وهذا ما تقتضيه العربية، وتشهد له القواعد.
قال الكتاني: قلت: كلام السهيلي ظاهر المأخذ، فتأمله بإنصاف ترى أنه
الحق، ولذا اقتصر عليه معجباً به شهاب الدين الخفاجي، في عناية القاضي،
وكفاية القاضي، إلى آخر كلامه^(١).

وقال ياقوت الحموي: «إن قوله من أول يوم يقتضي مسجد قباء، لأن
تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله «صلى الله عليه وآله» دار
هجرته، وهو أول التاريخ للهجرة المباركة، ولعلم الله تعالى بأن ذلك اليوم
سيكون أول يوم من التاريخ سماه أول يوم أرخ فيه، في قول بعض
الفضلاء.

وقد قال بعضهم: إن ههنا حذف مضاف، تقديره: تأسيس أول يوم،
والأول أحسن^(٢).

هذا، ويلاحظ: أنه نقل عن ابن عباس في تفسير الآية المذكورة نفس ما
تقدم عن السهيلي فراجع^(٣).

وإذا صح كلام هؤلاء، فمن المناسب أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله»
نفسه قبل كل أحد إلى العمل بمقتضى الآية، وهو ما حصل فعلاً، كما سنرى.
وإذا قيل: ما ذكره هؤلاء - السهيلي وغيره - بعيد في بادئ الرأي.
فإننا نقول: هو على الأقل من الاحتمالات في معنى الآية الشريفة، وإن لم

(١) التراتيب الإدارية المسمى ب: نظام الحكومة النبوية ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ١٢٤.

(٣) تنوير المقباس هامش الدر المنثور ج ٢ ص ٢٢٤.

يكن متعيناً، ونحن إنما ذكرناه استثناساً به وتأيداً، لا لنستدل به، ونستند إليه.

ما نستند إليه:

أما ما نستند إليه في اعتقادنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو أول من أرخ بالهجرة، فهو الأمور التالية:

١ - ما روي عن الزهري: من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قدم المدينة مهاجراً أمر بالتاريخ، فكتب في ربيع الأول^(١).

وفي رواية أخرى عن الزهري قال: التاريخ من يوم قدم النبي «صلى الله عليه وآله» مهاجراً^(٢).

قال القلقشندي: «وعلى هذا يكون ابتداء التاريخ عام الهجرة»^(٣)

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٨، وإرشاد الساري ج ٦ ص ٢٣٣، والتنبيه والإشراف ص ٢٥٢، وتاريخ الطبري ط دار المعارف ج ٢ ص ٣٨٨، ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١، ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٤٢، والبحار ج ٤٠ ص ٢١٨ عنه، وعلي والخلفاء ص ٢٤١ عن البحار، وصبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤٠، والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٨٠، وحكاية الأخيران عن النحاس في صناعة الكتاب، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨، والشماريخ في علم التاريخ ص ١٠ ط سنة ١٩٧١ عن ابن عساكر عن يعقوب بن سفيان، ووفاء الوفاء للسمهودي ج ١ ص ٢٤٨، والمواهب والزرقاني وغيرهم حكوه عن الحاكم في الأكليل مفصلاً، والكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٠ ط صادر، وفي المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧: ذكر ذلك من دون أن ينسبه إلى الزهري وراجع الإعلان بالتوبيخ ص ٧٨.

(٢) الشماريخ في علم التاريخ ص ١٠.

(٣) صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤٠.

وتقدمت وستأتي كلمات غيره في ذلك.

ولكن البعض قد وصف هذا الحديث بأنه: خبر معضل، والمشهور خلافه^(١)، ولعله هو الذي وصفه الجهشياري بأنه خبر شاذ^(٢)، ويقرب منه كلام غيره^(٣).

أما المسعودي فقد أورد عليه: بأنه خبر مجتنب من حيث الآحاد، ومرسل من عند من لا يرى قبول المراسيل، وإن ما حكاه أولاً من أن عمر هو الذي أرخ بالهجرة، بإشارة علي «عليه السلام» هو المتفق عليه، إذ كان ليس في هذا الخبر وقت معلوم أرخ به، ونقل كيفية ذلك^(٤).

لكن إيراد المسعودي وغيره لا يرد على خبر الزهري، لأن إرساله - لو سلم - وكونه خبر واحد لا يصح اجتنابه، بل لا بد من الأخذ به، حتى ممن لا يرى قبول المراسيل، وذلك لوجود روايات وأدلة أخرى في المقام تدل على ذلك، كما سنرى^(٥).

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٢٠٨، وإرشاد الساري ج ٦ ص ٢٣٣ عنه، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

(٢) الوزراء والكتاب ص ٢٥.

(٣) الإعلان بالتوبيخ ص ٧٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨.

(٤) التنبيه والإشراف ص ٢٥٢.

(٥) وللزهري رواية أخرى تدل على أن التاريخ كان من زمن النبي «صلى الله عليه وآله» ففي تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢١: أن الزهري قال: (إن قريشاً كانوا يعدون بين الفيل والفجار أربعين سنة، وكانوا يعدون بين الفجار وبين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين، وبين وفاته وبين بنيان الكعبة تسع سنين، وبينهما =

٢ - ما رواه الحاكم وصححه، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة، وفيها ولد عبد الله بن الزبير^(١).

٣ - قال السخاوي: «وأما أول من أرخ التاريخ، فاختلف فيه، فروى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أنس، قال: كان التاريخ من مقدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة، وكذا قال الأصمعي: إنما أرخوا من ربيع

= وبين أن خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة خمس عشرة سنة، منها خمس سنين قبل أن يوحى إليه ثم كان العدد (يعني: بعد التاريخ) فيظهر من هذه العبارة الأخيرة: أنهم أعرضوا عن السابق وبدأوا يؤرخون بالهجرة، لكن يبقى في الرواية إشكال، وهو أن المعروف: هو أن بين الفيل والفجار عشرين سنة لا أربعين كما صرح به الطبري ج ٢، والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٦، وابن الأثير والمسعودي، لكن قول الزهري: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة، كما نقله عنه في البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦٢، يدل على أن الزهري قد تفرد بالقول بأن بين الفجار والفيل أربعين سنة مخالفاً بذلك المعروف والمشهور، لكن كل ذلك لا يضر في دلالة كلامه على ما نقول كما لا يخفى.

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٣ و ١٤ وصححه على شرط مسلم وتلخيص المستدرک للذهبي هامش نفس الصفحة، ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٦ عن الطبراني في الكبير، والإعلان بالتوبيخ ص ٨٠، وفي ص ٨١ رواية أخرى عنه تشير إلى ذلك أيضاً، والطبري ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٠ بسندين، وج ٣ ص ١٤٤، والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٩، والشاهيند ص ١٠ عن البخاري في التاريخ الصغير، والخطط للمقرئ ج ١ ص ٢٨٤.

الأول شهر الهجرة»^(١)، ثم ذكر رواية الزهري المتقدمة.
وذلك يدل على أن واضع التاريخ ليس هو عمر؛ لأن عمر قد أرخ من
المحرم كما تقدم.

ثم أورد السخاوي على ذلك بمخالفته للصحيح والمشهور: من أن
الأمر به كان في زمن عمر، وأن أول السنة ليس شهر ربيع الأول، وإنما شهر
محرم.

ولكن إيراده غير وارد، لأن مجرد كون ذلك خلاف المحفوظ والمشهور
لا يوجب فساده، بل لا بد من الأخذ به، والعدول عن المحفوظ والمشهور،
حين يقوم الدليل القاطع على خلافه.
ولسوف نرى: أن لدينا بالإضافة إلى ما ذكرنا ما يزيل أي شك، أو
ريب في ذلك.

٤ - إن المؤرخين يقولون: إن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، قد
هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، ويرى الزهري وغيره: أنه وصلها في
أول يوم منه، وجزم ابن إسحاق والكلبي بأنه إنما خرج من مكة في اليوم
الأول منه.

وبعضهم يرى: أنه خرج من الغار في أوله^(٢).
ويمكن تأييد دخوله للمدينة في أول ربيع الأول بما تقدم من كتابة علي

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٧٨.

(٢) راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٥، والإستيعاب هامش الإصابة ج ١
ص ٢٩، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٤٥، وكذلك لا بأس بمراجعة دلائل النبوة
ج ٢ ص ٢٢٦، والمواهب ج ١ ص ٦٧.

«عليه السلام» في كتابه: «منذ ولج رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة»، ولكن هناك ما يؤيد الرأي الآخر أيضاً، وهو إشارته «عليه السلام» بأن يجعل مبدأ التاريخ: منذ ترك الرسول «صلى الله عليه وآله» أرض الشرك أو منذ هاجر، إلا أن يدعى الإجمال في هذه الفقرة، لأنهم كانوا في صدد تعيين السنة التي يبدأون بها، فلا تصادم ظهور الفقرة الأولى فيما قلناه.

المهم في الأمر هنا: أن الهجرة كانت في أول ربيع الأول، فإذا أضفنا إلى ذلك ما تقدم عن مالك، والأصمعي، وكذلك ما رواه الزهري واستظهرناه من علي «عليه السلام»: من أن أول السنة الإسلامية كان ربيع الأول؛ فإننا سوف نطمئن إلى أن التاريخ كان قد وضع قبل زمان عمر، الذي جعل أول السنة شهر محرم، بدلاً من ربيع الأول.

فهذا التغيير من عمر يدل على أنه ليس هو أول من وضع التاريخ الهجري.

ويؤيد ذلك: أن بعض الصحابة كانوا يعدون بالأشهر من مهاجره «صلى الله عليه وآله» الذي هو شهر ربيع الأول إلى أواسط السنة الخامسة. فأبو سعيد الخدري يقول: إن فرض رمضان، كان بعد ما صرفت القبلة في شعبان بشهر على رأس ثمانية عشر شهراً^(١).

ويتحدث عبد الله بن أنيس عن سريره إلى سفيان بن خالد، فيقول: «خرجت من المدينة يوم الإثنين، لخمس خلون من المحرم، على رأس أربعة

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٨.

وخمسين شهراً^(١).

ومحمد بن مسلمة أيضاً يقول عن غزوة القرطاء: «خرجت في عشر ليال خلون من المحرم، فغبت تسع عشرة، وقدمت لليلة بقيت من المحرم، على رأس خمسة وخمسين شهراً»^(٢).

وبعد هذا يبدأ العد بالسنين، كما يظهر من قول سلمة بن الأكوع، وخالد بن الوليد، وغيرهما^(٣).

لقد كانت تلك هي طريقة الصحابة، وعلى ذلك جرى ديدنهم، وتبعهم المؤرخون على ذلك أيضاً، فأرخوا بالأشهر إلى أواسط السنة الخامسة، بل إلى آخرها، ومنها يبدأون بذكر السنين^(٤).

وذلك يدل: على أن التاريخ كان قد وضع من أول سني الهجرة، وإلا فلا معنى لأن يسأل صحابي عن واقعة حدثت له في سنة خمس، فيعدل عن ذكر السنة، ويشرع في إجراء حساب، ويقوم بعملية عد تحتاج إلى تفكير وتأمل، وبعد مدة من التأمل والتفكير يعطى الجواب!!

إلا أن يكون ذلك محفوظاً لديه، وجرى ديدنه وطريقته عليه مدة من

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٣١ - ٥٣٤ على الترتيب.

(٢) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٣١ - ٥٣٤ على الترتيب.

(٣) راجع: مغازي الواقدي ج ٢ ص ٥٣٧، وصفة الصفوة ج ١ ص ٦٥٢.

(٤) راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ في غزواته «صلى الله عليه وآله» لا سيما ص ٥٦ منه في غزوة بواط، ومغازي الواقدي ص ٩ و ١١ و ٣٦٣، والوفاء بأخبار المصطفى ج ٢ ص ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٦١، وتاريخ الخميس وغير ذلك.

الزمان، حتى انغرس في ذهنه، وحفظه ووعاه.

كما أن ذلك يعبر عن مدى اهتمام الصحابة في المحافظة على جعل ربيع الأول مبدءاً للتاريخ، وإن كانوا قد غلبوا على ذلك فيما بعد.

٥ - إن بين أيدينا نصاً لعهد النبي «صلى الله عليه وآله» لسلمان الفارسي مؤرخاً بسنة تسع للهجرة.

قال أبو نعيم: عن «الحسن بن إبراهيم بن إسحاق البرجي المستملي، وأخبرني عنه محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، قال: سمعته يقول: سمعت أبا علي الحسين بن محمد بن عمرو الوثابي يقول: رأيت هذا السجل بشيراز، بيد سبط لغسان بن زاذان بن شاذويه بن ماه بنداذ، أخي سلمان.

وهذا العهد بخط علي بن أبي طالب «عليه السلام»، مختوم بخاتم النبي «صلى الله عليه وآله»، فنسخ منه ما صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله، سأله سلمان، وصية بأخيه ماه بنداذ، وأهل بيته، وعقبه.

ثم ساق أبو نعيم الكتاب إلى أن قال في آخره: وكتب علي بن أبي طالب «عليه السلام»، بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجب، سنة تسع من الهجرة، وحضر أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، و عبد الرحمن، وسعد، وسعيد، وسلمان، وأبو ذر، وعمار، وعيينة، وصهيب، وبلال، والمقداد، وجماعة آخرون من المؤمنين.

وذكر أيضاً أبو محمد بن حيان، عن بعض من عني بهذا الشأن: «أن رهطاً من ولد أخي سلمان بشيراز، زعيمهم رجل يقال له: غسان بن زاذان،

معهم هذا الكتاب، بخط علي بن أبي طالب، بيد غسان، مكتوب في أديم أبيض، مختوم بخاتم النبي «صلى الله عليه وآله» وخاتم أبي بكر وعلي «رضي الله عنهما»، على هذا العهد حرفاً بحرف، إلا أنه قال: وكتب علي بن أبي طالب، ولم يذكر عينته مع الجماعة»^(١).

وأورد عليه البعض: بانقطاع سنده وركاكة لفظه، وبأن أول من أرخ بالهجرة هو عمر^(٢).

ونقول:

إن انقطاع سنده لا يضر ما دام معتضداً بغيره من النصوص والشواهد التي تقدمت وستأتي.

وأما ركاكة لفظه، فهي دعوى غير ظاهرة.

وأما بالنسبة لكون عمر هو أول من أرخ بالهجرة، فهو أول الكلام.

٦ - كتاب مفادة سلمان من عثمان بن الأشهل اليهودي، وقد جاء في آخره قوله: «وكتب علي بن أبي طالب الإثنين في جمادى الأولى، مهاجر محمد بن عبد الله رسول الله «صلى الله عليه وآله»»^(٣).

(١) ذكر أخبار أصفهان لأبي نعيم ج ١ ص ٥٢ و ٥٣، والدرجات الرفيعة ص ٢٠٦ و ٢٠٧، وطبقات المحدثين بأصبهان ج ١ ص ٢٣١، ٢٣٤ ونفس الرحمن ص ٤٤ عن تاريخ كزيدة.

(٢) راجع تعليقات البلوشي على طبقات المحدثين ج ١ ص ٢٣٤.

(٣) راجع ذكر أخبار أصفهان ج ١ ص ٥٢، وطبقات المحدثين بأصبهان ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٢٧، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٧٠، وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٩٩، ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٢٠ و ٢١ عن تاريخ كزيدة ومجموعة الوثائق =

وقد شكك بعض العلماء في هذا الكتاب، وناقش فيه، وقد ذكرنا
كلماتهم وأجبنا عنها في كتابنا سلمان الفارسي في مواجهة التحدي ص ٢٥ -
٣٠ فليراجعه من أراد.

٧ - قد أورد البلاذري نصاً للكتاب الذي كتبه النبي «صلى الله عليه
 وآله» ليهود بلدة «مقنا، وبني حبيبة. وقد صالحهم فيه على ربع عروكهم
 (خشب يصطاد عليه)، وغزولهم، وربع كراعهم، وحلقتهم، وعلى ربع
 ثمارهم».

قال البلاذري: «وأخبرني بعض أهل مصر: أنه رأى بعينه في جلد أحمر،
 دارس الخط، فنسخه، وأملى علي فنسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى بني حبيبة، وأهل
 مقنا: سلم أنتم، فإنه أنزل علي: أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم
 كتابي هذا، فإنكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله».

ثم ساق البلاذري الكتاب إلى أن قال في آخره:

«وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل بيت رسول الله «صلى
 الله عليه وآله» وكتب علي بن أبو طالب «عليه السلام» في سنة تسع»^(١).

= السياسية ص ٣٢٨ عن الخطيب وأبي نعيم، وعن جامع الآثار في مولد المختار،
 لشمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي، ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٢٠٩،
 والرحلة في طلب الحديث (مقدمة نور الدين عتر) ص ٥٣.

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٦٧ ط سنة ١٣١٨ هـ. ولا بد من التأمل في تخصيصه
 الولاية بأهل بيته، وليس ذلك إلا دليلاً واضحاً على أن خراج هذه البلدة وهي
 التي أخذت صلحاً دون أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهو المسمى =

وقد أورد المعلق على فتوح البلدان، محمد بن أحمد بن عساكر على هذه الرسالة بإيرادين:

أحدهما: أن علياً الذي اخترع علم النحو، حتى لا يختلط بكلام النبط، لا يمكن أن يصدر منه اللحن ويقول: (علي بن أبو طالب) برفع كلمة أبو. الثاني: أن صلح النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل مقنا، كان في غزوة تبوك على ما هو مذكور في كتاب البلاذري، ولا خلاف في أن علياً لم يكن فيها، فكيف يكون علي «عليه السلام» هو كاتب هذا الكتاب^(١)؟

ونحن نكتفي في الإجابة على هذين الإيرادين بما ذكره العلامة المحقق الشيخ علي الأحمدي، حيث قال ما ملخصه مع إضافات وزيادات في النصوص وغيرها، قد اقتضاها المقام.

أما الجواب عن الأول: فقد ذكر الملا علي القاري في شرحه لشفاء القاضي عياض، نقلاً عن نوادر أبي زيد الأصبغي عن يحيى بن عمر: أن قريشاً كانت لا تغير الأب في الكنية، بل تجعله مرفوعاً أبداً: رفعاً، ونصباً، وجرأً.

وفي نهاية ابن الأثير، في لفظ (أبي) وشرح القاري لشفاء عياض: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى المهاجر بن أمية: (المهاجر بن أبو أمية)، ثم قالوا: ولما كان أبو أمية مشتهراً بالكنية ولم يكن له اسم معروف غيره،

= بالنبي الذي هو الله ولرسوله قد أعطاه النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل بيته «عليهم السلام»، وهي تدل أيضاً على أن آل الرسول (صلى الله عليه وآله) هم أولو الأمر للمسلمين وأهل الذمة على حد سواء.

(١) هامش ص ٦٧ من فتوح البلدان للبلاذري.

تركه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومثل القاري لذلك، فقال: (كما يقال: علي بن أبو طالب).

ونضيف هنا قول الزمخشري: «وكتب لوائل بن حجر: من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبو أمية؛ إن وائلاً..»

إلى أن قال الزمخشري: أبو أمية ترك في حال الجر على لفظه في حال الرفع، لأنه اشتهر بذلك، وعرف، فجرى مجرى المثل الذي لا يغير، وكذلك قولهم: علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان» انتهى^(١).

وقال العلامة الأحمدي أيضاً: وفي مجموعة الوثائق السياسية عن الصفدي: أن بعضهم يكتب: علي بن أبو طالب بالواو، ويلفظ: أبي، بالياء، وبعد أن نقل في المجموعة عن الترايب الإدارية، ما تقدم عن نوادر الأصمعي قال: وفوق ذلك كله: إني لما كنت في المدينة، في شهر محرم سنة ١٣٥٨، وجدت في الكتابة القديمة التي في جنوب سلع: (أنا علي بن أبو طالب).

وقد تكون هذه الكتابة بخط علي «عليه السلام».

وقال في مجموعة الوثائق أيضاً: إنه وجد كلمة: (علي بن أبو طالب) بالواو، في أربعة مواضع في الكتب المقروءة عن الشيوخ. ونزيد هنا قول العسقلاني: «قال الحاكم: أكثر المتقدمين على أن اسمه (يعني أبا طالب) كنيته»^(٢).

(١) الفائق ج ١ ص ١٤.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ١١٥.

وقال مغلطاي: «وقيل: اسمه كنيته فيما ذكر الحاكم، وفيه نظر»^(١).
وذكر المسعودي^(٢): أنه قد تنوزع في اسم أبي طالب، فمنهم من رأى أن
كنيته اسمه، وأن علياً «عليه السلام» قد كتب ليهود خيبر، بإملاء النبي
«صلى الله عليه وآله»: (وكتب علي بن أبي طالب)، فإسقاط الألف من
كلمة: ابن، يدل على أنه واقع بين علمين، لا بين علم وكنية.
وقال البلاذري: وقال يحيى بن آدم: وقد رأيت كتاباً في أيدي
النجرائين، كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة، وفي أسفله: (وكتب علي بن
أبو طالب)، ولا أدري ما أقول فيه^(٣).
وفي كتابه بين ربيعة واليمن نراه قد كتب في آخره - وهي الرواية
المشهورة - : (كتب علي بن أبو طالب)^(٤).
وقال ابن عنبه: عن محمد بن إبراهيم النسابة: أنه رأى خط أمير
المؤمنين في آخره: (وكتب علي بن أبو طالب). وقال: إنه كان في المشهد
الغروي الشريف مصحف بخط علي «عليه السلام»، احترق حين احترق
المشهد سنة ٧٥٥ هـ. يقال: إنه كان في آخره: وكتب علي بن أبو طالب.
ثم ذكر: أن الواو مشتبهة بالياء لتقاربهما في الخط الكوفي، وأن الصحيح هو
(علي بن أبي طالب) حسبما نقله له جده وغيره^(٥).

(١) سيرة مغلطاي ص ١٠.

(٢) مروج الذهب (ط بيروت) ج ٢ ص ١٠٩.

(٣) فتوح البلدان ص ٧٢.

(٤) شرح النهج لابن ميثم البحراني ج ٥ ص ٣٢١.

(٥) عمدة الطالب (ط النجف) ص ٢٠ و ٢١.

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه.

ونستطيع أن نستخلص مما تقدم: أن وجود كلمة: (أبو) لا يضر، ولا يوجب إشكالاً في الرواية، ولا سيما إذا لاحظنا ما نقلوه من لغة قريش المتقدمة، ومن ثم، فإننا لا نحتاج إلى تأويل عمدة الطالب، أو غيره.

وأما الجواب عن الإيراد الثاني: فيقول العلامة الأحمدي: إنه لا صراحة في كلام البلاذري، ولا دلالة له على أن هذا الكتاب قد كتب في تبوك، كما أن الكتاب نفسه ليس فيه ما يدل على ذلك، بل فيه ما يدل على وفادة جماعة منهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأنهم سوف يرجعون إلى بلدتهم، فلعل وفادتهم إليه كانت إلى المدينة لغرض تجاري، أو لأجل الحصول على هذا الكتاب، أو غير ذلك، فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم هذا الكتاب.

ويلاحظ هنا: أن عدداً من المصادر يكتفي بالإشارة إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب لأهل مقنا كتاباً في سنة تسع^(١).

هذا ما ذكره العلامة الأحمدي بزيادات وتصرف وتلخيص، وهو كاف

(١) راجع: مكاتيب الرسول «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ٢٨٨- ٢٨٩- ٢٩٠. ولمعاهدة مقنا نص آخر مؤرخ بسنة خمس للهجرة بخط علي «عليه السلام»، ولكنه لا يخلو من بعض الإشكالات التاريخية، وإن كان يمكن الإجابة عنها كلا أو بعضاً فراجع: مكاتيب الرسول «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ وهناك عهد للنصارى مؤرخ في الثانية للهجرة، بخطه أيضاً «عليه السلام»، وعهد آخر لهم مؤرخ في السنة الرابعة يقال: إنه بخط معاوية، وكلا العهدين محل إشكال لا سيما الثاني منها، لأن معاوية لم يسلم إلا عام الفتح، فراجع: مكاتيب الرسول «صلى الله عليه وآله» أيضاً ج ٢ ص ٦٣٧ و ٦٣٤ وغير ذلك.

ووافق في دفع الإيراد على هذا الكتاب.

٨ - كتاب صلح خالد بن الوليد لأهل دمشق قال ابن سلام: «حدثنا محمد بن كثير، عن الأوزاعي عن ابن سراقه: أن خالد بن الوليد كتب لأهل دمشق:

«هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق: أي قد أمنتهم على دمائهم، وأموالهم، وكنائسهم، قال أبو عبيد: ذكر كلاماً فيه لا أحفظه، وفي آخره: شهد أبو عبيدة الجراح، وشرحيل بن حسنة، وقضاعي بن عامر، وكتب سنة ثلاث عشرة»^(١).

واحتمال أن تكون العبارة الأخيرة ليست من أصل الكتاب، وإنما هي من تعابير المؤرخين أو الرواة.

يدفعه: أن ذلك خلاف ظاهر العبارة.

أضف إلى ذلك: أنه قد روي عن الواقدي: أن خالداً لم يؤرخ الكتاب ولكن لما أراد المسلمون النهوض إلى اليرموك، جدد خالد للنصارى كتاب الصلح وأثبت فيه شهادة أبي عبيدة وشرحيل ويزيد بن أبي سفيان، وأرخه بسنة خمس عشرة في ربيع الآخر^(٢).

وأضاف ابن كثير إلى الشهود: عمرو بن العاص.

ولا يمنع أن يكون هذا كتاب آخر كتبه لهم فيما يتعلق بكنائسهم حين

(١) الأموال ص ٢٩٧، وذكره البلاذري في فتوح بلدانه ص ١٢٨ بدون تاريخ مع بعض اختلاف.

(٢) راجع: فتوح البلدان ص ١٣٠.

نهوضه إلى اليرموك، كما ربما يستظهر من عبارة ابن كثير فراجع^(١).
وحتى لو كان تاريخ الكتاب هو سنة ١٥، فإن ذلك لا يضر في دلالة
على المطلوب لأن من المتفق عليه أن قضية عمر كانت بعد ذلك، أي في سنة
١٦ هـ. أو ١٧ هـ.

ولا أحد يدعي إطلاقاً: أن وضعه للتاريخ قبل ذلك، ولا سيما بملاحظة:
أن فتح دمشق كان أول خلافة عمر، بل قبل أن يصل إلى جند المسلمين في الشام
خبر وفاة أبي بكر وتولي عمر.

نقول هذا على الرغم من أننا نرى: أن كلمات أهل المغازي قد اختلفت
في وقت فتح دمشق: هل كان في سنة ١٣ هـ أو في سنة ١٤ هـ، وفي أن من
صالح أهلها: هل هو أبو عبيدة، أم خالد بن الوليد، وكذلك في أن أيهما كان
الأمير على جند المسلمين في الشام؟.

وذلك لأن لدينا ما يشبه اليقين بأن فتح دمشق كان قبل وصول الخبر
بوفاة أبي بكر في سنة ١٣ هـ، أو على الأقل قبل إظهار أبي عبيدة للخبر، وأن
الذي صالحهم هو خالد بن الوليد، الذي كان أميراً على الجند آنئذٍ.
فقد نصّ أبو عبيدة، وابن قتيبة، والواقدي، والبلاذري^(٢)، وكثيرون
غيرهم: على أن المصالحة كانت على يد خالد، مما يعني أنه هو الذي كان أمير
الجيش إلى حين الصلح.

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢١.

(٢) المعارف لابن قتيبة (ط سنة ١٣٩٠ هـ بيروت) ص ٧٩، وفتوح الشام ج ١ ص ٥٨ -
٥٩، وفتوح البلدان ص ١٢٨ - ١٣١ وغير ذلك.

بل يذكر لنا الواقدي: مشادة عنيفة، حصلت بين أبي عبيدة وخالد، بسبب صلح خالد لهم، تظهر لنا بوضوح مدى عناد خالد في موقفه، وضعف أبي عبيدة معه^(١) الأمر الذي ينسجم كثيراً مع ما نذهب إليه، من أن قيادة الجيش كانت لخالد آنذاك.

يضاف إلى ما تقدم: أن البلاذري وغيره قد ذكروا: أن أبا عبيدة كان على الباب الشرقي، فدخلها عنوة، فجاء أهل المدينة إلى خالد، فصالحوه، وكتب لهم كتاباً، وفتحوا له الباب، ثم نقل البلاذري قول أبي مخنف، الذي يعكس القضية، ثم قال: والأول أثبت^(٢).

ويدل على أن ذلك هو الأثبت: أن أكثر المؤرخين يذكرون أن خالداً كان هو المصالح لأهل دمشق، ومن ثم كان هو أمير الجيش. وتلك الرسالة المذكورة في أول هذا الكلام ونصوص أخرى، تدل دلالة قاطعة على ذلك أيضاً.

وأما عزل خالد، فقد جاءهم وهم محاصرون لدمشق، فكتمه عنه أبو عبيدة نحو عشرين ليلة، حتى فتحت دمشق، حتى لا يوهن أمر خالد، وهم بإزاء العدو^(٣).

وقال الواقدي: إن فتحها كان في ليلة وفاة أبي بكر^(٤).

(١) فتوح الشام ج ١ ص ٥٨ - ٦٠.

(٢) فتوح البلدان ص ١٢٩، وليراجع أيضاً: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢١ ونقله عن آخرين.

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣، وفتوح البلدان ص ١٢٧ - ١٢٩.

(٤) فتوح الشام ج ١ ص ٥٨ و ٥٩.

وقال زيني دحلان: «وقيل: إنما جاء خبر وفاة أبي بكر، بعد فتح دمشق في سنة ثلاث عشرة، وأن وفاة أبي بكر (رض) كانت في الليلة التي دخلوا فيها دمشق، وكان ذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، والقائلون بأن خبر وفاته إنما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بأن وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق، وأنها سنة خمس عشرة»^(١).

وقال ابن كثير: «ظاهر سياق سيف بن عمر يقتضي: أن فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة، ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت في نصف رجب سنة أربع عشرة»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن جبير: أن أبا عبيدة نفسه قد ذهب ليبشر أبا بكر بفتح دمشق، فوجده قد توفي وأمره عمر على الناس، فلما عاد إلى دمشق قالوا: «مرحباً بمن بعثناه بريداً فقدم علينا أميراً»^(٣).

وعلى كل حال، فإن كتاب الصلح المتقدم، وسائر ما قدمناه يشهد: بأن خالداً هو الذي صالح أهل الشام وفاقاً لأكثر المؤرخين. وقد قلنا: إنه حتى لو كان الكتاب مؤرخاً بسنة ١٥، أو كان ذلك كتاباً آخر، فإنه أيضاً يدل دلالة واضحة على أن التاريخ كان قد وضع قبل خلافة عمر.

وأما لماذا يعدل الرواة والمؤرخون عن الحقيقة، ألا وهي مصالحة خالد

(١) الفتوحات الإسلامية ج ١ ص ٤٧.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢.

(٣) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٤.

.....
:
لأهل الشام قبل وفاة أبي بكر، فلعل تقارب الأحداث وتتابعها قد أوقعهم في الخلط والاشتباه، ولعله حين نريد أن نحسن الظن بهم - وهم أهل ومحل لذلك!! - قد كان لتعمد إظهار: أن عهد عمر كان عهد الفتوحات العظيمة، والتوسع الكبير، ولا بد أن يكون فتح الشام، وهي هامة جداً، في عهده هو لا في عهد أبي بكر.

وأيضاً فثمة اهتمام خاص ظاهر للعيان بإثبات شجاعة خالد وإظهار قوته، وبطولاته في مواقفه، وأنه - دون كل أحد - رجل السيف والسنان، فلا بد أن يكون قد فتحها عنوة، وأن يكون الذي صالح أهلها غيره!! ولو كان ذلك عن طريق الكذب والدجل والتزوير.

وأما أن أي ذلك الذي ذكرناه هو السبب الحقيقي في العدول عن الحقيقة، فلست أدري، ولعل القارئ الفطن الذكي يدري.

٩ - ونقل السيوطي عن مجموعة بخط ابن القماح ذكر فيها: أن ابن الصلاح قال: «ذكر أبو طاهر، محمد بن محمش الزيادي في تاريخ الشروط: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران وأمر علياً أن يكتب فيه: أنه كتب لخمس من الهجرة. قال: فالمؤرخ بهذا إذا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعمر تبعه في ذلك»^(١).

وقال السيد عباس المكي: «التاريخ سنة ماضية، وطريقة راضية، أمر

(١) راجع: الشماخي في علم التاريخ للسيوطي ص ١٠، والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٨١ عنه.

.....
بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين كتب إلى نصارى نجران، فأمر علياً
«رضي الله عنه»: أن يكتب فيه: (كتب لخمس من الهجرة)»^(١)، ثم نقل رواية
ابن شهاب المتقدمة.

وقال السخاوي: «فإن ثبت، فيكون عمر متبعاً، لا مبتكراً»^(٢).

وقال السيوطي أيضاً: «وقد يقال: هذا صريح في أنه يقال: أرخ سنة
خمس.

والحديث الأول (يعني رواية الزهري المتقدمة) فيه: أنه أرخ يوم قدوم
المدينة.

ويجاب: بأنه لا منافاة، فإن الظرف وهو قوله: «يوم قدم المدينة» ليس
متعلقاً بالفعل وهو أمر، بل بالمصدر وهو (التاريخ)، أي أمر بأن يؤرخ
بذلك اليوم، لا أن الأمر كان في ذلك اليوم»^(٣)، هذا كلام السيوطي.

ولكن ثمة جواب أوضح وأظهر، وهو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد
أمر بالتاريخ من أول قدومه، وجعل مبدأه أول ربيع الأول؛ واستعمله
النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه حين كتب لنصارى نجران في سنة خمس.

١٠ - خبر الصحيفة السجادية الذي يظهر منه: أن جعل هجرة
الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» مبدأً للتاريخ كان مرتبطاً بالمبدأ الأعلى
جل وعلا، حيث جاء في الخبر: أن جبرائيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى

(١) نزهة الجليس ج ١ ص ٢١.

(٢) التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٨١.

(٣) الشماريخ ص ١٠.

الله عليه وآله»: «تدور رحي الإسلام من مهاجرك؛ فتلبث بذلك عشرًا، ثم تدور رحي الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمسًا»^(١).

١١ - وعن أم سلمة قالت: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقتل حسين بن علي على رأس ستين من مهاجري»^(٢).

١٢ - وعن أنس قال: «حدثنا أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لا تأتي مئة سنة من الهجرة ومنكم عين

(١) البحار ج ٥٨ ص ٣٥١ بعد تصحيح أرقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، والصحيفة السجادية ص ١٠، وقد روي هذا عن النبي «صلى الله عليه وآله» بطرق أخرى ذكرها في البداية والنهاية ج ٦ ص ٢٠٦ - ٢٠٧، وج ٧ ص ٢١٩ و ص ٢٧٥ - ٢٧٦ عن أحمد وأبي داود وابن داود، ولكن باختلاف وتصرف وحذف فراجع، وراجع: سنن أبي داود نشر دار الكتاب العربي ج ٤ ص ١٥٩ - ١٦٠ وغير ذلك.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٠ عن الطبري، ولم يطعن في سنده إلا في سعد بن طريف وليس ذلك إلا لتشيعه حسبما صرحوا به، وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ص ١٨٥ وفي هوامشه عن مصادر أخرى، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٢، والإمام ج ٥ ص ٢٩٩، وكنز العمال ج ١٣ ص ١١٣ ط حيدر آباد، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢١٢ عن الطبراني، والخطيب، وابن عساكر، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٥ ص ١١١، ومقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج ١ ص ١٦١، وإحقاق الحق ج ١١ ص ٣٥٤ عن بعض ما تقدم، وعن مفتاح النجا ص ١٣٦ مخطوط، وعن المعجم الكبير للطبراني.

تطرف»^(١).

١٣ - وقد ذكر البعض نصاً للكتاب الذي كتبه خالد بن الوليد لأهل الحيرة، وجاء في آخره: «وإن غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة، وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة»^(٢).

ومن المعلوم: أن فتح الحيرة على يد خالد كان في زمن أبي بكر، وذلك معناه أن التاريخ كان قد وضع واستعمل قبل خلافة عمر، فكيف يكون عمر هو واضع التاريخ في سنة ست عشرة؟ وقد يمكن تأييد ذلك بما تقدم عن السهيلي وابن عباس، وغير ذلك مما لا مجال لذكره.

هذا، واحتمال أن تكون العبارة الأخيرة من كلام الرواة أو المؤرخين ليس له ما يؤيده، كما ألمحنا.

١٤ - ما رواه الحافظ عبد الرزاق عن أبي هريرة قال: «ويل للعرب من شر قد اقترب على رأس الستين تصير الأمانة غنيمة الخ.»^(٣).

١٥ - ما رواه عبد الرزاق أيضاً عن ابن مسعود قال: «إذا كانت سنة خمس وثلاثين حدث أمر عظيم، فإن تهلکوا فبالحرا، وإن تنجوا فعسى. وإذا كانت سبعين رأيت ما تنكرون»^(٤).

(١) مجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٧ عن أبي يعلى، وله ألفاظ وطرق عديدة كثيرة أخرى لكن بلا ذكر كلمة: من الهجرة.

(٢) هي الدكتورة سعاد ماهر محمد، في كتابها: مشهد الإمام علي في النجف الأشرف ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٣) مصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٣٧٣ و ٣٧٥.

(٤) تطهير الجنان واللسان ص ٦٦ سنة ١٣٧٥، وكنز العمال ج ١١ ص ١١٣ عن أحمد وغيره.

فإن ابن مسعود وأبا هريرة إنما علما ذلك عن طريق النبي «صلى الله عليه وآله»؛ لأنه تنبؤ بالغيب، وهذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» هو واضع التاريخ الهجري.

١٦ - وفي حديث رواه ثقات: «نعوذ بالله من رأس الستين وفي رواية: من سنة ستين، ومن إمارة الصبيان»^(١).

وعن أبي هريرة أنه قال: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان^(٢).
١٧ - عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر «رض» مرفوعاً: «إذا كان على رأس السبعين ومئة فالرباط بجدة من أفضل ما يكون من الرباط»^(٣).

عود على بدء:

وبعد كل ما قدمناه، يتضح: أن ما اشتهر بين الناس من أن واضع التاريخ الهجري الإسلامي هو عمر بن الخطاب، مما لا يمكن القبول به ولا المساعدة عليه؛ وأن ما حدث في زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة الهجرية شهر محرم، بدلاً من ربيع الأول، إما باقتراح من عمر نفسه، أو بإشارة من عثمان، ومحرم - كما هو معلوم - كان مبدأ السنة في الجاهلية!!^(٤).
وليس من البعيد: أن يكون التاريخ الهجري الذي وضعه النبي «صلى

(١) مصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٣٧٣ و ٣٧٥.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف ص ٦٥ عن ابن أبي شيبه وغيره.

(٣) لسان الميزان ج ٢ ص ٧٩.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٧، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٨٨

الله عليه وآله»، وأرخ به أكثر من مرة، لم يكن قد اشتهر بين الناس، بسبب قلة احتياجهم للتاريخ في تلك الفترة، فجمع عمر الصحابة ليتفقوا على تاريخ، حسبما تقدم بيانه^(١).

ولكننا رأينا في الاجتماع دعوات مغرضة لتناسي ذلك التاريخ الذي أمر به ووضع الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، فهذا يشير بتاريخ الروم؛ وبعض مسلمي اليهود يشير بالتاريخ الذي يرجع إلى زمان الإسكندر والهرمزان، يستشيرهم عمر - مع أن عمر كان يكره الفرس كراهية شديدة - فيشير عليه بتاريخ الفرس، كلما هلك ملك أروخا من ولاية الذي بعده.

ورابع: يشير بجعل مبدأ التاريخ مولد النبي «صلى الله عليه وآله» - عام الفيل - الذي كان العرب يؤرخون به في جاهليتهم المتأخرة، وهكذا، «وكثر منهم القول وطال الخطب في تواريخ الأعاجم وغيرها» على حد تعبير المسعودي^(٢).

ولكن علماً «عليه السلام» حافظ الدين ورائد الحق، قد أعلن في الوقت المناسب: التاريخ الهجري الذي وضعه الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأرخ به هو نفسه في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» العديد من الكتب والمعاهدات.

(١) احتمال ذلك العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني في مقال له نشرته مجلة الهادي في سنتها الأولى عدد ٤ ص ٤٨.

(٢) التنبيه والإشراف ص ٢٥٢.

فلم يكن ثمة بد من قبول رأيه والإذعان لمشورته، لأنها حق، والحق يعلو ولا يعلى عليه.

واتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ دون يوم ولادته ووفاته «صلى الله عليه وآله»، إنما هو لأهمية الهجرة من دار الشرك؛ حيث الذل والهوان إلى دار الإسلام حيث العزة والكرامة، فهي مهمة جداً في صنع التاريخ والإنسانية، كما أنه يكون بذلك «صلى الله عليه وآله» قد أبعد كل المواقف المخزية، والأحداث التي تختص بالطواغيت والظلام عن أن تجعل مبدأ للتاريخ، وعن أن تصبح في جملة الرواسب والمرتكزات، التي يعتادها الإنسان ويألفها، وتستقر في وعي الناس كجزء من التراث، والثقافة، والحياة.

والتاريخ المسيحي إذاً لماذا؟:

وبعد.. فإننا نسجل هنا بكل أسف وأسى حقيقة: أن الغربيين وغير المسلمين يحافظون على تراثهم وعلى خصائصهم، مهما كانت تافهة وحقيرة، وغير ذات أهمية، ولا يتنازلون عنها في أي من الظروف والأحوال، بل هم يطمحون إلى بثها وترسيخها لدى غيرهم من الجماعات والأمم، ولو على حساب تدمير تاريخ وتراث تلك الجماعات؛ فنجد أنهم عندما يكتبون عن الشؤون والتواريخ الإسلامية يصرون على تحوير التاريخ الهجري، الذي ضببت به الحوادث إلى الميلادي الشمسي، مهما كان ذلك موجباً لضياح كثير من الحقائق، والغلط والخلط فيها نتيجة للاختلاف فيما بين التاريخين. أما نحن: فإننا نتنازل عن كثير من الأشياء التي قد يكون الكثير منها رئيسياً وأساسياً، بدعوى التقدمية والرقى، وغير ذلك من ألفاظ خلافة،

.....
وشعارات براقه، تخفي وراءها الكثير الكثير من المهالك والأخطار، بل لقد تخلت بعض البلاد الإسلامية حتى عن الخط العربي، واستبدلته بالخط اللاتيني، بالإضافة إلى تخليهم عن كثير من شؤونهم الحياتية حتى زيهم ولباسهم، وحتى طريقة عيشهم أيضاً.

وهكذا كان حالنا بالنسبة للتاريخ الهجري، حيث قد تخلينا عنه، وبكل يسر وسهولة رغم أنه من موجبات عزتنا، وعليه يقوم تاريخنا وتراثنا، فاستبدلناه بالتاريخ المسيحي الشمسي، المستحدث بعد ظهور الإسلام ببرهة طويلة، لأن النصارى كانوا يؤرخون برفع المسيح «عليه السلام»^(١)، لا بميلاده، وعلى حسب نص آخر: إنهم كانوا يؤرخون بعهد الإسكندر ذي القرنين^(٢)، حتى إن ابن العبري، وهو من اليعاقبة المسيحيين، وقد بلغ إلى درجة تعادل درجة الكاردينال، وتوفي سنة ٦٨٥ هـ. لم يؤرخ في كتابه بتاريخ المسيح أصلاً، بل اعتمد تاريخ الإسكندر في مواضع عديدة في كتابه فراجع.

فلو كان تاريخ المسيح شائعاً أو معروفاً في عصره لم يعدل عنه. ويظهر من كلام السخاوي المتقدم، والمتوفى سنة ٩٠٢ هـ أن التاريخ بميلاد المسيح لم يكن متداولاً إلى أوائل القرن العاشر الهجري. وها نحن نرى العديد من الدول التي تطلق على نفسها اسم الإسلام،

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٨٣.

(٢) نزهة المجلس ج ١ ص ٢٢، وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ١٩٥ عن المستدرک، وعن البخاري في الأدب.

.....
: .
قد اتخذت هذا التاريخ المسيحي، لا الفارسي ولا الرومي اللذين سبق أن
اقترحا على الصحابة في الصدر الأول.

نعم، لقد اعتمدوا التاريخ المسيحي، بدعوى الحضارة والتقدمية، وما
إلى ذلك من شعارات، وتركوا ما هو مصدر عزتهم، وما عليه يقوم تاريخهم
وتراثهم، كما تنازلوا عن الكثير الكثير مما هو أعظم وأهم، والتنازل عنه
أخطر، وأدهى.

ملاحظة:

قيل لأبي عبد الله «عليه السلام» فيما روي: إن النصارى يقولون: إن
ليلة الميلاد في أربعة وعشرين من كانون؟
فقال: كذبوا، بل في النصف من حزيران، ويستوي الليل والنهار في
النصف من آذار^(١).

والملاحظ: أن الآية قد صرحت بوجود الرطب في وقت ميلاد عيسى
«عليه السلام» قال تعالى: { وَهَزِّيْ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا
جَنِيًّا }^(٢)، إلا أن يدعى: أن وجود الرطب كان على سبيل الإعجاز.
ومن جهة أخرى نقول: إن مريم قد انتبذت من أهلها مكاناً قصياً
وشرقياً أيضاً، وكان في مكان الولادة نخل ورطب..
وهذا يشير إلى صحة الروايات التي تقول: أنها ولدت عيسى في مسجد

(١) البحار ج ٧٥ ص ٣٦، وتحف العقول، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٦٧
ومروج الذهب ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠.
(٢) الآية ٢٥ من سورة مريم.

برائثا في بغداد فراجع ..

دعوة مخلصه:

فنحن ندعو الأمم الإسلامية إلى اعتماد التاريخ الهجري القمري في تقاويمهم وتواريخهم، لأن ذلك يصل ماضيهم بحاضرهم، ويذكرهم بسر مجدهم وعزتهم، وهو هذا الدين الذي اختاره الله لهم وللإنسانية جمعاء. مضافاً إلى أنه لو كان المفروض جعل أعظم الحوادث مبدأً للتاريخ، فأى حادثة أعظم من ظهور نبي الإسلام، وما تلا ذلك من الحوادث العظام؟.

قال العلامة المجلسي: «والعلة الواقعية في ذلك، يمكن أن تكون ما ذكر من أنها مبدأ ظهور غلبة الإسلام والمسلمين، ومفتتح ظهور شرائع الدين، وتخلص المؤمنين من أسر المشركين، وسائر ما جرى بعد الهجرة من تأسيس قواعد الدين الميين»^(١).

نقول ذلك للأمم الإسلامية جمعاء وللعرب على الخصوص، فإننا حتى لو تنزلنا عن ذلك من حيث الدين، فإن عليهم أن يلتزموا به بما أنهم عرب، وأذكرهم هنا بالكلمة القوية التي أطلقها الحسين سيد الشهداء «عليه السلام» حينما قال: «إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم، إن كنتم عرباً كما تزعمون»^(٢).

(١) البحار ج ٥٨ ص ٣٥١.

(٢) اللهوف ص ٥٠، ومقتل الحسين للمقرم ص ٣٣٥ عنه.

..... :
نسأل الله أن يعيد إليهم صوابهم، ويجعلهم يسترشدون بعقولهم
وضمائرهم.

وإذا كانوا يقلدون غيرهم في كل شيء تحت ظل مثل تلكم الشعارات،
فليقلدوهم في هذه النقطة أيضاً، أي في عدم التنازل عن الخصائص الخيرة،
والتراث العظيم، ثم الاستجداء من الآخرين والأخذ منهم ما قد يكون
- بل هو كائن فعلاً - ضرره أكثر من نفعه.

{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي }^(١).

(١) الآية ١٠٨ من سورة يوسف.

..... :

الفصل الثاني:

بناء مسجد المدينة

بناء المسجد:

واشترى النبي «صلى الله عليه وآله» - أو وهب له - موضع المسجد، الذي يقال: إنه كان مربداً^(١) ليتيمين من الخزرج، كانا في حجر أسعد بن زرارة، أو غيره اشتراه - على ما قيل - بعشرة دنانير.

فأسس «صلى الله عليه وآله» المسجد في ذلك الموضع، ونقلوا إليه الحجارة من منطقة الحرة، وشارك «صلى الله عليه وآله» بنفسه في نقلها، الأمر الذي دفع الصحابة إلى الدأب في العمل، والجد فيه، حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل
وارتجز المسلمون وهم بينونه يقولون:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة
أو نحو ذلك^(٢).

وسياتي: أن هذين البيتين أنشدهما المسلمون وهم يحفرون الخندق. ولا مانع من تعدد الواقعة إذا تشابهت الحالات والدواعي.

(١) المرید: محبس الإبل أو مكان تجمع التمر أو المكان الخالي خلف البيوت.

(٢) راجع ما تقدم في السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٧ و ٧١ و ٦٤ و ٦٥.

.....
وجعل طوله مئة ذراع في مثلها، أو قريباً من ذلك، وقيل: جعله سبعين في ستين.

ونحتمل أن يكون كلاهما صحيحاً، وأنه جعله في البناء الأول سبعين في ستين، ثم وسعه في البناء الثاني^(١).

وابتنى الرسول «صلى الله عليه وآله» مساكنه، وابتنى أصحابه مساكنهم حول المسجد، وكل قد شرع له إلى المسجد باباً، وقد سدت الأبواب كلها فيما بعد سوى باب أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما سيأتي. وقبل أن نمضي في الحديث، لا بد من الالتفات إلى بعض ما يقال هنا، من أجل تقيمه، وبيان وجه الحق فيه وذلك حسبما يلي:

أ- أبو بكر والعشرة دنانير:

إنهم يقولون: إن أبا بكر هو الذي دفع العشرة دنانير، ثمن المربد^(٢).

ونحن نشك في ذلك.

أولاً: لأن أبا بكر لم يكن له القدرة المالية على ذلك، ولو كانت، فنحن نشك في إقدامه على هذا الأمر، وذلك استناداً إلى ما قدمناه في حديث الغار.

ثانياً: لو سلمنا وقبلنا: أنه كان قادراً، فإننا نجد في المقابل رواية تقول: إن أسعد بن زرارة قد عوض اليتيمين نخلاً له في بني بياضة، وفي أخرى:

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٤٠ فما بعدها، وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٥

و٣٦٦، وراجع: التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٧٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥.

أرضاهما أبو أيوب، وفي ثلثه: معاذ بن عفراء^(١).
واحتمل البعض: أن يكون أبو بكر قد دفع الثمن، وأعطى الباقيون
زيادة عليه براً وصلة^(٢).

ولكن ذلك ليس بأولى من العكس، أضف إلى ذلك أنه لا ينسجم مع
التعبير بكلمة: «عوضهما» فإنه ظاهر في كونه ثمناً وعوضاً، لا براً وصلة.
ثالثاً: قد روى البخاري وغيره: أن الرسول «صلى الله عليه وآله»
أرسل إلى ملأ من بني النجار، فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا،
قالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا من الله^(٣).

ب. أحجار الخلافة:

وقد روى الحاكم، عن عائشة، قالت: أول حجر حملة النبي «صلى الله
عليه وآله» لبناء المسجد، ثم حمل أبو بكر حجراً آخر، (ثم حمل عمر)^(٤)، ثم
حمل عثمان حجراً آخر.

فقلت: يا رسول الله، ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك؟.

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٥، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ عن ابن حجر،
والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

(٣) صحيح البخاري (ط الميمنية) ج ١ ص ٥٧، وتاريخ الطبري (ط الاستقامة) ج ٢
ص ١١٦، والكامل لابن الأثير (ط صادر) ج ٢ ص ١١٠، ووفاء الوفاء ج ١
ص ٣٢٣، والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٧٧.

(٤) الزيادة من تلخيص المستدرک.

.....
فقال: يا عائشة، هؤلاء الخلفاء من بعدي.

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه^(١).
ولكن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، فعدا عن تناقض واختلاف
نصوصها كما لا يخفى على من راجعها في المصادر المختلفة وقارن بينها، فإننا
نذكر:

أولاً: قال الذهبي، بعد أن ضعف سند الحديث: «لو صح هذا لكان
نصاً في خلافة الثلاثة، ولا يصح بوجه، فإن عائشة لم تكن يومئذ دخل بها
النبي «صلى الله عليه وآله»، وهي محجوبة صغيرة، فقولها هذا يدل على
بطلان الحديث»^(٢).

ولنا تحفظ على قوله: إنها كانت صغيرة، ذكرناه في موضع آخر من هذا
الكتاب.

وقال ابن كثير: «هذا الحديث بهذا السياق غريب جداً»^(٣).
ثانياً: وفي مقام الإشكال على حديث سفينة: في أحجار الخلافة المتقدم^(٤)
قال البخاري في تاريخه: «ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لأن عمر

-
- (١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٩٦ و ٩٧ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وراجع: وفاء الوفاء ج ١
ص ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٥١ وراجع ص ٢٥١، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٨، وج ٦
ص ٢٠٤ مصرحاً بأن ذلك كان في مسجد المدينة، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٦ و ٦٦،
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٤ و ٣٤٣، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٢٧٢.
(٢) تلخيص المستدرك للذهبي، المطبوع بهامش مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٩٧.
(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٨.
(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣.

وعثمان، وعلي (كذا) قالوا: لم يستخلف النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).
لقد قالت عائشة: «لو كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» مستخلفاً
لاستخلف أبا بكر وعمر» و صححه الحاكم والذهبي^(٢).
يريد البخاري: أن هذا الحديث يخالف عقيدة أهل السنة في كون النبي
«صلى الله عليه وآله» لم ينص، ولم يستخلف، وبهذا يصححون خلافة أبي
بكر التي جاءت بطريقة غير طبيعية ولا مألوفة.
وقد ذكر العلامة الأميني^(٣): طائفة كبيرة من كلماتهم الدالة على أن
الخلافة انتخابية، فهذه الرواية تكون كاذبة على مذهبهم، وهي كاذبة واقعا
أيضاً، لأنه «صلى الله عليه وآله» إنما نص على أمير المؤمنين علي «عليه
السلام» خليفة بعده، والنصوص الدالة على ذلك لا تكاد تحصى، وقد
استدل بذلك أمير المؤمنين وصحبه، وأهل بيته وولده، وشيعته من
الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وإلى يومنا هذا، ولا يكاد يخلو كتاب من
تلك النصوص المتضاربة والمتواترة، جملة وآحاداً^(٤).
ثالثاً: إن هذه الرواية تذكر عثمان في جملة الواضعين للأحجار الأولى،
ولكن عثمان - كما يقولون - كان حينئذٍ في الحبشة، كما أشار إليه السهمودي
ولم يكن حاضراً في المدينة، ولأجل ذلك حذف السهيلي عثمان من الرواية^(٥).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٦.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٧٨.

(٣) راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٥٧ - ٣٧٥.

(٤) راجع على سبيل المثال: الغدير ج ١ ص ١٩٥ - ٢١٣.

(٥) راجع وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٢.

تحريف في مستدرك الحاكم:

ولعل هذا هو السر في حذفها تبرعاً من نص الحاكم، حين طبع كتابه، لأن الذهبي ذكرها في تلخيصه، وهذا يعد من التحريف الذي هو خيانة حقيقية للدين وللأمة وللأجيال.

والخلاصة: أن عثمان وإن قدم مكة حين بلغهم إسلام أهل مكة، لكنهم لما تبين لهم خلاف ذلك، رجع عدة منهم وبقي عدة، ويبدو أن عثمان قد كان من جملة من رجع كما يدل عليه قولهم: إن عثمان قد هاجر الهجرتين إلى الحبشة^(١).

وذكر العسقلاني: أنه بعد أن سمع المسلمون الذين في الحبشة بهجرته «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، عاد منهم ثلاثون إلى مكة ومنهم ابن مسعود، الذي وصل المدينة في حين كان «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى بدر^(٢).

ولكن لا ندري كيف يصح كلام العسقلاني هذا؛ إذ ما هو السبب في عودتهم إلى مكة، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تركها إلى المدينة!! إلا أن يكون هو إرادة الحصول على أموالهم، وهو بعيد.

ج: عثمان وعمار:

ويقولون: «كان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً متنظفاً، وكان يحمل اللبنة،

(١) راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٨، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٨٥، وفي البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٧: أن رقية زوجة عثمان أسقطت علقه في السفينة في هجرتها الأولى إلى الحبشة.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

..... :
فيجافي بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفص كمه، ونظر إلى ثوبه، فإن أصابه
شيء من التراب نفضه، فنظر إليه علي بن أبي طالب، فأنشأ يقول:

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها، وهولا يدري من يعني بها،
فمر بعثمان، فقال: يا ابن سمية، بمن تعرض - ومعه جريدة - فقال: لتكفن،
أو لأعترضن وجهك، فسمعها النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو جالس في
ظل بيت أم سلمة - وفي رواية: في ظل بيته - فغضب «صلى الله عليه وآله»،
ثم قال: إن عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من المرء
فقد بلغ، ووضع يده بين عينيه.

فكف الناس عن ذلك، ثم قالوا لعمار: إن النبي «صلى الله عليه وآله»
قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا القرآن.

فقال: أنا أرضيه كما غضب.

فقال: يا رسول الله، ما لي ولأصحابك؟

قال: ما لك ولهم.

قال: يريدون قتلي، يحملون لبنة لبنة، ويحملون على اللبتين والثلاث.

فأخذ بيده، فطاف في المسجد، وجعل يمسح وفرته من التراب.

ويقول: يا ابن سمية، لا يقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة الباغية^(١).

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٢، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٥، والأعلاق النفيسة،
ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٢، وقد ذكره في الغدير =

وهكذا نجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستفيد حتى من حالة المزاح التي يريد أن يثيرها عمار، في متابعة شؤون الدعوة، وفي تحصين المسلمين من الانخداع بأولئك الذين يظهرون الدين والتدين، وهم إنما يعملون من أجل تحقيق أهدافهم، وفي سبيل مصالحهم، فعلى الناس في المستقبل أن يلتفتوا لهذه الحقيقة، كما أن هذه الإشارة منه «صلى الله عليه وآله» إلى قتلة عمار الذي سيقتله ابن عم عثمان (معاوية) بحجة الطلب بدم عثمان نفسه الذي له هذا الموقف الخشن من عمار، لا يخلو من طرافة، وهو أمر يدعو إلى التأمل والتدبر حقاً.

ألم يكن عثمان في الحبشة؟!

ونعود إلى سياق الحديث فنقول: ولكن أليس قد قدمنا: أن عثمان لم يكن حاضراً حين بناء المسجد، وإنما كان في الحبشة؟! ولعله لأجل هذا استبدل العسقلاني، والحلي عثمان بن عفان بعثمان بن مظعون^(١).

وقبل أن نجيب عن ذلك: نشير إلى ما تقدم من أنه لا مورد لهذا الكلام لو قلنا: إنه «صلى الله عليه وآله» قد بقي عند أبي أيوب سنة أو سبعة أشهر، لأنه كان مشغولاً ببناء المسجد وبيوته، إذ من الممكن أن يصل الخبر إلى

= ج ٩ ص ٢١ و ٢٢ و ٢٧ عن مصادر كثيرة جداً، لكنه أخذ منه بعض فقراته، فلا بد من مراجعة تلك المصادر الكثيرة لمن أراد المزيد من التحقيق.
(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧١، وهامش السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٢ عن المواهب اللدنية.

المهاجرين في الحبشة، ويأتون إلى المدينة خلال هذه المدة، ومنهم عثمان، فيكون عثمان قد شارك في البناء، وجرى ما جرى، وإن لم يشارك في التأسيس، ووضع أحجار الخلافة!!.

ولكننا على أي حال، قد استبعدنا بقاء المسلمين هذه المدة الطويلة في بناء مسجده «صلى الله عليه وآله»، وهم يعدون بالعشرات، وقد بايعه منهم في العقبة أكثر من ثمانين من المدنيين.

والجواب الصحيح هنا هو: أن الظاهر هو أن قضية عثمان وعمار قد وقعت حين البناء الثاني للمسجد، وذلك بعد عام خير، أي في السنة السابعة للهجرة^(١).

ويدل على ذلك:

أولاً: ما رواه البيهقي في الدلائل قال: لما قتل عمار قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه: قد قتلنا هذا الرجل، وقد قال رسول الله فيه ما قال! قال: أي رجل؟

قال: عمار بن ياسر، أما تذكروا يوم بنى رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسجد، فكنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين، فمر على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: تحمل لبنتين وأنت ترحض؟ أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، وأنت من أهل الجنة، فدخل عمرو إلى معاوية الخ..^(٢).

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٨.

(٢) تذكرة الخواص ص ٩٣ عن ابن سعد في الطبقات، والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ١١٩ و ١٣٠، والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٩١، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٧، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٨٠ =

قال السمهودي بعد ذكر هذه الرواية: «قلت: وهو يقتضي أن هذا القول لعمار كان في البناء الثاني للمسجد، لأن إسلام عمرو كان في الخامسة»^(١).
وروى عبد الرزاق وغيره: أن عمرو بن العاص دخل على معاوية، وأخبره: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعمار: تقتله الفئة الباغية^(٢).

ودخل رجلان على معاوية يختصمان برأس عمار، فقال لهما عبد الله بن عمرو بن العاص: لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمار، فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: تقتل عمار الفئة الباغية.

فقال معاوية لعمرو: ألا تغني عنا مجنونك هذا؟^(٣).

ومعلوم: أنها قضية واحدة في مناسبة واحدة.

ثانياً: لقد ورد في الرواية نفسها ما يدل على أنها قد كانت في البناء الثاني، وذلك لأنها ذكرت: أنه كان يستظل ببيت أم سلمة، ومعلوم أنه

= و١٨١، ونقل عن مصنف ابن أبي شيبة ومسنده أحمد ج ٢ ص ١٦٤، وراجع هامش ص ٣١٣ من أنساب الأشراف ج ٢ بتحقيق المحمودي، ومناقب الخوارزمي ص ١٦٠، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٣١ و٢٣٢.

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣١ و٣٣٢.

(٢) المصنف ج ١١ ص ٢٤٠، وليراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٧، وج ٧ ص ٢٤٢ عن أحمد في المسند والطبراني.

(٣) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٣١٣، ومسنده أحمد في مسند عبد الله بن عمرو، وفي هامش الأنساب عن مصنف ابن أبي شيبة، وعن فتح الباري، وعن مصادر كثيرة.

«صلى الله عليه وآله» قد بنى المسجد أولاً، ثم بنى بيوته^(١)، كما أنه «صلى الله عليه وآله» كان يبني بيوته بالتدريج عند الحاجة إليها، وأول ما بنى بيت سودة وعائشة^(٢)، فلا ريب في أنه «صلى الله عليه وآله» قد بنى بيت أم سلمة بعد بنائه المسجد بمدة طويلة، وذلك بعد موت أبي سلمة كما سيأتي.

سر انتصار النبي ' لعمار:

ويلاحظ هنا: أن المسلمين قد كانوا على درجة من الوعي، بحيث كانوا يدركون: أن عملهم هذا ليس لأجل الدنيا، وإنما هو للآخرة، وأن الآخرة هي التي يجب أن يكون لها المقام الأول والأخير في تفكيرهم، وأعمالهم ومواقفهم، فإن العيش الحقيقي هو عيش الآخرة، بل لا عيش سواه، والخسران المبين هو الخسران فيها.

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة
وكان انتصار النبي «صلى الله عليه وآله» لعمار، الذي ملئ إيماناً إلى
مشاشه - كما جاءت به الرواية عنه «صلى الله عليه وآله»^(٣) - وعذب في سبيل

(١) زاد المعاد ج ١ ص ٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٦، ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٥٨ و ٤٦٢: استظهر الشمس الذهبي أنه بنى أولاً بيت سودة، ثم لما احتاج إلى منزل عائشة بناه، وهكذا سائر بيوته «صلى الله عليه وآله» بناها في أوقات مختلفة.

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٣١٢، وسنن النسائي ج ٨ ص ١١١، والإصابة ج ٢ ص ٥١٢، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٠٩، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٣٩، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٢، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٧٨.

الله، ولم يزل ولا يزال يعمل من أجل دينه وعقيدته بإخلاص ووعي، كان انتصار النبي «صلى الله عليه وآله» له من هذا المنطلق بالذات، حينما تهدده بعض من كان يدل عمله وتصرفاته، وتجاهفه عن الغبار والتراب على أنه ليس بالمستوى المطلوب، بل ربما كان للدنيا بالنسبة إليه المقام الأول، كما ربما يستفاد من أفعاله اللاحقة، فانتصر النبي «صلى الله عليه وآله» لعمار، ليدل على أنه منسجم مع جهاده، ومع وعيه وإخلاصه لدينه وعقيدته.

هذا، ولا بد من التنبيه أخيراً، إلى أن عثمان قد حاول تعيير وتحقير عمار بنسبته إلى أمه، حيث قال له: «يا ابن سمية بمن تعرض؟ الخ..» مع أن أم عمار كانت أول شهيد في الإسلام، حيث قتلت بفعل التعذيب من أجل دينها وعقيدتها.

وقد أشار النبي «صلى الله عليه وآله» في انتصاره لعمار ومحاماته عنه إلى المقام الشامخ لأمه الصابرة المجاهدة سمية «رحمها الله» فينسبه إليها، ويقول: «يا ابن سمية لا يقتلك أصحابي الخ..».

لماذا المسجد أولاً:

إن من الملاحظ: أن أول عمل بدأ به «صلى الله عليه وآله» في المدينة هو بناء المسجد، وهو عمل له دلالة وأهميته البالغة. وذلك لأن المسلمين كانوا فئتين: مهاجرين وأنصاراً، وتختلف ظروف كل من الفئتين، وأوضاعها النفسية، والمعنوية، والمعيشية، وغير ذلك عن الفئة الأخرى.

والمهاجرون أيضاً كانوا من قبائل شتى، ومستويات مختلفة: فكراً،

.....
اجتماعياً، مادياً، ومعنوياً، كما ويختلفون في طموحاتهم، وتطلعاتهم، وفي مشاعرهم، وفي علاقاتهم، ثم في نظرة الناس إليهم، ومواقفهم منهم، وتعاملهم معهم، إلى غير ذلك من وجوه التباين والاختلاف، وقد ترك الجميع أوطانهم وأصبحوا بلا أموال، وبلا مسكن، إلى غير ذلك مما هو معلوم، وكذلك الأنصار؛ فإنهم أيضاً كانوا فئتين متنافستين، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق وقدم إلى عهد قريب.

وقد أراد الإسلام أن ينصهر الجميع في بوتقة الإسلام ليصبحوا كالجسد الواحد، في توادهم وفي تراحمهم وتعاونهم، وغير ذلك، وأن تتوحد جهودهم وأهدافهم، وحركتهم، ومواقفهم، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى إعداد وتربية نفسية، وخلقية، وفكرية لكل هذه الفئات، لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض، ولتكون في مستوى المسؤولية، التي يؤهلها لها في عملية بناء للمجتمع المتكافل المتناسك الذي هو نواة الأمة الواحدة التي لها رب واحد وهدف واحد، ومصير واحد.

وليصبح هذا المجتمع قادراً على تحمل مسؤولية حماية الرسالة، والدفاع عنها، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدي اليهود في المدينة، والعرب والمشركين، بل والعالم بأسره، لا بد أن تنصهر كل الطاقات والقدرات الفكرية والمادية وغيرها لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف: الرسالة فقط. والمسجد هو الذي يمكن فيه تحقيق كل ذلك، إذ لم يكن مجرد محل للعبادة فقط ولا غير، بل كان هو الوسيلة الفضلى للتثقيف الفكري، إن لم نقل: إنه لا يزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة والفكر والرأي، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدر واحد، وتخدم هدفاً واحداً في جميع

مراحل الحياة، مع الشعور بالقدسية، والارتباط بالله تعالى. وهكذا فإن ذلك من شأنه أن يبعد المجتمع المسلم عن الصراعات الفكرية، التي تنشأ عن عدم وجود وحدة موضوعية للثقافة التي يتلقاها أفرادها كل على حدة، فتتخالف المفاهيم والأفكار والمستويات، وتزيد الفجوات اتساعاً باستمرار، حتى يظهر نتيجة لذلك عدم الانسجام في وضوح الهدف، وفي المشاعر، وفي الاندفاع نحوه، مما يؤثر تأثيراً كبيراً على مسيرة الوصول إليه، والحصول عليه.

وبهذا يتضح: أن المدرسة التي نعرفها اليوم إذا كانت لا تعطي إلا المفاهيم الجافة، والأفكار البعيدة عن واقع الإنسان، والتي لا تنسجم مع احتياجاته، ولا مع تكوينه النفسي والفكري وغير ذلك، بالإضافة إلى عدم الشعور فيها بالله سبحانه وتعالى، أو الخضوع له، فإن هذه المدرسة لن تكون هي الوسيلة المنشودة، بل يكون المسجد هو الأفضل والأمثل حسبما أوضحناه، لا سيما وأنها لن تكون قادرة على ملء الفراغ العقائدي والفكري له، حيث يبقى عرضة للتيارات والأهواء، وفي متناول أيدي المتاجرين بالشعوب عن طريق وسائل الإعلام الهدامة التي يملكونها.

وأما استعمال وسائل الإعلام في عملية الإعداد والتربية، فإنها بالإضافة إلى ما تقدم، تجعل الإنسان إنطوائياً ومحدوداً يفكر تفكيراً شخصياً بشكل عام، وتقلل فيه إحساسه بالحاجة إلى الآخرين، وإلى الارتباط بهم، ولا تسهل عليه محبتهم ومودتهم.

وخلاصة الأمر: أن العمل الاجتماعي عبادة، والجهاد عبادة، والعمل السياسي حتى استقبال الوفود، وتدبير أمور المسلمين عبادة أيضاً.

وهكذا يقال في علاقات المؤمنين بعضهم ببعض، وتراورهم وحضورهم مجلس الرسول «صلى الله عليه وآله» وتعلمهم الأحكام، فإن كل ذلك وسواه عبادة أيضاً.

والمسجد هو أجلى وأفضل موضع تتجلى فيه هذه العبادة، كما أن المسجد هو الوسيلة الفضلى للتثقيف، وللتربية النفسية، والخلقية، والعقائدية.

وهو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصداقات، وبث روح المحبة والمودة بين المسلمين، فإنه حينما يلتقي المسلمون ببعضهم البعض عدة مرات يومياً في جو من الشعور - عملاً - بالمساواة والعدل، وحينما تتساقط كل فوارق الجاه والمال، وغيرها، ويتعد شبح الأنانية والغرور عن أفق هذا الإنسان، فإنه لا بد أن تترسخ حينئذٍ فيما بين أفراد هذا المجتمع أواصر المحبة والتآخي والتآلف، ويشعر كل من أفرادها بأنه في مجتمع يبادله الحب والحنان، وأن له إخواناً يهتمون به، ويعيشون قضاياهم ومشاكله، ويمكنه أن يستند إليهم، ويعتمد عليهم، الأمر الذي يجعل هذا المسلم يثق بنفسه وبدينه، وبأمته، ويكون المثال الحي للمؤمن الصادق الواعي والواثق، ولتكون الأمة من ثم خير أمة أخرجت للناس.

ثم إن المسجد يساعد على تبسيط العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، ويقلل من مشاكل التعامل الرسمي، والتكلفات البغيضة، التي توحى بوجود فوارق ومميزات، بل وحدود تفصل هذا عن ذلك، وبالعكس.

وبعد.. فإن اهتمام الإسلام بالمسجد وتأسيسه، حتى إن ذلك كان أول أعماله «صلى الله عليه وآله» في قباء، ثم في المدينة، ليدلنا دلالة واضحة على

أنه يريد منا أن نتعامل مع هذه الدنيا، ونستفيد منها من منطلق ديني، فإنما هي مزرعة الآخرة، فلا بد أن تقاد قيادة إلهية ويستفاد منها من خلال الارتباط به تعالى.

وبعدما تقدم، فإننا نعرف: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أسس المسجد ليكون بمثابة مركز للقيادة والريادة، ففيه كان «صلى الله عليه وآله» يستقبل الوفود، ويبت في أمور الحرب والسلم، ويفصل الخصومات، وفيه كان يتم البحث عن كل ما يهم الدولة وشؤونها، والناس، ومعاملاتهم وارتباطاتهم، وليهب المسجد الناس نفحة روحية، وارتباطاً بالله جل وعلا، وبعضهم البعض في كل مجالات الحياة، ومنطلقاتها، بعيداً عن النوازع الذاتية، وعن الحساسيات القبلية والعرقية، وعن تأثيرات الفوارق الاجتماعية، وفيه كان يجد الضعيف قوته، والمهموم المغموم سلوته، والذي لا عشيرة له ينسى بل يجد فيه عشيرته، والمحروم من العطف والحنان يجد فيه من ذلك بغيته.

والخلاصة: لقد كان المسجد موضع عبادة وتعلم وتفهم لما يفيد في أمور الدين والدنيا، وتربية نفسية وخلقية، ومحلا للبحث في كل المشاكل التي تهم الفرد والمجتمع، ومكاناً مناسباً للتعارف والتآلف بين المسلمين.. إلى غير ذلك مما تقدم.

مشاركة النساء في بناء المسجد:

وبعد.. فقد ورد في بعض النصوص: أن النساء قد شاركن في بناء

المسجد، فكن يحملن الحجارة لبناء المسجد ليلاً، والرجال نهاراً^(١).

ونشير هنا إلى أمرين:

أحدهما: إن مشاركة المرأة في أمر كهذا، له مساس بالحالة السياسية والاجتماعية والعبادية، يعتبر أمراً مهماً جداً، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن المرأة لم يكن لها أي دور في الحياة وكان العربي يحتقرها، ويمارس ضدها أبشع أنواع المعاملة، كما تقدمت الإلماحة إلى ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الثاني: إن هذه المشاركة قد روعي فيها عنصر الحفاظ على الجو الخاص بالمرأة، بعيداً عن أجواء الإثارة التي لا بد وأن تترك آثارها السلبية على المجتمع، نتيجة للاختلاط، وعدم التحفظ، الذي ينشأ عن عملهن نهاراً في مرأى ومسمع من الرجال الأجانب.

مشاركة النبي ' في بناء المسجد:

ولقد كان المسلمون قادرين على القيام بمهمة بناء المسجد، ولم تكن ثمة حاجة مادية لمشاركته «صلى الله عليه وآله»، ولكنه «صلى الله عليه وآله» قد آثر المشاركة في عملية البناء، الأمر الذي أثار الحماس لدى المسلمين، فاندفعوا يعملون بجد ونشاط، وكان نشيدهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل لئذاك منا العمل المضلل
كما أن هذه المشاركة قد أعطت قيمة خاصة للعمل، وعبرت عن مدى ارتباط النبي «صلى الله عليه وآله» به وحبّه له، وفوق ذلك، فإنه قد بين بذلك

(١) راجع: كشف الأستار عن زوائد البزار ج ١ ص ٢٠٦ و ٢٢٢ و ٢٤٩ ومجمع الزوائد.

الخط العام لشخصية القائد في الإسلام، وأنه يجب أن يكون شعوره بالمسؤولية تجاه العمل يتعدى حدود إصدار الأوامر إلى الآخرين، ولا سيما إذا كان ذلك يرتبط بالهدف الأقصى، والمصلحة العليا للإسلام وللمسلمين.

ثم إنه كان يريد أن يكون ذلك الإنسان المتواضع المحب للناس، الألوف لهم، ويكون معهم كأحدهم، فلا يستعلي عليهم، ولا يحتجب عنهم، وليكون ذلك هو الدرس العملي لمن يعاصره «صلى الله عليه وآله» من أصحاب النفوذ، وتأديباً لمن يأتي بعده من حكام وخلفاء وغيرهم.

جماعة خاصة بالنساء:

ويقولون: إنه كان للنساء جماعة خاصة بهن، فكان الرجال يصلون في المسجد والنساء يصلين في رحبة المسجد بإمامة سليمان بن أبي حثمة، وحين تسلم عثمان الخلافة جمع بين الرجال والنساء^(١).

والظاهر: أن الفصل بين النساء والرجال قد جاء بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» وأصل هذا الفصل قد كان في زمن عمر بن الخطاب، وفي صلاة التراويح التي ابتدئها^(٢) ثم عاد عثمان فجمع بين النساء والرجال.

فلما كانت خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» عاد ففصل بين الرجال والنساء، وصار يصلي بالنساء رجل اسمه عرفجة^(٣).

ولكن هناك إشكال في هذه الروايات وهو أنها تذكر: أن علياً «عليه

(١) حياة الصحابة ج ٢ ص ١٧١ وطبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٦.

(٢) راجع: التراتيب الإدارية ج ١ ص ٧٣ عن الطبقات.

(٣) حياة الصحابة ج ٣ ص ١٧١ عن كثر العمال ج ٤ ص ٢٨٢ عن البيهقي.

..... :

السلام» قد فعل ذلك في قيام شهر رمضان، أي في الصلاة المعروفة بصلاة التراويح.

ومن المعلوم: أن علياً «عليه السلام» كان يعتبر ذلك بدعة، وكان يمنع عنه^(١) فكيف يفعلُه؟

فالصحيح هو: أن ما فعله «عليه السلام» إنما كان في الصلوات اليومية لا في صلاة التراويح.

كانت تلك بعض المعاني التي نستفيدها من عملية بناء المسجد، ولربما نجد الفرصة للتحدث عن ذلك في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

(١) دلائل الصدق ج ٣ القسم الثاني ص ٧٩، ولكنهم لم يستجيبوا لمنعه <عليه السلام>.

..... :

الفصل الثالث:

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

المواخاة:

وبعد خمسة أو ثمانية أشهر أو أقل، أو أكثر^(١) من مقدمه «صلى الله عليه وآله» المدينة، آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار. وزاد ابن سعد: أنه «صلى الله عليه وآله» آخى في نفس الوقت بين المهاجرين والمهاجرين^(٢).

آخى بينهم على الحق والمواساة (وقيل: والتوارث) فنزلت سورة الأنفال التي تجعل الإرث لأولي الأرحام قبل أن يموت أحد من المتأخين^(٣)؛ لأن أول من مات من المهاجرين - كما يقولون - هو عثمان بن

(١) راجع البحار ج ١٩ ص ١٢٢، وهامش ص ١٣٠ عن مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٥٢، وعن المقرئ، عن المنتقى في مولود المصطفى، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٧١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥، عن أسد الغابة، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٢.

(٢) طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ١ قسم ٢ ص ١.

(٣) راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي <رحمه الله> ج ١٩ هامش ص ١٣٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٢ و ٩٣.

مظعون، مات بعد بدر^(١).

المؤاخاة على التوارث موضع شك:

ونحن نشك في أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد آخى بينهم على التوارث:

أولاً: لأن رفع هذا الحكم إن كان نسخاً، فلا معنى للنسخ قبل حضور وقت العمل، كما أنه يلزم أن يكون تشريع التوارث للمتأخين عبثاً، وبلا فائدة.

إلا أن يقال: إن نفس جعل الحكم، وأن يعيش المسلمون هذه الأجواء الأخوية، والشديدة التلاحم إلى هذا الحد، كان ضرورياً في تلك الفترة من الزمن.

ولكن الذي تطمئن إليه النفس هو أن نفس المسلمين، أو بعضهم، هم الذين تخيلوا أن هذه الأخوة ربما تمتد إلى حد توريث بعضهم من بعض.

ثانياً: لماذا لم يورث النبي «صلى الله عليه وآله» ممن استشهدوا في بدر من المهاجرين أو الأنصار، مع أن ذلك قد كان قبل نزول آية {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ...}؟^(٢)، حيث إن قولهم: إنه لم يمت أحد من المؤمنين قبل عثمان بن مظعون، الذي مات بعد بدر، لا يصح، إذ قد استشهد في بدر نفسها عدد منهم، نعم يمكن أن يكون عثمان بن مظعون أول مسلم مات حتف أنفه، أو لعله أول مسلم مات من المهاجرين.

(١) الإصابة ج ٢ ص ٤٦٤، والكامل لابن الأثير (ط صادر) ج ٢ ص ١٤١.

(٢) الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

.....
ثالثاً: إن كون عثمان بن مظعون مات بعد نزول الآية الرافعة للحكم السابق غير معلوم، وإنما ذلك محض اجتهاد من المؤرخين والمؤلفين.

عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم:

ويقولون: كان المسلمون حين المؤاخاة تسعين رجلاً، منهم خمسة وأربعون رجلاً من الأنصار، ومثلهم من المهاجرين، ويدعي ابن الجوزي: أنه أحصاهم فكانوا جميعاً ستة وثمانين رجلاً.
وقيل: مئة رجل^(١).

ولربما يكون هذا هو العدد الذي وقعت المؤاخاة بين أفرادها حسبما توفر من عدد المهاجرين، لا أن عدد المسلمين كان هو ذلك؛ وإلا فإنها تكون صدفة نادرة أن يكون عدد من أسلم من المهاجرين مساوياً لعدد من أسلم من الأنصار بلا زيادة ولا نقصان!!

ومهما يكن من أمر: فإن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» استمر يجدد المؤاخاة، بحسب من يدخل في الإسلام، أو يحضر إلى المدينة من المسلمين^(٢) ويدل على ذلك، أنهم يذكرون: أنه «صلى الله عليه وآله» قد آخى بين أبي ذر والمنذر بن عمرو أو سلمان الفارسي، وأبو ذر إنما قدم المدينة بعد أحد، كما أنه قد آخى بين الزبير وابن مسعود، وقد وصل ابن مسعود إلى المدينة

(١) راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٠، والبحار ج ١٩ ص ١٣٠ عن المنتقى، والمقريري.

(٢) فتح الباري ج ٧ ص ٢١١.

.....
والنبي «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى بدر^(١).

ولكن، ربما يشكل على العدد المذكور في قضية المؤاخاة: بأن المسلمين كانوا أكثر من ذلك بكثير، فقد بايعه من أهل المدينة في العقبة الثانية أكثر من ثمانين، كما أنه جهز جيشاً بعد عشرة أو ثلاثة عشر شهراً إلى بدر قوامه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

ويمكن الجواب:

أولاً: بما ذكره البعض من أن المؤاخاة كانت بين مئة وخمسين من الأنصار، ومئة وخمسين من المهاجرين^(٢).

ثانياً: لو قلنا بعدم صحة ذلك؛ لأن الذين خرجوا من المهاجرين إلى بدر كانوا ما بين الستين والثمانين - على اختلاف النقل - فإننا نقول: إن المذكور في النص هو العدد المهاجري الذي وقعت المؤاخاة بينه وبين نظيره من الأنصار، وقد كان الأنصار أكثر بكثير من المهاجرين، والمهاجرون هم الذين كانوا خمسة وأربعين، على ما يظهر، فكانت المؤاخاة بين هؤلاء وبين مثلهم من الأنصار، ثم استمرت المؤاخاة كلما ازداد عدد المهاجرين، حتى بلغوا مئة وخمسين رجلاً، كما في النص الآنف الذكر.

وذلك لا يعني أن يبقى الآخرون من مسلمي الأنصار من دون مؤاخاة فيما بينهم.

(١) فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٢) راجع: البحار ج ١٩ ص ١٣٠.

المؤاخاة بين كل ونظيره:

ولقد كان «صلى الله عليه وآله» يؤاخي بين الرجل ونظيره، كما يظهر من ملاحظة المؤاخاة قبل الهجرة، وبعدها، فقد آخى قبل الهجرة - على الظاهر - بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين نفسه وعلي^(١).

ولكن ابن حبان يذكر: أن ذلك كان في المؤاخاة الثانية في المدينة، وزاد فيهم: سعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر^(٢) وهؤلاء كلهم من المهاجرين. وفي المدينة آخى بين أبي بكر وخارجة بن زهير، وبين عمر وعتبان بن مالك، وهكذا.. ثم أخذ بيد علي فقال: هذا أخي..؟ وآخى أيضاً بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل. قد أورد على هذا الأخير بأن جعفر كان حينئذٍ في الحبشة^(٣).

والجواب عنه: هو ما تقدم، من أنه «صلى الله عليه وآله» قد استمر يؤاخي بين المسلمين كلما قدم المدينة منهم أحد. وقد أجاب البعض: بأنه أرصده لأخوته حين يقدم^(٤). فيرد سؤال: ما هو السبب في تخصيص جعفر بهذا الأمر؟!

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١، والإستيعاب.

(٢) الثقات ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٢.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥١، والسيرة الحلبية، وغير ذلك.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩١.

إلا أن يقال: إن المقصود هو إظهار الاهتمام بشأن جعفر، والتنبيه على فضله.

مؤاخاة النبي ' لعلي ' × :

وروى أحمد بن حنبل وغيره: أنه «صلى الله عليه وآله» آخى بين الناس، وترك علياً حتى الأخير، حتى لا يرى له أخاً؛ فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني؟

فقال: إنما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد، فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدعيها بعدك إلا كذاب، والذي بعثني بالحق، ما أخرجت إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي^(١).

ومن طريف الأمر: أنه «عليه السلام» قد قال هذه الكلمة بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»: أنا عبد الله وأخو رسوله، وذلك في خضم الأحداث التي انتهت بغضب الخلافة من وارث النبي «صلى الله عليه وآله»، فكذبوه؟!

وقالوا له: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا^(٢)، فاعجب بعد هذا

(١) راجع: نهج الحق في ضمن دلائل الصدق ص ٢٦٧، وينايع المودة ص ٥٦، وتذكرة الخواص ص ٢٣ عن أحمد في الفضائل، وصححه، وابن الجوزي، ونقل عن كثر العمال ج ٦ ص ٣٩٠، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩، وتاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢١، وكفاية الشنقيطي ص ٣٥ و ٤٤ والثقات ج ١ ص ١٤١ و ١٤٢.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣، وأعلام النساء ج ٤ ص ١١٥، وتفسير البرهان ج ٢ ص ٩٣.

ما بدالك!!

وقوله «صلى الله عليه وآله»: وأنت أخي ووارثي يطرح علينا سؤالاً، وهو أنه إذا كان المراد: أنه وارث لعلم النبي «صلى الله عليه وآله» دون غيره، فمن أولى بمقام النبي «صلى الله عليه وآله» منه؟! وإن كان المراد: أنه وارثه بقول مطلق، حتى المال، فيرد عليه: أن المال كان حقاً لفاطمة «عليها السلام»^(١)، وقد استولى الذين جاؤوا بعد النبي «صلى الله عليه وآله» على أموالها، ومنها فذك وغيرها كما سنذكره حين الكلام حول غزوة بني النضير في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. ومهما يكن من أمر، فإن التأمل في عملية المؤاخاة يعطينا: أنه قد لوحظ فيها المساخنة بين الأشخاص، وتشابهه وتلاؤم نفسياتهم، وإلى ذلك أشار الأزري رحمه الله حينما قال مخاطباً علياً «عليه السلام»:
لك ذات كذاته حيث لولا أنها مثلها ما آخاها

تواتر حديث المؤاخاة:

وعلى كل حال، فإن حديث المؤاخاة متواتر لا يمكن إنكاره، ولا التشكيك فيه، ولا سيما مؤاخاة النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، سواء في المؤاخاة الأولى في مكة، أم في الثانية في المدينة، وهو

(١) راجع: الكافي ج ١ ص ٤٥٨ بتحقيق الغفاري، والبحار (ط حجرية) ج ٨ ص ٢٣١ و(ط جديدة) ج ١٠٠ ص ١٩٧، وكشف الغمة ج ٢ ص ١٣٢، والأمل للطوسي ج ١ ص ١٠٨، والعوالم ج ١١ ص ٥١٨، والأمل للمفيد (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص ٢٨٣، وراجع: مرآة العقول ج ٥ ص ٣٣١، وغير ذلك.

مروي عن عشرات من الصحابة والتابعين كما يتضح للمراجع^(١).
وقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: إذا

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨، وينايع المودة ص ٥٦ و ٥٧ عن مسند أحمد، وتذكرة الخواص ص ٢٢ - ٢٤، وحكي عن الترمذي أنه صححه، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و ٩٠، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨، وفرائد السمطين ج ١ الباب العشرون، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ و ٢٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٦ وج ٧ ص ٣٥، وتاريخ الخلفاء ص ١٧٠، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٧٠ عن كنز العمال، وعن البيهقي في سننه، والضياء في المختارة، وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند ثمانية أحاديث، وأبيه في المسند وفي الفضائل، وأبي يعلى والطبراني، وابن عدي، والجمع بين الصحاح الستة، وأخرج الخوارزمي اثني عشر حديثاً، وابن المغازلي ثمانية أحاديث، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٠، والغدير ج ٣ ص ١١٢ حتى ص ١٢٥ عن بعض من تقدم وعن المصادر التالية: جامع الترمذي ج ٢ ص ١٣، ومصابيح البغوي ج ٢ ص ١٩٩، والإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، ترجمة أمير المؤمنين، وعد حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، وتيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١، ومشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ٥ ص ٥٦٩، والمرقاة ص ٧٣ - ٧٥، والإصابة ج ٢ ص ٥٠٧، والمواقف ج ٣ ص ٢٧٦، وشرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣، وطبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥، وتاريخ القرماني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٦، وسيرة دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٣٢٥، وكفاية الشنقيطي ص ٣٤، والإمام علي تأليف محمد رضا ص ٢١، والإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود ص ٧٣، والفتاوى الحديثية ص ٤٢، وشرح النهج ج ٢ ص ٦٢، وصححه وعده مما استفاض من الروايات، وكنز العمال ج ٦ ص ٢٩٤ و ٢٩٩ و ٣٩٠ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٥٤.

كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم
الأخ أخوك علي بن أبي طالب^(١).

وعليه فلا يصغى لدعوى أن النبي قد آخى بين علي وعثمان^(٢)، أو بين
نفسه «صلى الله عليه وآله» وعثمان؛ فإن ذلك لا ريب في بطلانه^(٣)؛ فإن
المقصود من ذلك هو الرفع من شأن عثمان، وتكذيب فضيلة لعلي «عليه
السلام»، بل وجعل عثمان وعلي «عليه السلام» في مستوى واحد، وكيف؟!
وأنى؟!

تكنية علي × بأبي تراب:

ويذكر البعض هنا: أن علياً «عليه السلام» لما رأى أنه «صلى الله عليه
وآله» لم يؤاخ بينه وبين أحد، خرج كئيباً إلى المسجد، فنام على التراب؛
فجاءه «صلى الله عليه وآله»، فجعل ينفض التراب عن ظهره، ويقول: قم يا
أبا تراب، ثم آخى بينه وبين نفسه^(٤).

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٨٠٧ و ٨٠٨.

(٢) تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧، والغدير ج ٩ ص ٩٤ و ٩٥ و ٣١٨ عن الرياض
النضرة ج ١ ص ١٧ وعن الطبري ج ٦ ص ١٥٤، وعن كامل ابن الأثير ج ٣
ص ٧٠، وعن المعتزلي ج ١ ص ١٦٥، ولكنه في ج ٢ ص ٥٠٦ ذكر نفس الحديث
عن الطبري من دون ذكر الموأخاة!!!.

(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٤٧، والغدير ج ٩ ص ١٦ عنه.

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ عن الطبراني في
الكبير والأوسط، ومناقب الخوارزمي ص ٧، وكفاية الطالب ص ١٩٣ عن ابن عساكر.

ولكن الظاهر هو أن هذه التسمية قد كانت في مناسبة أخرى غير هذه،
ولسوف نتعرض لها حين الحديث عن السرايا في الآتي القريب إن شاء الله
تعالى.

مع المنكرين لمؤاخاة النبي ' لعلي ' × .

وبعد كل تلك المصادر المتقدمة، والتي هي غيضة من فيض، نجد ابن
حزم وابن كثير ينكران صحة سند حديث المؤاخاة^(١)، وأنكره أيضاً ابن
تيمية، واعتبره باطلاً، موضوعاً، بحجة أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
إنما كانت لإرفاق بعضهم ببعض، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا
معنى لمؤاخاة النبي «صلى الله عليه وآله» لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري
لمهاجري^(٢).

ونقول:

إن إنكار سند حديث مؤاخاة النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه
السلام» لا معنى له، بعد أن صححه كثير من الأعلام، وبعد أن تواتر في كتب
سائر المسلمين عن عشرات الصحابة والتابعين وغيرهم، ولا سيما إذا كان هذا
الإنكار من الأبناء الثلاثة: كثير، وحزم، وتيمية، المعروفين بالنصب، والتعصب
ضد فضائل علي، وأهل بيته الطاهرين «عليهم السلام».

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٣ و ٣٣٦.

(٢) راجع: منهاج السنة ج ٢ ص ١١٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧، وفتح الباري
ج ٧ ص ٢١١، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، والسيرة الحلبية ج ٢
ص ٢٠، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢.

وأما ما ذكره ابن تيمية تعليلاً لإنكاره، فنحن نذكر:
أولاً: ما أجاب به غير واحد: «من أن هذا رد للنص بالقياس، وغفلة
عن حقيقة الحكمة في ذلك.

وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة، والارتفاق
ممكن، فأخى بينهم ليعين بعضهم بعضاً، ثم طبقوا هذا الاحتمال على علي
«عليه السلام» والنبي، لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقوم بأمر علي «عليه
السلام» قبل البعثة»^(١).

فمرادهم أن التآلف والمحبة مطلوبان أيضاً بين المهاجرين؛ لأنهم كانوا
من فئات مختلفة، ومستويات متفاوتة: عقائدياً وفكرياً، واجتماعياً إلخ..
بل لقد صرح نص المؤاخاة بأنها كانت على الحق والمواساة، ويحتاج
المهاجرون إلى أن يواسي بعضهم بعضاً.

كما أنه قد هاجر من قبيلة رجل واحد، ومن أخرى عشرة مثلاً،
فالواحد يحتاج إلى العشرة في معونتهم ورعايتهم، ثم إنهم يدعون: أن بعض
المهاجرين قد حمل ماله معه؛ فيمكن أن يعين بعضهم بعضاً حتى بالمال إن
صحت دعواهم تلك.

ولكننا لا نوافق على قولهم الأخير بالنسبة لعلي «عليه السلام» والنبي
«صلى الله عليه وآله»، لأن علياً «عليه السلام» قد بلغ منزلة يستطيع معها

(١) راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١، والسيرة الحلبية
ج ٢ ص ٢٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، والغدير ج ٣ ص ١٧٤ -
١٧٥ عن الفتح وعن الزرقاني في المواهب ج ١ ص ٣٧٣.

أن يعول نفسه بالعمل، والحصول على ما يحتاج إليه، أو بالزراعة، أو التجارة بل والغنائم أيضاً.

وإنما الغرض من مؤاخاة الرسول «صلى الله عليه وآله» له، هو تعريف الناس بمنزلته، وإظهار فضله على غيره، لأنه كان يواخي بين الرجل ونظيره، كما يظهر من دراسة عملية المؤاخاة نفسها، لأن ذلك أقرب إلى التعاضد والتعاون، وأوجب للتآلف والمحبة^(١).

ثانياً: قد أخرج الحاكم، وابن عبد البر، بسند حسن: أن النبي «صلى الله عليه وآله» آخى بين الزبير وابن مسعود، وهما من المهاجرين، وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني. ويصرح ابن تيمية: بأن «أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرک»^(٢).

ولكن لا بد أن يكون ذلك بعد قدوم ابن مسعود إلى المدينة، لأنه كان من مهاجري الحبشة، وإنما قدم المدينة بعد قضية المؤاخاة العامة، وذلك حين كان «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى بدر^(٣).

وآخى أيضاً - على ما ذكره البعض - بعد الهجرة بين أبي بكر وعمر، وعثمان و عبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص

(١) راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٢) فتح الباري، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨، والغدير ج ٣ ص ١٧٤ و ١٧٥ عن الفتح، وعن شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٣٧٣.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

وعمار بن ياسر، وبينه «صلى الله عليه وآله» وبين علي «عليه السلام»^(١).
كما وثبتت أيضاً مؤاخاة زيد بن حارثة لحمزة، وهما مهاجريان، ولذا -
يقولون - إنه قد تنازع زيد وعلي وجعفر في ابنة حمزة، وكانت حجة زيد: أنها
ابنة أخيه^(٢).

ونحن نشك في هذه القضية، لأن جعفر لم يكن حين قتل حمزة حاضراً،
فما معنى أن تبقى ابنة حمزة عدة سنوات بلا كفيل، وإن كانت عند علي فلماذا
لم ينازعه زيد؟ وإن كان العكس فلماذا لم ينازعه علي «عليه السلام»؟
ومهما يكن من أمر فإن قضية الخلاف حول من يكفل ابنة حمزة تحتاج إلى
تحقيق وتمحيص، نسال الله أن يوفقنا لذلك في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

مع قضية المؤاخاة:

ألف: البديل الأنسب:

إن من الواضح: أن هؤلاء الذين أسلموا قد انفصلوا عن قومهم،
وعن إخوانهم، وعن عشائرهم بصورة حقيقية وعميقة، وقد واجههم حتى

(١) الثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨ - ١٤٢ وراجع: الغدير ج ١٠ ص ١٠٣ - ١٠٧
فإنه ذكره عن غير واحد، وراجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، ووفاء الوفاء ج ١
ص ٢٦٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥،
وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١، والإستيعاب وذكر عثمان، وقد كان في الحبشة، وكذا
عبد الرحمن بن عوف، يؤيد: أن ذلك كان في المؤاخاة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة.
(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٧ ط الميمنية، ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٢٠،
وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وغير ذلك من المصادر.

أحب الناس إليهم بأنواع التحدي والأذى؛ فأصبحوا وقد انقطعت
علائقهم بذوي رحمهم وصاروا كأنهم لا عصبه لهم، وقد يشعر بعضهم أنه
قد أصبح وحيداً فريداً، وبلا نصير ولا عشيرة، فجاءت الأخوة الإسلامية
لتسد هذا الفراغ بالنسبة إليهم، ولتبعد عنهم الشعور بالوحدة، وتبعث في
نفوسهم الأمل والثقة بالمستقبل، وقد بلغ عمق تأثير هذه المؤاخاة فيهم أن
توهموا: عموم المنزلة حتى في الارث كما ألمحنا إليه.

ب: سمو بالعلاقات الإنسانية:

لقد أريد للمسلمين المؤمنين أن يكونوا إخوة، وذلك بهدف سمو
بعلاقات هذا الإنسان عن المستوى المصلحي وجعلها علاقة إلهية خالصة
تصل إلى درجة الأخوة، وليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية
وانسجاماً، وبعيداً عن النوازع النفسية، التي ربما توحى للأخوين المتعاونين
بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما ولو نفسياً على أقل تقدير.
ورغم أن الإسلام قد قرر ذلك، وأكد على أن المؤمن أخو المؤمن أحب
أم كره، وحمله مسؤولية العمل بمقتضيات هذه الأخوة، إلا أنه قد كان ثمة
حاجة إلى إظهار ذلك عملياً، بهدف توثيق عرى المحبة وترسيخ أواصر
الصدقة والمودة كما هو معلوم، وليكون الهدف السامي قد انطلق من
العمل السامي أيضاً.

ج: دور المؤاخاة في بناء المجتمع الجديد:

لقد كان الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بصدد بناء مجتمع
جديد، يكون المثل الأعلى للصالح والفلاح، قادراً على القيام بأعباء الدعوة

إلى الله، ونصرة دينه، في أي من الظروف والأحوال.

وقد تقدمت - عند البحث عن عملية بناء المسجد - الإشارة إلى واقع وجود الفوارق الكبيرة بين المهاجرين أنفسهم، والأنصار أنفسهم، والمهاجرين والأنصار معاً - الفوارق - الاجتماعية، والقبلية، والثقافية، والنفسية، والعاطفية، وحتى العمق العقيدي ومستوى الالتزام، فضلاً عما سوى ذلك، هذا بالإضافة إلى الظروف النفسية والمعيشية التي كان يعاني منها المهاجرون بالخصوص.

ومع ملاحظة حجم التحدي، الذي كان يواجهه هذا المجتمع الناشئ الجديد، سواء في الداخل: من الخلافات بين الأوس والخزرج، الذين كان الكثيرون منهم لا يزالون على شركهم، ثم من المنافقين، ومن يهود المدينة. ومن الخارج: من اليهود، والمشركين في جزيرة العرب، بل والعالم بأسره. ومع الأخذ بنظر الاعتبار عظم المسؤولية التي يتحملها هذا المجتمع في صراعه من أجل إقامة هذا الدين الجديد والدفاع عنه.

مع ملاحظة كل ذلك، وحيث أصبح من المفترض بهذا المجتمع أن يكون بمثابة كتلة واحدة متعاضدة، و مترابطة، بعد أن كانوا أحزاباً وجماعات وأفراداً فكان لا بد من إيجاد روابط وثيقة تشد هذا المجتمع بعضه إلى بعض، وبناء عواطف راسخة، قائمة على أساس عقيدي، تمنع من الإهمال ومن الحيف على أي فرد من أفراد هذا المجتمع الجديد بحيث يكون الكل مشمولين بالرعاية التامة، التي تجعلهم يعيشون الحب والحنان بأسمى وأجل معانيه، كما أنها تمنع من ظهور تلك الرواسب النفسية، والعقد التاريخية - بل وتقضي عليها تدريجاً - بين أفراد هذا المجتمع، الذي أصبح

أفراده مأخوذين بالتعامل مع بعضهم البعض، الأمر الذي يجعل خطر ظهورها - لأتفه الأسباب - أشد، وتدميرها أعظم وأوسع.

وكانت تلك الرابطة الوثيقة هي: «المؤاخاة» التي روعيت فيها الدقة، إلى الحد الذي يضمن معه أن يحفظ في هذا المجتمع الجديد معها التماسك والتعاقد إلى أبعد مدى ممكن وأقصى غاية تستطيع؛ لا سيما وأنه كان يؤاخي بين الرجل ونظيره، كما أشرنا إليه.

وسر ذلك يرجع إلى أن هذه المؤاخاة قد أقيمت على أساسين اثنين:

الأول: الحق:

فالحق هو القاسم المشترك بين الجميع، عليه يبنون علاقاتهم، وهو الذي يحكم تعاملهم مع بعضهم البعض في مختلف مجالات الحياة.

نعم، الحق هو الأساس، وليس الشعور الشخصي النفسي، ولا المصلحة الشخصية أو القبلية، أو الحزبية!!

وبديهي: أن الحق إذا جاء عن طريق الأخوة والحنان والعطف، فإن ذلك يكون ضماناً لبقائه واستمراره، والتعلق به، والدفاع عنه.

أما إذا فرض هذا الحق فرضاً عن طريق القوة والسلطة، فبمجرد أن تغيب السلطة، والقوة، فلنا أن نتوقع غياب الحق، لأن ضمانته بقاءه ذهبت، فأبي مبرر يبقى لوجوده، وبقائه؟!.

بل ربما يكون وجوده وبقاؤه مثاراً للأحقاد والإحن التي ربما يتولد عنها الظلم والطغيان في أبشع صورته وأخزائها، وأسوأ حالاته وأقصاها.

الثاني: المفااساة:

فهذه الأءوة إذا؁ ليست مجرد توهج عاطفة؁ أو شعور نفسي؁ وإنما هي أءوة مسؤولة ومنتجة؁ تترتب عليها آثار عملية بالفعل؁ يحس الإنسان فعلاً بجدواها وبفعاليتها؁ تماماً كالأءوة التي في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} (١).

حيث جعل مسؤولية الصلح بين المؤمنين متفرعة وناشئة عن الأءوة الإيمانية. وإذا كانت أءوة خيرة ومنتجة؁ فمن الطبيعي أن تبقى؁ وأن تستمر؁ ومن الطبيعي أيضاً أن يستمر الاحتفاظ بها؁ والحفاظ عليها إلى أبعد مدى ممكن. وقد كانت لهذه المفاااة نتائج هامة في تاريخ النضال والجهاد. وقد امتن الله على نبيه في بدر بقوله: {وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ؁ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢).

ءلة أبي بكر:

ويروون: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً (٣).

(١) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(٢) الآيتان ٦٢ و٦٣ من سورة الأنفال.

(٣) مصنف عبد الرزاق ج ١٠ عن ابن الزبير؁ وفي هامشه عن سعيد بن منصور؁ والغدير ج ٩ ص ٣٤٧ عن صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤٣ باب المناقب؁ وباب الهجرة ج ٦ ص ٤٤؁ والطب النبوي لابن القيم ص ٢٠٧.

ولكن كيف يصح هذا وهم يروون:

١ - إن خليلي من أمتي أبو بكر^(١).

٢ - ويروون: لكل نبي خليل، وخليلي سعد بن معاذ^(٢) أو عثمان بن

عفان^(٣).

والحقيقة هي: أن حديث خلة عثمان قد وضعه إسحاق بن نجيح الملطي^(٤)، وحديث خلة أبي بكر موضوع في مقابل حديث إخاء النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، كما نص عليه المعتزلي^(٥).

مؤاخاة سلمان مع من؟!:

وبعد فإنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد آخى بين سلمان وبين أبي الدرداء^(٦).

(١) إرشاد الساري ج ٦ ص ٨٣ و ٨٤، والغدير عنه وعن كنز العمال ج ٦ ص ١٣٨ و ١٤٠، والرياض النضرة ج ١ ص ٨٣.

(٢) الغدير ج ٩ ص ٣٤٧ عن كنز العمال ج ٦ ص ٨٣، ومنتخب كنز العمال هامش المسند ج ٥ ص ٢٣١.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص ٣٢١، والغدير ج ٩ ص ٣٤٦ و ٣٤٧.

(٤) راجع: الغدير ج ٩ ص ٣٤٧.

(٥) شرح النهج للمعتزلي ج ١١ ص ٤٩.

(٦) الإصابة ج ٢ ص ٦٢، والإستيعاب بهامشه ج ٢ ص ٦٠ و ج ٤ ص ٥٩، والغدير ج ١٠ ص ١٠٣ و ١٠٤ و ج ٣ ص ١٧٤ وقد ناقش في هذه الرواية، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٥٢، وأسد الغابة ج ٢ ص ٣٣٠ و ٣٣١، وطبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ٤ قسم ١ ص ٦٠، وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٣، وشرح النهج =

.....
:
وفي نص آخر: إنه آخى بينه وبين حذيفة^(١).
وفي رواية ثالثة: إنه «صلى الله عليه وآله» آخى بينه وبين المقداد^(٢).

إنكار حديث المؤاخاة، والإجابة عن ذلك:

أما ابن سعد، فقد قال: «أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبيه قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله، عن الزهري: أنها كانا ينكران كل مؤاخاة كانت بعد بدر، ويقولان: قطعت بدر المواريث.

وسلمان يومئذ في رق وإنما عتق بعد ذلك، وأول غزوة غزاها: الخندق، سنة خمس من الهجرة»^(٣).

ولأجل ذلك: فقد عبر البلاذري هنا بقوله: «.. وقوم يقولون: آخى بين أبي الدرداء، وسلمان.

وإنما أسلم سلمان فيما بين أحد والخندق.

قال الواقدي: والعلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر، ويقولون: قطعت

= للمعتزلي ج ١٨ ص ٣٧، وتهذيب الأسماء ج ١ ص ٢٢٧، وقاموس الرجال ج ٧ ص ٢٥٦، ونفس الرحمن ص ٩١ و ٨٥ عن أبي عمر، وعن المناقب للخوارزمي، الفصل ١٤ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٣٨.

(١) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٤ قسم ١ ص ٦٠.

(٢) نفس الرحمن ص ٨٥ عن الحسين بن حمدان.

(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٤ قسم ١ ص ٦٥.

بدر المواريث»^(١).

وقال ابن أبي الحديد: «قال أبو عمر: آخى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينه وبين أبي الدرداء، لما آخى بين المسلمين، ولا يخفى ضعفه وغرابته»^(٢).

ونقول:

إن لنا على ما تقدم ملاحظات نجملها فيما يلي:

أولاً: قولهم: إن المؤاخاة قد انقطعت بعد بدر، لا يصح، كما تقدم، فلا داعي لاستغراب هؤلاء ولا لإنكار ذلك.

ثانياً: قولهم: إن انقطاع المؤاخاة بعد بدر يلزمه عدم صحة مؤاخاة سلمان مع أحد من الناس، لا يصح كذلك؛ إذ لماذا لا يؤاخي قبل بدر بين سلمان وإن كان عبداً، وبين رجل آخر حر؟! هذا بالإضافة إلى ما سيأتي من أن سلمان قد أسلم وتحرر في أول سني الهجرة.

ثالثاً: دعوى البلاذري: أن سلمان قد أسلم بين أحد والخندق، لا تصح أيضاً، لأنه إنما أسلم في أول الهجرة كما قلنا.

نعم.. هم يقولون: إن تحرره قد كان قبل الخندق.

فإذا كان مسلماً حين المؤاخاة، فيمكن أن يؤاخي بينه وبين أحد المسلمين، ولو كان الطرف الآخر حراً؛ لعدم الفرق بين الحر والعبد، في الإيمان والإنسانية، وغير ذلك، بنظر الإسلام..

(١) أنساب الأشراف (قسم حياة النبي «صلى الله عليه وآله») ج ١ ص ٢٧١.

(٢) نفس الرحمن ص ٨٥ عنه.

هذا.. لو سلم أنه كان لا يزال عبداً..

رابعاً: إن الذي انقطع بعد بدر إنما هو التوارث بين الإخوة، وليس نفس المؤاخاة..

مع أننا نقول أيضاً: إن التوارث لم يكن موجوداً حتى قبل ذلك، ولعل بعض المسلمين قد توهم التوارث بين المتأخيين، فجاء الردع عنه، وتصحيح اشتباهه في ذلك، فصادف ذلك زمان حرب بدر..

فنشأ عن ذلك توهمان آخران: هما: أن التوارث كان ثابتاً.. وأن المؤاخاة تنقطع بانقطاع التوارث، وكلاهما باطل، ولا يصح..

خامساً: قولهم: إن المؤاخاة قد كانت بين سلمان وبين أبي الدرداء يقابله:

١ - ما روي عن إمامنا السجاد «عليه السلام»، أنه قال: «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق»^(١).

٢ - عن أبي عبد الله «عليه السلام»، أنه قال: «آخى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر: أن لا يعصي سلمان»^(٢).

٣ - إننا نعتقد: أن مؤاخاة سلمان مع أبي ذر هي الأصح، والأوفق بما

(١) بصائر الدرجات ص ٢٥، والكافي ج ١ ص ٣٣١، والغدير ج ٧ ص ٣٥ عنهما، واختيار معرفة الرجال ص ١٧، والبحار ج ٢٢ ص ٣٤٣، ومصابيح الأنوار ج ١ ص ٣٤٨، وقاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ و ٤١٩ والظاهر: أن الرواية معتبرة.

(٢) الكافي ج ٨ ص ١٦٢، والبحار ج ٢٢ ص ٣٤٥ عنه، ونفس الرحمن ص ٩١.

يذكرونه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يؤاخي بين كل رجل ونظيره كما تقدم.

وكان أبو ذر أكثر مشاكلة لسلمان من أبي الدرداء له؛ فإن سلمان يؤكد على أنه لا بد من الوقوف إلى جانب القرآن، إذا اقتتل القرآن والسلطان، كما أن أبا ذر قد كان له موقف عنيف من السلطة، حينما وجد أنها تسير في خط انحرافي خطير، فكان أن اتخذ جانب الحق، وأعلن إدانته للانحراف بصورة قاطعة، كما أنه هو وسلمان قد كان لهما موقف منسجم من أحداث السقيفة ونتائجها.^(١)

أما أبو الدرداء. فقد أصبح من وعاظ السلاطين، وأعوان الحكام المتسلطين، حتى لنجد معاوية - كرد للجميل - يهتم بمدحه وتقريظه والثناء عليه.^(٢)

كما أن أبا الدرداء - حسبما تقدم - يكتب لسلمان يدعوه إلى الأرض المقدسة، وهي الشام بزعمه، وليس مكة، والمدينة! فاقراً واعجب؛ فإنك ما عشت أراك الدهر عجياً.
ويكفي أن نذكر: أن يزيد بن معاوية قد مدح أبا الدرداء، وأثنى عليه^(٣)، كما أن معاوية قد ولاه دمشق^(٤).

(١) راجع كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

(٢) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٢ قسم ٢ ص ١١٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٥.

(٤) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ١٧ وج ٤ ص ٦٠، والإصابة ج ٣ ص ٤٦، والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٧.

بالإضافة إلى أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» - حسبما يروى - قد ذم
أبا الدرداء، وقال له: إن فيك جاهلية.

قال: جاهلية كفر، أم جاهلية إسلام؟

قال: جاهلية كفر^(١).

٤ - وإذا كان سلمان قد أسلم في أول سني الهجرة، كما سيأتي الحديث
عنه في فصل مستقل، وإذا كان أبو الدرداء قد تأخر إسلامه إلى ما بعد
أحد^(٢).. فلماذا ترك النبي «صلى الله عليه وآله» سلمان من دون أن يؤاخي
بينه وبين أحد من الناس، في هذه المدة الطويلة كلها؟!.

٥ - وإذا أخذنا بقول الواقدي: «إن العلماء ينكرون المؤاخاة بعد بدر،
ويقولون: قطعت بدر المواريث»^(٣).

فإن النتيجة تكون: أن العلماء ينكرون المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء،
لأن أبا الدرداء قد تأخر إسلامه عن بدر كثيراً..

٦ - وأخيراً.. فقد جاء في بعض النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» قد
آخى بين أبي الدرداء وعوف بن مالك الأشجعي^(٤)، ولعل هذا هو الأصح
والأولى بالقبول..

وقد روى الكليني عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: آخى رسول

(١) الكشف ج ٣ ص ٥٣٧، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٦٩ عنه.

(٢) الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ١٦، وراجع ج ٤ ص ٦٠.

(٣) قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٥٦، وج ١٠ ص ٦٩ وأنساب الأشراف (قسم حياة النبي

«صلى الله عليه وآله») ج ١ ص ٢٧١، وراجع: طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٦٠.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٢٢.

الله «صلى الله عليه وآله» بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر: أن لا يعصي سلمان^(١).

وواضح أن ذلك يعني: أن طاعة أبي ذر لسلمان لم تكن: إلا لأنها توصل إلى الحق، وتؤدي إلى الاحتفاظ به، والحفاظ عليه، ولأنه يمثل الوعي الرسالي الرائد في أعلى مستوياته، ويدعم هذا الوعي ويحميه، ويرفده إيماناً ثراً، وعقيدة راسخة، توجه الفكر والرأي والوعي، وكل الحركات نحو الهدف الأسمى، والمبدأ الأعلى، لتعيش في ظلاله، وتفنى كلها فيه بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

فإن الإيمان عشر درجات، وسلمان كان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة^(٢).

وإن إطاعة أبي ذر لسلمان لتعطينا: أن الميزان والمقياس في الطاعة ليس إلا ذلك الذي أشرنا إليه، واعتبره القرآن وسيلة لنيل التقوى واليقين: حين قال تعالى:

{هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ^(٣).
{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(٤).
{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} ^(٥).

(١) روضة الكافي ص ١٦٢.

(٢) قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٣ عن الخصال للصدوق.

(٣) الآية ٩ من سورة الزمر.

(٤) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

(٥) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

:

إذن، فليس للعرق، ولا للون، ولا للجاه، ولا للمال، ولا غير ذلك - أي دور في التفاضل وإعطاء الامتيازات - من أي نوع كانت ولأي كان، وإنما الميزان والمقياس في كل ذلك هو التقوى والتقوى فقط، التي يدعمها الإيمان الراسخ، والفكر النير، والوعي الرسالي الرائد، ولأجل ذلك كان على أبي ذر: أن لا يعصي سلمان، الذي بلغ من العلم والمعرفة بحيث لو اطلع أبو ذر على ما في قلب سلمان لقتله^(١).

وعن الفضل: ما نشأ في الإسلام رجل من الناس كافة كان أفقه من سلمان الفارسي^(٢).

ولأجل ذلك بالذات: كان لا بد من إطاعة أئمة الهدى، الذين هم القمة في العلم والمعرفة، ومن ثم في التقوى، دون غيرهم من المتغلبين الجهلة والطواغيت والجبارين.

(١) راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ وغيرها.

(٢) المصدر السابق.

..... :

الفصل الرابع:

أسس العلاقات في المجتمع الجديد

أسس العلاقات:

ويذكر المؤرخون: أنه بعد مدة وجيزة من قدومه «صلى الله عليه وآله» المدينة، وعلى رأي البعض: بعد خمسة أشهر^(١) كتب «صلى الله عليه وآله» كتاباً أو وثيقة بينه وبين اليهود، أقرهم فيها على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم: أن لا يعينوا عليه أحداً، وإن دهم أمر فعليهم النصر، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل.

ولكن سرعان ما نقض اليهود العهد، وعادوا إلى المكر والغدر، ولا يجيق المكر السيء إلا بأهله.

ويلاحظ: أن الوثيقة المشار إليها لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، وإنما تعرض جانب كبير - بل هو الجانب الأكبر - منها إلى تقرير قواعد كلية، وأسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم، كان لا بد منها لتلافي الأخطاء المحتملة قبل أن تقع.

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل، يتضمن أسس العلاقات في الدولة الناشئة، سواء في الداخل أم في الخارج.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣.

وهذه الوثيقة هي بحق من أهم الوثائق القانونية، التي لا بد أن يدرسها علماء القانون والتشريع بدقة متناهية، لاستخلاص الدلائل والأحكام منها، وأيضاً لمعرفة الغايات التي يرمي إليها الإسلام، والضوابط التي يرتضيها، ومقارنتها بغيرها مما يتهالك المستضعفون - فكراً - من هذه الأمة عليه، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية وغيرها للإنسان. وإليك نص الوثيقة كما هو:

نص الوثيقة:

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي «صلى الله عليه وآله» بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم؛ فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(١) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها. والعاني: الأسير. والمعاقل: الديارات.

..... :

وبنو الحارث على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً^(١) بينهم، أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة^(٢) ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين.

وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

(١) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

(٢) الدسيعة: العظيمة.

.....
وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم.
وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.
وإن من تبعنا من يهود؛ فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا
متناصرين عليهم.

وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل
الله إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها
بعضاً، وإن المؤمنين يبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

وإنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.
وإنه من اعتبط^(١) مؤمناً قتلاً عن بينة، فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي
المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر:
أن ينصر محدثاً، ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه؛ فإن عليه لعنة الله وغضبه
يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وإنكم مهما اختلفتم في شيء؛ فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد
«صلى الله عليه وآله».

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم،

(١) اعتبطه: قتله بلا جناية منه توجب قتله.

مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم؛ فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه، وأهل بيته.
وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بن عوف.
وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.
وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.
وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.
وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه
لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته.
وإن جفنة - بطن من ثعلبة - كأنفسهم.
وإن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم.
وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.
وإن بطانة^(٢) يهود كأنفسهم.
وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد «صلى الله عليه وآله».
وإنه لا ينحجز على ثار جرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته،
إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا^(٣).
وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

(١) يوتغ: يهلك.

(٢) بطانة الرجل: خاصته وأهل بيته.

(٣) أي على الرضا به.

.....
وإنه لم يَأثم امرؤٌ بحليفه، وإن النصر للمظلوم.
وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
وإن الجار كالنفس، غير مضارٍ ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده،
فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد «صلى الله عليه وآله».
وإن الله على أتقى ما في هذا الصحيفة وأبره.

وإنه لا تجار قريش، ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم
يثرب، وإذا دعوا^(١) إلى صلح يصلحونه ويلبسونه، فإنهم يصلحونه
ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب
في الدين، على كل أناس حصتهم^(٢)، من جانبهم الذي قبلهم.

وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة،
مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق
ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وأثم.
وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم.

(١) في رواية أبي عبيد في الأموال: وإذا دعوا اليهود إلى صلح حليف لهم، فإنهم يصلحونه وإن دعونا إلى مثل ذلك، فإن لهم ما على المؤمنين إلا من حارب الدين.
(٢) في الأموال: وعلى كل أناس حصتهم من النفقة.

.....
: وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»
(تمت الوثيقة)»^(١).

كانت تلك هي الوثيقة الهامة التي لم يهتم بشأنها المؤرخون، وأهمل
دراستها وتمحيصها الكتاب والباحثون، نوجه إليها أنظار الطامحين إلى
البحث والتدقيق والتمحيص، ونأمل أن تحظى منهم بما يليق بها من اهتمام
والله هو الموفق والمسدد.

ونحن بدورنا نسجل هنا بعض النقاط، على أمل التوفيق لدراسة هذه
الوثيقة بصورة أعمق وأدق وأشمل، فنقول:

وثيقة أم وثائق؟!:

قد أورد المؤرخون هذه الوثيقة بعنوان أنها عقد ينظم العلاقة فيما بين
المهاجرين والأنصار من جهة، وبينهم وبين اليهود من جهة أخرى.
وقد حاول البعض أن يدّعي: أنها ليست وثيقة واحدة، وإنما هي عبارة
عن سلسلة وثائق ومعاهدات منفصلة، وقد ضم بعضها إلى بعض، وإن
ذلك جرى على مرحلتين:

إحدهما: تم بموجبها توحيد وتجميع العناصر المختلفة من القبائل
العربية تحت قيادة الرسول «صلى الله عليه وآله» في المدينة.
الثانية: قد استغلت قوة هذا التجمع القبلي وتكاتفه للضغط على يهود

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٧ - ١٥٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٤ - ٢٢٦،
والأموال ص ٢٠٢ - ٢٠٧، ومجموعة الوثائق السياسية وأشار إليه في مسند أحمد
ج ١ ص ٢٧١، وأشار إليه أيضاً في مسند أبي يعلى ج ٤ ص ٣٦٦ و٣٦٧.

.....
المدينة لكسب تعاونهم في مواجهة أي ضغط خارجي.

وليس من الضروري أن يكون قد تم تنظيم الاتفاقيات في لحظة واحدة، فقد كانت هناك أطوار مختلفة في المرحلتين، اقتضت إضافة مواد وفقرات باستمرار، حسب الظروف الطارئة، والأحداث المستجدة، التي تستلزم تجديد الالتزامات؛ وفرض الشروط لمجابهتها، فتكتب المواد، وتضاف الفقرات، التي تحمل آثار ذلك التطور في العلاقات فيما بين عناصر الأمة في المدينة.

أما دليلهم على هذا الذي ذكروه، فهو تكرر بعض الفقرات في الوثيقة، حيث لوحظ:

أن هذه الفقرات تنص على التزامات وشروط واحدة، كالعبارتين اللتين تنصان على أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وكالعبارتين اللتين تنصان على رد أي خلاف ينجم بين المتعاهدين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وكذلك التكرار الحاصل لعبارة: إن البر دون الإثم.

وعبارة: كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، حيث تكررت بالنسبة لعدد من قبائل الأوس والخزرج^(١).

ونقول:

إن من الواضح: أن هذا الدليل لا يكفي لإثبات ما زعموه، فإن هذا التكرار قد جاء ليؤكد ويثبت هذا الأمر بالنسبة إلى كل قبيلة على حدة،

(١) راجع في الذي ذكرناه كتاب نشأة الدولة الإسلامية ص ٢٥-٢٧.

حيث يطلب في المواثيق والمعاهدات التنقيص، والدقة والصراحة، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة، ويكون التصريح بذلك بالنسبة لكل طائفة وفئة، وقبيلة، قد أريد به أن تعرف تلك الفئة أو القبيلة بصراحة ودقة كل ما تطلبه هي، وكل ما يطلب منها.

فهذه المعاهدة هي مجموعة التزامات تصدر من كل قبيلة تجاه غيرها من الفئات أو القبائل، أو تجاه عناصر القبيلة أنفسهم، فلا بد من التنقيص على هذه الالتزامات.

وعلى هذا يصبح للمعاهدة الواحدة خصوصية المعاهدات المتعددة أيضاً.

وأما بالنسبة لليهود المقصودين في هذه الوثيقة، فإن من الجلي: أن المقصود بهم ليس اليهود الذين هم من أصل إسرائيل، وهم: قينقاع، والنضير، وقريظة.

بل المقصود اليهود الذين هم من قبائل الأنصار، فقد كان ثمة جماعة من قبائل الأنصار قد تهودوا، وقد جاء ذكرهم في الوثيقة منسويين إلى قبائلهم.

وقد قال ابن واضح: «وتهود قوم من الأوس والخزرج، بعد خروجهم من اليمن، لمجاورتهم يهود خيبر، وقريظة، والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب، وقوم من غسان، وقوم من جذام»^(١).

كما أن بعض الروايات تذكر: جماعة من أولاد الأنصار قد تهودوا

(١) تاريخ يعقوبي ج ١ ص ٢٥٧.

بسبب: أن المرأة من الأنصار كانت إذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها: إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير قال آباء أولئك: لا ندع أبناءنا، وأنزل الله: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، قالوا: هي مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الإسلام^(١).

ملاحظات سريعة على الوثيقة:

ومهما يكن من أمر: فإن هذه الوثيقة، أو الوثائق، قد تضمنت أموراً كثيرة هامة، وأساسية في مجال بناء العلاقات في هذا المجتمع الجديد.

وكمثال على ذلك نشير هنا إلى ما يلي:

١ - إنها قد قررت: أن المسلمين أمة واحدة، رغم اختلاف قبائلهم وانتماءاتهم، وتفاوت مستوياتهم، وحجم ونوع طموحاتهم، ورغم اختلاف حالاتهم المعيشية، والاجتماعية، وغير ذلك.

ولهذا القرار أبعاده السياسية، وله آثاره الحقوقية، وغيرها.

ثم له آثار وانعكاسات على التكوين السياسي، والاجتماعي، وعلى الحالة النفسية، والعاطفية، والفكرية، والمعيشية، والحياتية بصورة عامة.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٧، والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٨٠ عن أبي داود، ولباب التأويل ج ١ ص ١٨٥، وفتح القدير ج ٥ ص ٢٧٥ عن أبي داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في السنن، والضياء في المختارة؛ والدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨ عنهم وعن ابن مندة في غرائب شعبة، وعن النحاس في ناسخه، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور.

ولسنا هنا بصدد الخوض في تفاصيلها وجزئياتها.

٢ - قد تضمنت إقرار المهاجرين من قريش على عاداتهم وسننهم في الديات والدماء.

ويقولون: إن ذلك قد نسخ فيما بعد، وإن كنا نرى: أن النسخ لم يطل هذه الموارد، وهي مما كان قد قرره عبد المطلب، أو مما كان وصل إليهم أو بلغهم من دين الحنيفة.

ولهذا انحصر الاستثناء فيها، ولم يشمل الحالات التجارية، أو الأحوال الشخصية مثلاً.

وحتى لو كان ثمة بعض الموارد التي لم تكن كذلك، فإن بالإمكان أن يستفاد منها موضوع التدرج في مجال تشريع الأحكام، وفق الحالات والمعطيات القائمة في الواقع المعاش.

٣ - إن مسؤولية المهاجرين عن فداء أسراهم، ثم مسؤولية جميع القبائل عن فداء أسراها أيضاً بالقسط والمعروف، إنما تعني أن تعيش كل قبيلة حالة التكافل، والإحساس الجماعي، بالإضافة إلى أن ذلك يضمن نوعاً من الترابط بين هؤلاء الناس، والذب عن بعضهم، والمعونة في مواقع الخطر وفي ساحات النزال.

أضف إلى ذلك: أن شعور المحارب بأن هناك من يهتم بأمره، ومن هو ملزم ببذل المال لإطلاق سراحه في صورة وقوعه في الأسر، لسوف يزيده نشاطاً، وثقة بنفسه، وإقداماً في منازل العدو.

هذا كله: عدا أن العبء الاقتصادي إذا تحملته الجماعة الكثيرة، فإنه يصبح أخف وأيسر، وأبعد عن الإضرار بحال الناس الذين هم في متن المشكلة.

.....
ويلاحظ هنا: التعبير بكلمة القسط والمعروف، فإن كلمة القسط تدل على رفض أي حيف أو تجن في مجال تعديل وتوزيع الحصص على أفراد القبيلة.

أما كلمة المعروف، فإنها تدل على ما هو أبعد من ذلك، حيث لاحظت أنه لا بد من التزام سبيل المعروف في مجال تطبيق القرار، أو الحكم الشرعي الذي يمس الآخرين، ويعنيهم في شؤونهم المالية، أو غيرها؛ فلا يجوز الشذوذ عن هذا السبيل بحجة التمسك بحرفية الأوامر الصادرة، أو القانون الساري.

٤ - لقد قررت الوثيقة أيضاً: أن من كان عليه دين، ولم يكن له عشيرة تعينه في فداء أسيره، فعلى المسلمين إعانتته في فداء ذلك الأسير.

وهذا قرار يهدف إلى سد الثغرة الحاصلة من تشريع الفداء على القبائل حسبما تقدم، ولا يفوتنا هنا التنبيه إلى أن الفقرتين المتقدمتين قد عالجتا المشكلة في وقت لم يكن ثمة بيت مال للمسلمين يمكن الاعتماد عليه في حالات كهذه، حيث كان ذلك في وقت لم يكن المسلمون قادرين فيه حتى على سد احتياجاتهم الشخصية فضلاً عن غيرها، مع عدم وجود موارد أخرى يمكن الاستفادة منها في هذا المجال.

٥ - وجاء في الوثيقة أيضاً: أن مسؤولية دفع الظلم تقع على عاتق الجميع، ولا تختص بمن وقع عليه الظلم.

ولعل هذا من أهم القرارات التي تضمنتها الوثيقة، سواء من حيث آثار قرار كهذا على البنية الاجتماعية، ثم علاقة ذلك بالقرار والموقف السياسي، وتعاطي الحكام مع مسألة الظلم، وتفاعلهم معها، ثم مع المردود

الإيجابي أو السلبي لقرار يجعل مقاومة الظلم مسؤولية اجتماعية، لا تنحصر بالحاكم، وإن كانت قد تمس حاكميته وموقعه بصورة أو بأخرى في أحيان كثيرة.

أما التأثير الروحي أو النفسي أو غير ذلك لقرار كهذا على الأمة، فهو أيضاً كبير وخطير ولا مجال للدخول في التفاصيل، فإن ذلك يحتاج إلى دراسة مستوعبة لطبيعة التشريع الإسلامي، وأسسها ومنطلقاته بصورة أدق وأعمق.

٦ - وهناك القرار الذي ينص على عدم قود المسلم بالكافر، وفي هذا تأكيد على أن شرف الإنسان إنما هو بالإسلام.

وذلك إنما ينطلق من مقولة: أن القيم والمثل التي يؤمن بها الفرد أو المجتمع، هي التي تمنحه القيمة، أو تسلبها عنه، فإذا كان الإنسان المسلم هو الذي يحمل في داخله من تلك القيم، ما تسمو به نفسه، ويؤكد ويعمق فيه إنسانيته، بما لها من معان سامية ونبيلة، ثم هو يمارس إنسانيته هذه على صعيد الواقع والحركة، فإنه لا يمكن أن يقاس به من لا يمارس إنسانيته، أو لا يحمل في داخله منها إلا القليل أو لا يحمل شيئاً من معانيها النبيلة على الإطلاق.

هذا فضلاً عما إذا كان لا يعترف بها ولا يوليها أية قيمة، فضلاً عن أن يدافع عنها، ويضحى في سبيلها بالغالي وبالنفيس إن اقتضى الأمر ذلك.

٧ - قد ذكرت الوثيقة: أنه يجير على المسلمين أذناهم، ولا يجير كافر على مسلم.

وهذا يؤكد ما ذكرناه آنفاً، فالإسلام لا يرى الشرف بالمال، ولا

.....
بالقبيلة، ولا بغير ذلك من أمور، وإنما إنسانيته هي التي تعطيه القيمة.
ونزيد هنا: أن قراراً كهذا يرسخ الشعور بالمساواة فيما بين المسلمين؛
فلا يمتاز غني على فقير، ولا قوي على ضعيف ما دام الجميع قد حملوا في
داخلهم معين القيم، والمثل، وما عليهم بعد ذلك إلا الاستفادة من هذا
المعين الثر لينشر الخير والصلاح والفضل والتقوى في جميع ربوع حياتهم، وفي
مختلف شؤونها.

٨- وقد تقرر أيضاً: أن لا ينصر المسلمون من أحدث وابتدع، بل يجب
عليهم مقاومته والتصدي له ولبدعته بكل صلابة وحزم.
وفي هذا تتجلى الأهمية البالغة التي يوليها الإسلام للسلامة الفكرية،
ويؤكد أهمية الصيانة في المجال الثقافي والعقدي والفكري.
ثم هو يعطي للجماعة أو فقل للأمة دوراً في تحقيق هذه الصيانة،
ويؤكد على دور الناس جماعات وأفراداً في التصدي للانحراف ومقاومته،
قبل أن تعصف بهم رياحه أو يجرفهم تياره، حيث إنه يستهدفهم أفراداً
أولاً، ليعبث بقدراتهم جماعات، ثم يسخرهم ويستغل كل طاقاتهم في
ترسيخ دعائمه، وتثبيت عزائمه، وليكونوا من ثم اليد التي يبطش بها،
والمعول الذي يهدم به كل فضيلة ويشيع كل رذيلة.

٩- في هذه الوثيقة أيضاً تكريس للسلطة الإسلامية واعتراف مسجل
بها من قبل ألد أعدائها وهم اليهود - أعني الذين تهودوا من الأنصار وقد
كان اليهود يعتبرون أنفسهم وحدهم دون كل من عداهم، أصحاب كل
الامتيازات، وإن كل قرار يجب أن يكون صادراً عنهم، ومنهم، وإليهم،
فهم الحكام على الناس، والناس كلهم يجب أن يكونوا تحت سلطتهم، وقد

خلقوا ليكونوا لهم خدماً كما يزعمون.

فقد قررت الوثيقة: أن لا يخرج أحد من اليهود إلا بإذن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن الحاكمية إنما هي لدين الله ولرسول الله «صلى الله عليه وآله» لا لأحد سواه.

ولعل هذا القرار قد اتخذ أيضاً من أجل أن لا يفسح المجال أمام اليهود لممارسة دور الإفساد والجاسوسية من الداخل لصالح الأعداء المتربصين بالإسلام وبالمسلمين شراً من الخارج، ومن أجل أن يؤكد لكل الناس الذين يعيشون معهم وحوهم: أن ثمة قوة لا بد من الاعتراف بها، والتعامل معها بواقعية وموضوعية وصدق.

١٠ - وقد أكد ما ذكرناه آنفاً وعمّقه ذلك القرار الذي اعترف به اليهود وسجلوه على أنفسهم، والذي ينص على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو المرجع الذي يتولى حل المشكلات، التي تنشأ فيما بينهم وبين المسلمين.

ولسنا بحاجة إلى التذكير بما لهذه المادة من مدلول سياسي، ومن أثر نفسي واجتماعي عليهم وعلى غيرهم ممن يعيشون في المدينة، وكذا ما لهذا القرار من أثر كذلك على المنطقة بأسرها.

هذا، وقد حفظ بذلك المضمون العقائدي، وروعت فيه الجهات الفقهية، كما يظهر بأدنى تأمل في ذلك، ويمكن بحث هذه النقطة بصورة مستقلة في مجال آخر.

١١ - هذا كله، عدا عن أن هذه الوثيقة قد ضمنت لمن تهود من الأنصار حقوقهم العامة، وذلك من قبيل حق «الأمن» و «الحرية» بشرط ألا يفسدوا.

وهذان الحقان ولا سيما حق الحرية، يؤكدان على أن الإسلام لا يخشى شيئاً إذا كان منطلقاً من الواقع وقائماً على أساس الحق والصدق، ولكنه يخشى من الإفساد، ومن الإفساد فقط.

وهذا يصب في اتجاه الإسلام إلى التأكيد على المعرفة، والدعوة إلى العلم، لأنه يرى أنه أول من يستفيد من العلم ومن المعرفة، ومن إطلاق الحريات، في خط البناء، لا في خط الهدم والافساد.

١٢ - ثم تضمنت الوثيقة: اعترافاً من المنافقين والمشركين، ومن اليهود أيضاً بأن المؤمنين على أحسن هدى وأقومه، مع أن ما كان يشيعه هؤلاء الأعداء إنما هو: أن هذا النبي قد جاء ليفرق جماعاتهم، ويسفه أحلامهم، و.. و.. الخ.. كما ذكره عمرو بن العاص للنجاشي ملك الحبشة.

١٣ - وجاء فيها أيضاً قرار بإلغاء القبيلة التي توجب على القبيلة الانتصار لأبنائها، حتى ولو كانوا المعتدين على غيرهم، والظالمين لهم.

حيث تقرر أن على جميع المؤمنين أن يلاحقوا القاتل، من كان، ومهما كان. كما أن ذلك إنما يعني إلغاء سائر الاعتبارات التي تؤثر في هذا المجال، من قبيل الرئاسات، والزعامات، أو نوع القبيلة، التي يكون المجرم منها، كما كان الحال فيما بين بني قريظة وبني النضير، حيث كان الامتياز في ذلك لبني النضير على بني قريظة.

١٤ - ثم إن هذه الوثيقة قد أعطت للمسلمين الحق في التصدي لأخذ أموال قريش (وليس المشركين)؛ لأن قريشاً هي التي سلبتهم أموالهم، وأخرجتهم من ديارهم، ليكون ذلك عوضاً عما أخذ منهم.

وقد اعترف لهم بهذا الحق حتى المشركون، الذين هم طرف في هذه

المعاهدة، الأمر الذي جعل المشركين يشعرون: أنهم غير معنيين بما تتعرض له قريش في هذا السياق، وجعل القضية تصب في الاتجاه الآخر بالنسبة إليهم، ثم هو قد أعطى الجانب الإنساني قيمة وفاعلية في ضمير ووجدان الناس، الذين فقدوا إحساسهم بهذه القيمة أو كادوا.

١٥ - ونلاحظ: أن هذه الوثيقة قد اعتمدت التعبير بـ «المؤمنين» بدل

«المسلمين».

ولهذا دلالاته على صعيد التعامل، كما أن له إيجاباته بالنسبة للمخلصين، ليزدادوا خلوصاً وإخلاصاً أو بالنسبة للمنافقين الذين يجادعون الله والذين آمنوا، وما يجدعون إلا أنفسهم، كما أن له تأثيراته السياسية في مجال التمايز بين الفرق، كي لا يكون ذلك من منطلق التعصب للدين والمذهب.

١٦ - وفي الوثيقة أيضاً: إظهار شرف الإيمان الذي أعطيت الامتيازات

على أساسه، واعتبار الكفر في درجة منحطة حينما قال: «أن لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن».

١٧ - هذا إلى جانب التمايز الواضح فيما بين معسكري الكفر والإيمان،

وتكريس حالته.

١٨ - ويلاحظ: أن الوثيقة قد نصت على أن كل من يعترف بما في هذه

الصحيفة لا يحق له نصر محدث، ولا إيواؤه، وهذا من شأنه أن يشيع الأمن العام، ويجعل الناس يطمئنون نوعاً ما، ويخفف من الخوف الذي كان سائداً بين الأوس والخزرج، كما أن فيه إنذاراً مبطناً للآخرين من اليهود والمشركين الذين يعيشون مع المسلمين في بلد واحد.

.....
١٩ - كما أن إظهار المسلمين أمام أعدائهم على أنهم قوة واحدة ومتماسكة ومتناصرة، له أثر كبير في تكريس الهيبة لهم في النفوس، وإبعاد الأطماع في أن ينفذ نافذ إلى المسلمين من خلال التلاعب بالعواطف القبلية أو سواها.

٢٠ - ويلاحظ أخيراً: أن الوثيقة لم تعط للمشركين حقوقاً، ولكنها فرضت عليهم قيوداً، فليس للمشرك أن يجير مالاً لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

هذا ما أحببنا الإلماح إليه في هذه العجالة، وثمة أمور كثيرة أخرى نأمل أن نوفق لدراستها في فرصة أخرى.

موادعة اليهود:

وجاءت يهود قريظة، والنضير، وقينقاع، وطلبوا الهدنة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكتب لهم بذلك، على أن لا يعينوا عليه أحداً، ولا يتعرضوا لأحد من أصحابه بلسان، ولا يد، ولا بسلاح، ولا بكراع، في السر، ولا في العلانية، لا بليل ولا بنهار، فإن فعلوا فرسول الله «صلى الله عليه وآله» في حل من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، وأخذ أموالهم، وكتب لكل قبيلة كتاباً على حدة^(١).

ولكن اليهود عادوا بعد ذلك إلى الغدر والمكر، كما سيأتي إن شاء الله، مع علمهم بأنه النبي الحق، كما تدل عليه تصريحاتهم المختلفة.

(١) إعلام الوری ص ٦٩، والبحار ج ١٩ ص ١١٠ و ١١١ عنه، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٧٥.

الباب الثالث

تشريعات وأحكام

الفصل الأول: الأذان
الفصل الثاني: تشريع بعض العبادات
الفصل الثالث: الجهاد في الإسلام
الفصل الرابع: سرايا وغزوات قبل بدر

..... :

الفصل الأول:

الأذان

تشريع الأذان:

ويذكرون هنا: أن الأذان قد شرع في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: في الثانية، ولا يهمننا تحقيق ذلك كثيراً. أما كيفية تشريعه فتحكى على النحو التالي: إن النبي «صلى الله عليه وآله» اهتم للصلاة، كيف يجمع الناس لها. فقيل له: انصب راية؛ فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، فذكروا له القبع - يعني الشبور، شبور اليهود - فلم يعجبه ذلك. وقال: هو من أمر اليهود، فذكروا له الناقوس. فقال: هو من أمر النصارى. وكأنه كرهه أولاً، ثم أمر به، فعمل من خشب.

فانصرف عبد الله بن زيد، وهو مهتم لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأري الأذان في منامه. قال: فغدا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبره فقال له: يا رسول الله، إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت، فأراني الأذان. قال: وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك؛ فكتمه عشرين يوماً، ثم أخبر به النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: ما منعك أن تخبرني؟

قال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد، فافعله.
قال: فأذن بلال (الحديث).

كان هذا أحد نصوص رواية كيفية تشريع الأذان، وللرواية نصوص كثيرة ومختلفة جداً، فراجع^(١).

مناقشة روايات الأذان:

ونحن نعتقد عدم صحة ذلك؛ وذلك استناداً إلى ما يلي:
أولاً: تناقض الروايات الشديد، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة وذلك

(١) راجع في نصوص الحديث المختلفة المصادر التالية: سنن أبي داود ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٨، والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣ - ٩٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٩، والموطأ ج ١ وشرحه للزرقاني ج ١ ص ١٢٠ - ١٢٥، والجامع الصحيح للترمذي ج ١ ص ٣٥٨ - ٣٦١، ومسند أحمد ج ٤ ص ٤٢، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ١٢٤، وسنن البيهقي ج ١ ص ٣٩٠ و ٣٩١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٤ و ١٥٥ و ١٢٥، ونصب الراية ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦١، وفتح الباري ج ٢ ص ٦٣ - ٦٦، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٢ و ٢٣٣، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣ و ٢٧٥، وتبيين الحقائق للزيلعي ج ١ ص ٩٠، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥ و ٢٨٦، وحياة الصحابة ج ٣ ص ١٣١ عن كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٣ و ٢٤٦، ونقل أيضاً عن أبي الشيخ، وابن حبان، وابن خزيمة، وسنن الدارقطني ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٥. وغير ذلك من المصادر الكثيرة التي لا مجال لتبعتها واستقصائها.

يوهن الرواية، ويشير حولها أكثر من سؤال فمثلاً:

الرواية المتقدمة تذكر أن ابن زيد رأى الأذان بين المنام واليقظة.

وأخرى تقول: رآه في المنام.

وثالثة تقول: إن ابن زيد قال: «لولا أن يقول الناس لقلت: إني كنت يقظان غير نائم».

ورواية تقول: إن ابن زيد رآه، فأخبر به النبي «صلى الله عليه وآله».

وأخرى تقول: إن جبرائيل أذن في سماء الدنيا؛ فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالاً، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم جاء بلال، فقال له: سبقك بها عمر.

ورواية تقول: إن ابن زيد رآه.

وأخرى تقول: إن سبعة من الأنصار رأوه، وقيل: أربعة عشر، ورواية تزيد عبد الله بن أبي بكر.

ورواية تقول: إن بلالاً كان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، حي على الصلاة، فقال له عمر: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لبلال: قل كما قال عمر.

ورواية تفرد فصول الإقامه، ورواية تشنيها.

إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي لا مجال لذكرها، فراجع المصادر وقارن بين الروايات إن شئت.

ثانياً: إن دعوى سماع عمر وبلال لجبرائيل، أو رؤية ابن زيد للأذان في اليقظة، لا يمكن قبولها؛ لأن معنى ذلك هو أن يكون هؤلاء من الأنبياء، لأنهم قد أخذوا من جبرائيل وسمعوا منه أمراً تشريعياً توقيفياً، وهو من

.....
مختصات الأنبياء «عليهم السلام».

ولا يرد على ذلك: أن فاطمة «عليها السلام» كانت تسمع ما سجلته في مصحفها من جبرائيل مباشرة، لأننا نجيب بأن مصحف فاطمة لم يتضمن تشريعات اختصها جبرائيل بها، وتلقته الأمة منها.. بل كان يخبرها بما يجري على ذريتها من بعدها وبغير ذلك من حقائق يعرفها مما لا يرتبط بالتشريع..

أما بالنسبة لرواية الرؤية في المنام، فقد قال العسقلاني:

«وقد استشكل في إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد، لأن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعي، أجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك»؟!^(١).

ولكنه جواب بارد: فإن مجرد الاحتمال لا يجدي، مع كون الرواية المعتمدة عندهم لم تذكر ذلك، ولم تشر إليه، بل اكتفت بمجرد أمره «صلى الله عليه وآله» بلائاً بالتعلم من ابن زيد.

ثم لماذا لم ينزل الوحي عليه «صلى الله عليه وآله» من أول الأمر، وحينما كان متحيراً في أمره، مهموماً مغموماً لا يدري ما يفعل؟!.

ويبقى سؤال: لِمَ اختص الأذان بأن شرع بهذه الكيفية، دون سائر الأحكام؟!.

وأجاب السهيلي: بأن في الأذان تنويهاً بشأنه، ورفعاً لذكره، فلأن يكون

(١) فتح الباري ج ٢ ص ٦٢.

على لسان غيره أنه وأفخم لشأنه^(١).

ولكنه جواب بارد أيضاً - وإن استحسنة العسقلاني وغيره - لأنه لو صح؛ لوجب أن يكون تشريع الصلاة والزيارات والأدعية، بل وكذا إيجاب الشهادتين، وغير ذلك أيضاً على لسان غيره، لأنها كلها فيها تنويه بذكره، وتفخيم لأمره، وكذا بالنسبة للآيات القرآنية التي تمتدحه «صلى الله عليه وآله» وتثني عليه كقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}، وغير ذلك.

ويعد كل ما تقدم فإننا نقول: إن حكم النبي «صلى الله عليه وآله» بالعمل برؤيا ابن زيد، يكون من النطق عن الهوى، وعدم الاستناد إلى الوحي، وهو ينافي قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}. ومشورة النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحابه في أمر ديني مستحيلة؛ لأنه مستغن عنهم بالوحي، نعم هو كان يستشيرهم في أمور دنيوية، يطلب منهم هم القيام بها، لأسباب ستأتي إن شاء الله في غزوتي بدر وأحد. ثالثاً: كيف كره «صلى الله عليه وآله» موافقة اليهود والنصارى، ثم عاد فرضي بها، فهل كان ذلك قبيحاً ثم صار حسناً؟!.

أم أنه كان مضطراً إلى موافقتهم؛ حيث سدت السبل في وجهه؟! ولم لا يجعل منادياً ينادي الناس للصلاة، كما كانوا يفعلون حينما كانوا ينادون: بالصلاة جامعة، في كل مناسبة اقتضت ذلك؟ ولماذا يهتم رسول الله وعبد الله بن زيد وقد انحل المشكل برضاه «صلى

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥.

الله عليه وآله» بصنع الناقوس؛ ولم يبق ما يستدعي ذلك؟
والأهم من ذلك: أنهم يروون - وإن كنا نحن لا نصدق بل ونجزم
بكذب ذلك - : أنه «صلى الله عليه وآله» كان يجب موافقة أهل الكتاب في
كل ما لم ينزل فيه وحي^(١).

فلماذا كره ذلك هنا، واهتم واغتم لأجله؟! فما هذا التناقض القبيح
فيما ينسبونه إلى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»؟!.

رابعاً:

١ - عن الصباح المزني، وسدير الصيرفي، ومحمد بن النعمان الأحول،
وعمر بن أذينة، أنهم حضروا عند أبي عبد الله «عليه السلام» فقال: يا عمر
بن أذينة ما ترى هذه الناصبة في أذانهم وصلاتهم؟
فقال: جعلت فداك، إنهم يقولون: إن أبي بن كعب الأنصاري رآه في النوم.
فقال «عليه السلام»: كذبوا والله، إن دين الله تعالى أعز من أن يرى في
النوم.

وعلى حسب نص آخر إنه «عليه السلام» قال: ينزل الوحي به على
نبيكم فتزعمون: أنه أخذه عن عبد الله بن زيد؟!^(٢).
٢ - عن أبي العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية:

(١) لسوف تأتي الإشارة إلى ذلك حين الكلام على صوم يوم عاشوراء إن شاء الله
تعالى.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٣٥٤ عن علل الشرائع ص ١١٢ و ١١٣، والنص والاجتهاد
ص ٢٠٥ عن الشهيد في الذكرى، ووسائل الشيعة ج ٤ ص ٦١٢ و ٦١٣.

..... :
إننا نتحدث: أن بدء هذا الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار
في منامه.

قال: ففرع لذلك محمد بن الحنفية فرعاً شديداً وقال:
عمدتم إلى ما هو الأصل في شرايع الإسلام، ومعالم دينكم؛ فزعمتم:
أنه من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، تحتمل الصدق والكذب، وقد
تكون أضغاث أحلام؟!.

قال: فقلت: هذا الحديث قد استفاض في الناس؟!.
قال: هذا والله هو الباطل، ثم قال: وإنما أخبرني أبي: أن جبرائيل «عليه
السلام» أذن في بيت المقدس ليلة الإسراء وأقام، ثم أعاد جبرائيل الأذان لما
عرج بالنبي «صلى الله عليه وآله» إلى السماء^(١).

٣ - والإمام الحسن «عليه السلام» قد أنكر ذلك أيضاً، حيث تذاكروا
عنده الأذان، وذكروا رؤيا ابن زيد، فقال: إن شأن الأذان أعظم من ذلك،
أذن جبرائيل في السماء مثنى مثنى، وعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
وأقام مرة مرة، فعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

٤ - عن الحسين بن علي «عليهما السلام» أنه سئل عن الأذان وما يقول
الناس، فقال: «الوحي ينزل على نبيكم وتزعمون: أنه أخذ الأذان عن عبد
الله بن زيد؟! بل سمعت أبي علي بن أبي طالب «عليه السلام» يقول:

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٦، والنص والاجتهاد ص ٢٠٥ وكتاب العلوم (أمالي
أحمد بن عيسى بن زيد) ج ١ ص ٩٠.

(٢) النص والاجتهاد ص ٢٥٥ عن مشكل الآثار، وابن مردويه، وعن كنز العمال ج ٦
ص ٢٧٧ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٧١.

أهبط الله ملكاً حين عرج برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأذن مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثم قال له جبرائيل: يا محمد، هكذا أذان الصلاة»^(١). ولكن كون الإقامة مرة مرة، مخالف لما هو ثابت قطعاً عن أهل البيت «عليهم السلام»، فإنه لا يرتاب أحد أنهم يروون ويرون أنها مثنى مثنى، وذلك هو مذهب كثير من الصحابة، والتابعين، وفقهاء الإسلام. وجعلها مرة مرة إنما كان على يد الأمراء، فإن ذلك أمر استخفته الأمراء على حد تعبيرهم^(٢)، وإلا فإن الإقامة مرتين مرتين. خامساً: عن عبد الله بن زيد نفسه قال: سمعت أذان رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكان أذانه وإقامته مثنى مثنى^(٣). فلو كان هو الذي أري الأذان، فلا بد أن يكون أعرف الناس به من كل أحد، فلماذا يرويه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! سادساً: حكى الداودي، عن ابن إسحاق: أن جبرائيل أتى النبي «صلى الله عليه وآله» بالأذان قبل أن يراه عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيام. ويؤيد ذلك ما رووه أيضاً: من أن عمر قد ذهب ليشتري ناقوساً، فأخبر: أن ابن زيد قد أري الأذان في المنام؛ فرجع ليخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له: «سبقك بذلك الوحي»^(٤).

(١) راجع ما تقدم وما سيأتي.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٦٣، وسنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٣) مسند أبي عوانة ج ١ ص ٣٣١، وراجع سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٤١.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٦، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠، وليراجع:

البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٦ و ٩٧.

..... :
سابعاً: إننا نرجح أن تشريع الأذان كان في مكة قبل الهجرة، وذلك لما تقدم عن ابن الحنفية، ولما يلي:

١ - عن زيد بن علي، عن آبائه «عليهم السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» علم الأذان ليلة أسري به، وفرضت عليه الصلاة. وكذا روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعن ابن عمر، والإمام الباقر «عليه السلام»، وعائشة^(١).

وقد جاء بسند صحيح عن الإمام الباقر «عليه السلام» ما هو قريب من ذلك^(٢).

٢ - عن أنس: إن جبرائيل أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالأذان حين فرضت الصلاة^(٣)، والصلاة إنما فرضت في مكة، كما هو معلوم.

(١) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣ عن الطبراني في الأوسط، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٣ وج ٢ ص ٩٣ و ٩٥، ومجمع الزوائد ج ١ ص ٣٢٩ و ٣٢٨ ونصب الراية ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٠، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ و ٧٢، وفتح الباري ج ٢ ص ٦٣، والدر المنثور ج ٤ ص ١٥٤ عن البزار، وابن مردويه، والطبراني، وأبي نعيم في دلائل النبوة، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥ - ٢٨٦، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، وحاشية تبين الحقائق، والبزار، ونقله في النص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن مشكل الآثار، وعن الشهيد في الذكرى، وكنز العمال ج ١٤ ص ٤ عن ابن مردويه، وقصار الجمل ج ١ ص ١٣، والوسائل ج ٤ ص ٦٦٠ والكافي ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٣٠٢.

(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ٧٢، وفتح الباري ج ٢ ص ٦٣.

.....
وصحح السهيلي مفاد الرواية المروية عن الإمام الباقر «عليه السلام»،
الدالة على تشريع الأذان حين الإسراء، والتي أشرنا إليها فيما سبق.
ولكنهم أوردوا عليه بأن في سندها زياد بن المنذر، وفيه شيعة^(١)، وبأن
النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأمر بالأذان حين الهجرة^(٢).
ولكن إيرادهم الأول كما ترى، وإيرادهم الثاني أيضاً لا واقع له، فإن
هذا هو محل النزاع.
وبالمناسبة نذكر: أنه قد ورد: أن جبرائيل نادى بالأذان لآدم حين أهبط
من الجنة^(٣).

وبعدما تقدم: فإننا نعرف عدم صحة ما رووا عن ابن عباس، من أن
فرض الأذان كان مع نزول آية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ
يَوْمِ الْجُمُعَةِ..} ^(٤). ليكون الأذان قد شرع حين نزول سورة الجمعة، بعد
السنة السابعة للهجرة وبعد وفاة عبد الله بن زيد، الذي قتل في أحد، أو
بعدها بقليل.

ولذلك قال الحاكم: «وإنما ترك الشيخان حديث عبد الله بن زيد في
الأذان والرؤيا، التي قصها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذا

(١) نصب الراية ج ١ ص ٢٦١.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧١، ونصب الراية
ج ١ ص ٢٦١، وسكت عنه الحاكم، لكن الذهبي طعن في نوح بن دراج، ولعله
لأجل أنه كان يتشيع، كما هو دأبهم.

(٣) فتح الباري ج ٢ ص ٦٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣.

(٤) فتح الباري ج ٢ ص ٦٢، والدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن أبي الشيخ.

الإسناد، لتقدم موت عبد الله بن زيد، فقد قيل: إنه استشهد بأحد، وقيل: بعد ذلك بيسير»^(١).

ولكن عبارة الدر المنثور هكذا: «الأذان نزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع فرض الصلاة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ..}، فيحتمل أن يكون مقصوده هو أن الأذان قد شرع في مكة مع فرض الصلاة، ثم استشهد بالآية للإشارة إلى أن الله قد أوماً إلى الأذان في القرآن أيضاً؛ فإذا صح هذا فإن هذه الرواية لا تعارض ما تقدم.

ثامناً: عن عائشة، وعكرمة، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، في قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا}: ركعتان فيما بين الأذان والإقامة^(٢).

وواضح: أن هذه الآية قد وردت في سورة فصلت، وهي مكية، فيدل على أن الأذان والإقامة قد شرعا في مكة، وجاءت الآية لتبين حكماً متعلقاً بهما.

ودعوى: أن الآية مما تأخر حكمه عن نزوله، لا شاهد لها إلا رواية ابن زيد المتقدمة، وقد تقدم أنها لا تصلح للإعتقاد عليها، بل الدليل قائم على كذبها.

تاسعاً: لقد ذكر المفسرون في قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} أنه في

(١) مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٣٤٨.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣، والدر المنثور ج ٥ ص ٣٦٤ عن عبد بن حميد، والخطيب في تاريخه، وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن أبي شيبه، وابن المنذر.

الأذان^(١).

وروى عدد منهم ذلك عن ابن عباس ومجاهد^(٢).
وهذه الآية في سورة الانشراح، وهي مكية أيضاً.

الكلمة الأخيرة:

وأخيراً.. فقد ورد بالسند الصحيح عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»، قال: لما هبط جبرائيل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأذان، أذن جبرائيل وأقام.
وعندها أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» أن يدعو له بلالاً فدعاه، فعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأذان، وأمره به^(٣).

وهذه الرواية لا تعارض ما سبق؛ إذ من الممكن أن يكون جبرائيل قد نزل بالأذان في مكة، كما أن الأذان الذي شرع حين الإسراء لعله الأذان الذي يمارسه كل فرد فرد، وأما أذان الإعلام فهو الذي نزل به جبرائيل

-
- (١) الكشف (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢٦٦، وجوامع الجامع ص ٥٤٥، والبحر المحيط ج ٨ ص ٤٨٨، ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٠٨، والتفسير الكبير ج ٣٢ ص ٥، ومدارك التنزيل (مطبوع بهامش الخازن) ج ٤ ص ٣٨٩.
- (٢) راجع: تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٢٥، وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ١٠٦، ولباب التأويل ج ٤ ص ٣٨٩.
- (٣) الوسائل ج ١ ص ٣٢٦، والكافي ج ٣ ص ٣٠٢، والنص والاجتهاد ص ٢٠٥، ونقله الصدوق والشيخ رحمهما الله تعالى.

وعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلالاً وأمره به.

وبالنسبة لما جرى بالمدينة؛ فلعل الأقرب هو الرواية التي تقول: إنه حين قدم المسلمون المدينة، كانوا يجتمعون يتحنون الصلاة، وليس ينادى بها، وكلموه يوماً في ذلك، فقال بعضهم لبعض: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بوقاً مثل بوق اليهود، فقال عمر «رض»: ألا تبعثوا رجالاً ينادون بالصلاة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قم يا بلال فأذن»^(١).

فهذه الرواية الأخيرة تفيد: أن المسلمين هم الذين اختلفوا فيما بينهم، واقترحوا بعض الوسائل على بعضهم البعض؛ فحسم «صلى الله عليه وآله» النزاع بأمره بلالاً بالأذان، فيظهر منه أن الأذان كان قد شرع قبل ذلك، حين الإسراء مثلاً، ولكن هؤلاء المسلمين إما لم يطلعوا على ذلك، لأنهم أسلموا حديثاً، أو أنهم أو بعضهم قد عرفوا بالأمر لكن لم يعجبهم ذلك، فأحبوا التغيير.

هذا.. وقد بحث الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» هذا الموضوع؛ فليراجعه من أراد^(٢).

حي على خير العمل في الأذان:

ومن الأمور التي وقع الخلاف فيها بين المسلمين، بين مثبت وناقض، هو قول: «حي على خير العمل» في الأذان مرتين، بعد قول: «حي على الفلاح».

(١) سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٣٧.

(٢) النص والاجتهاد ص ١٩٧ - ٢٠٥.

فذهبت طائفة تبعاً لأئمتهم إلى أن هذه الفقرة «حي على خير العمل» لا يصح ذكرها في الأذان، وهؤلاء هم جمهور أهل السنة والجماعة، وعبر بعضهم بلفظ: يكره، معللاً ذلك بأنه لم يثبت ذلك عن النبي، والزيادة في الأذان مكروهة^(١).

وقال القاسم بن محمد بن علي نقلاً عن توضيح المسائل لعهاد الدين يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرئ: «قد ذكر الروياني: أن للشافعي قولاً مشهوراً بالقول به.

وقد قال كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية: أنه كان حي على خير العمل من ألفاظ الأذان.

قال الزركشي في كتابه المسمى بالبحر ما لفظه: ومنها ما الخلاف فيه موجود في المدينة كوجوده في غيرها، وكان ابن عمر، وهو عميد أهل المدينة، يرى أفراد الأذان، ويقول فيه: «حي على خير العمل» إلى أن قال المقرئ: «فصح ما رواه الروياني: أن للشافعي قولاً مشهوراً في إثبات حي على خير العمل»^(٢).

وذهب أهل البيت وشيعتهم إلى أن هذه الفقرة جزء من الأذان والإقامة، لا يصحان بدونها، وهذا الحكم إجماعي عندهم^(٣) ونسبه الشوكاني إلى «العترة»^(٤) وقال: «نسبه المهدي في البحر إلى أحد قولي

(١) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، والبحر الرائق ج ١ ص ٢٧٥ عن شرح المهذب.

(٢) الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٧.

(٣) الانتصار للسيد المرتضى ص ٣٩.

(٤) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٨.

الشافعي»^(١).

قال الشوكاني: «وهو خلاف ما في كتب الشافعية»^(٢).

ويستدل شيعة أهل البيت على أن كلمة: حي على خير العمل ثابتة في الأذان بالإجماع، وبالروايات الكثيرة والمتواترة عن أهل بيت النبوة «عليهم السلام» في ذلك، كرواية أبي الربيع، وزرارة، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مهران عن أبي جعفر «عليه السلام».

ورواية فقه الرضا عن الرضا «عليه السلام».

ورواية ابن سنان، ومعلّى بن خنيس، وأبي بكر الحضرمي، وكليب الأسدي عن أبي عبد الله «عليه السلام».

ورواية أبي بصير عن أحدهما.

ورواية محمد بن أبي عمير عن أبي الحسن.

ورواية علي، ومحمد بن الحنفية عن النبي «صلى الله عليه وآله».

ورواية عكرمة عن ابن عباس^(٣).

ونحن إزاء هذا الاختلاف؛ لا نجد مناصاً من الأخذ بمذهب أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، ولا نستند في ذلك فقط إلى الإجماع المذكور، ولا إلى خصوص ما ورد عن أهل البيت الذين هم أحد الثقلين،

(١) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٨ و ١٩، والبحر الزخار ج ٢ ص ١٩١ وفيه: أخير بدل أحد، وكذا في الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٧ و ٣٠٨.

(٢) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩.

(٣) راجع: الوسائل وجامع أحاديث الشيعة والبحار، ومستدرک الوسائل أبواب الأذان.

.....
والذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.
وإنما إلى العديد من الأدلة والشواهد الأخرى التي نجدها عند غيرهم
أيضاً.

فقد روي ذلك - وبعضه بالأسانيد الصحيحة - عن كل من:

١ - عبد الله بن عمر.

٢ - الإمام علي بن الحسين، زين العابدين «عليه السلام».

٣ - سهل بن حنيف.

٤ - بلال.

٥ - علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

٦ - أبي محذورة.

٧ - ابن أبي محذورة.

٨ - زيد بن أرقم.

٩ - الباقر «عليه السلام».

١٠ - الصادق «عليه السلام».

١١ - الإمام الحسن بن علي «عليه السلام».

١٢ - الإمام الحسين «عليه السلام».

وغيرهم كثير.

فأما ما روي عن عبد الله بن عمر، فقد رواه:

١ - مالك بن أنس، عن نافع، قال: كان ابن عمر أحياناً إذا قال: حي

- :
- على الفلاح، قال على إثرها: حي على خير العمل^(١).
- ٢- عن الليث بن سعد، عن نافع قال: كان ابن عمر لا يؤذن في سفره، وكان يقول: حي على الفلاح، وأحياناً يقول: حي على خير العمل^(٢).
- ٣- وعن الليث بن سعد عن نافع، قال: كان ابن عمر ربما زاد في أذانه: حي على خير العمل.
- ورواه أنس بن مالك، عن نافع، عن ابن عمر^(٣).
- ورواه أيضاً: عطاء، عن ابن عمر^(٤).
- ٤- عن محمد بن سيرين عن ابن عمر: أنه كان يقول ذلك في أذانه^(٥).
- ٥- وكذلك رواه نسير بن ذعلوق، عن ابن عمر، وقال: في السفر^(٦).
- ٦- عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يقيم الصلاة في السفر، يقولها مرتين أو ثلاثاً، يقول: حي على الصلاة، حي على

(١) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٢٩٧ و ٣٠٨ و ٣١٢.

(٢) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤، وراجع: نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩.

(٣) راجع: سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤، وراجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الإسلامي للعرفي ص ٣٨ عن شرح التجريد. وقد رواه ابن أبي شيبه ونقله في الشفاء كما ورد في جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصعدي ج ٢ ص ١٩٢، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٨.

(٤) الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٢٩٩ وراجع ص ٣١٠.

(٥) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٨ عنه.

(٦) المصدران السابقان.

.....
الصلاة، حي على خير العمل^(١).

٧ - عبد الرزاق، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن رجل: أن ابن عمر كان إذا قال في الأذان: حي على الفلاح، قال: حي على خير العمل، ثم يقول: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله^(٢).

ورواه ابن أبي شيبة^(٣) من طريق ابن عجلان، وعبيد الله، عن نافع؛ عن ابن عمر.
٨ - عن زيد بن محمد، عن نافع؛ أن ابن عمر كان إذا أذن قال: حي على خير العمل^(٤).

وذكر صاحب الاعتصام رواية ابن عون عن نافع، وابن جريج عن نافع، وعثمان بن مقسم عن نافع، و عبد الله بن عمر عن نافع، وجويرية بن أسماء عن نافع^(٥) فراجع.
ونقل رواية ذلك عن ابن عمر الحلبي الشافعي وغيره أيضاً، فراجع^(٦).

وقال ابن حزم: «ولقد كان يلزم يقول بمثل هذا عن الصاحب؛ مثل

(١) مصنف عبد الرزاق ج ١ ص ٤٦٤.

(٢) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٦٥، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٢٩٩.

(٣) عن مصنف ابن أبي شيبة ج ١ ص ١٤٥، وهامش مصنف عبد الرزاق ج ١

ص ٤٦٠ عنه، وراجع: الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٢٩٦.

(٤) الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٢٩٥.

(٥) الإعتصام ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٩.

(٦) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٨، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣١١ و ٣١٢ عن

ابن حزم في كتاب الإجماع.

هذا لا يقال بالرأي: أن يأخذ بقول ابن عمر هذا؛ فهو عنه ثابت بأصح إسناده^(١).

وأما ما ورد عن علي بن الحسين «عليه السلام»:

٩ - فعن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن علي بن الحسين كان يقول في أذانه، إذا قال: حي على الفلاح، قال: حي على خير العمل، ويقول: هو الأذان الأول^(٢).

وليس يجوز أن يحمل قوله هو الأذان الأول إلا على أنه أذان رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

١٠ - ونقل ذلك عن علي بن الحسين، الحلبي الشافعي، وابن حزم الظاهري وغيرهما كما سيأتي.

وأما سهل بن حنيف فقد:

١١ - روى البيهقي: أن ذكر حي على خير العمل في الأذان قد روي عن أبي أمامة: سهل بن حنيف^(٤).

١٢ - ونقل ابن الوزير، عن المحب الطبري الشافعي في كتابه إحكام

(١) المحلى ج ٣ ص ١٦٠ و١٦١.

(٢) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الإسلامي ص ٣٨ عن مصنف ابن أبي شيبة؛ وجواهر الأخبار والآثار ج ٢ ص ١٩٢، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٢٩٩ و٣٠٨ و٣١٠، ونيل الأوطار ج ٢ ص ١٩، وراجع: كتاب العلوم ج ١ ص ٩٢.

(٣) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الإسلامي ص ٣٨.

(٤) سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

الأحكام، ما لفظه: «ذكر الحيلة، يحيي على خير العمل، عن صدقة بن يسار، عن أبي أمامة سهل بن حنيف: أنه كان إذا أذن قال: حي على خير العمل. أخرجه سعيد بن منصور»^(١).
وعن بلال أيضاً:

١٣ - عن عبد الله بن محمد بن عمار، عن عمار وعمر ابني حفص بن عمر، عن آبائهم، عن أجدادهم، عن بلال: أنه كان ينادي بالصبح، ويقول: حي على خير العمل، فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجعل مكانها: الصلاة خير من النوم، وترك حي على خير العمل^(٢).
أما ذيل الرواية فالظاهر أنه من زيادات الرواة؛ لأن عبارة: «الصلاة خير من النوم» قد أضيفت إلى الأذان بعد زمان النبي «صلى الله عليه وآله»، وبالذات من قبل عمر بن الخطاب، كما صرحت به العديد من الروايات^(٣).

-
- (١) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الإسلامي ص ٣٨. وراجع: الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٩، وراجع: ص ٣١١.
- (٢) مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣٠ عن الطبراني في الكبير، ومصنف عبد الرزاق ج ١ ص ٤٦٠، وسنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، وكنز العمال ج ٤ رقم ٥٥٠٤، ومنتخب الكنز هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٦ عن أبي الشيخ في كتاب الأذان، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٩٩.
- (٣) راجع: موطأ مالك ج ١ ص ٩٣، وسنن الدارقطني، ومصنف عبد الرزاق ج ١ رقم ١٨٢٧ و ١٨٢٩ و ١٨٣٢ ص ٤٧٤ و ٤٧٥، وكنز العمال ج ٤ رقم ٥٥٦٧ و ٥٥٦٨، ومنتخبه هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٨، وفيه: أنه قال إنها بدعة، والترمذي وأبي داود، وغير ذلك.

..... :
١٤ - كان بلال يؤذن بالصبح، فيقول: حي على خير العمل^(١). يضاف

إلى كل ذلك:

١٥ - قول القوشجي وغيره: إن عمر خطب الناس، وقال: أيها الناس، ثلاث كن على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنا أنهى عنهن، وأحرمهن، وأعاقب عليهن، وهي: متعة النساء، ومتعة الحج، وحي على خير العمل^(٢).

وقد اعتذر القوشجي متكلم الأشاعرة عن ذلك بقوله: «إن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع»^(٣).

وهذا اعتذار غير وجيه، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، كما صرحت به الآيات.

ووجه العذر الحق عنه هو: أن الخليفة الثاني قد رأى - في نظره - : أن الناس إذا سمعوا: أن الصلاة هي خير العمل، فإنهم سوف يتكلمون على الصلاة ويتركون الجهاد، كما سيصرح به الخليفة نفسه فيما يأتي.

(١) منتخب كنز العمال هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٦، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٩٩ عن كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٦.

(٢) شرح التجريد للقوشجي مبحث الإمامة ص ٤٨٤، وكنز العرفان ج ٢ ص ١٥٨ عن الطبري في المستنير، والغدير ج ٦ ص ٢١٣ وقال: أخرجه الطبري في المستبين عن عمر، وحكاه عن الطبري الشيخ علي البياضي في كتابه: الصراط المستقيم وجواهر الأخبار والآثار ج ٢ ص ١٩٢ عن التفتازاني في حاشيته على شرح العضد.

(٣) شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٤.

ومعنى ذلك هو: أن هذا كان منه نهياً مصلحياً وقتياً، ولم يكن نهياً
تشريعياً تحريمياً، حيث إنه كان يعلم: أنه ليس له حق التشريع.

١٦ - وقال الحلبي: «ونقل عن ابن عمر، وعن علي بن الحسين
«رض»: أنها كانا يقولان في أذانيهما، بعد حي على الفلاح: حي على خير
العمل»^(١).

١٧ - وقال علاء الدين الحنفي، في كتاب التلويح في شرح الجامع
الصحيح: «وأما حي على خير العمل، فذكر ابن حزم: أنه صح عن ابن
عمر، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف^(٢): أنهم كانوا يقولون في أذانهم: حي
على خير العمل»^(٣).

وأضاف صاحب التلويح على هذا قوله: «وكان علي بن الحسين
يفعله»^(٤).

١٨ - وقال السيد المرتضى: «وقد روت العامة: أن ذلك مما كان يقال في
بعض أيام النبي «صلى الله عليه وآله»، وإنما ادعي: أن ذلك نسخ ورفع،
وعلى من ادعى النسخ الدلالة، وما يجدها»^(٥).

(١) السيرة الحلبية ط سنة ١٣٨٢، باب الأذان ج ٢ ص ٩٨.

(٢) كذا في الأصل والصحيح: أبو أمامة، سهل بن حنيف.

(٣) المحلى ج ٣ ص ١٦٠، وراجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ
الفقه الإسلامي للعرفي ص ٣٨، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣١١.

(٤) دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الإسلامي للعرفي ص ٣٨
والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣١١.

(٥) الانتصار ص ٣٩.

١٩ - وعن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن حماد، عن أبيه، عن جده، عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حديث المعراج، قال: ثم قام جبرائيل فوضع سبابته اليمنى في أذنه، فأذن مثنى مثنى يقول في آخرها: حي على خير العمل، مثنى مثنى^(١).

٢٠ - وكان ابن النباح يقول في أذانه: حي على خير العمل^(٢). وقال القاسم بن محمد: «ذكر في كتاب السنن ما لفظه: الصحيح أن الأذان شرع بحى على خير العمل؛ لأنه اتفق على الأذان به يوم الخندق؛ ولأنه دعاء إلى الصلاة، وقد قال «صلى الله عليه وآله»: خير أعمالكم الصلاة، وقد اتفق أيضاً على أن ابن عمر والحسن والحسين «عليهما السلام» وبلاياً، وجماعة من الصحابة، أذنوا به» حكاه في شرح الموطأ وغيره من كتبهم.

قال صاحب فتوح مكة وهو من مشايخ الصوفية: «أجمع أهل المذاهب على التعصب في ترك الأذان بحى على خير العمل، إنتهى إلى قوله: وقد ذكر السيد العلامة عز الدين أبو إبراهيم، محمد بن إبراهيم ما لفظه: «بحثت عن هذين الإسنادين في حي على خير العمل، فوجدتهما صحيحين إلى ابن عمر، وإلى زين العابدين»^(٣).

وروى الإمام السروجي في شرح الهداية للحنفية؛ أحاديث حي على

(١) سعد السعود ص ١٠٠، والبحار ج ٤ ص ١٠٧، وجامع أحاديث الشيعة ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) راجع: الوسائل، وجامع أحاديث الشيعة، وقاموس الرجال.

(٣) الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣١٠، وراجع ص ٣١٢.

خير العمل بطرق كثيرة^(١).

٢١ - روي عن علي «عليه السلام»، أنه قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إعلموا: أن خير أعمالكم الصلاة، وأمر بلائاً أن يؤذن: حي على خير العمل، حكاها في الشفاء^(٢).

٢٢ - روى محمد بن منصور في كتابه الجامع، بإسناده عن رجال مرضيين، عن أبي محذورة، أحد مؤذني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن أقول في الأذان: حي على خير العمل^(٣).

٢٣ - روى عن محمد بن منصور: أن «أبا» القاسم «عليه السلام» أمره أن يؤذن، ويذكر ذلك (يعني: حي على خير العمل) في أذانه قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر به، هكذا في الشفاء^(٤).

٢٤ - عن أبي بكر أحمد بن محمد السري: أنه سمع موسى بن هارون، عن الحماني، عن أبي بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن ربيع، عن أبي محذورة، قال: كنت غلاماً، فقال لي النبي «صلى الله عليه وآله»: اجعل في

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣١١.

(٢) جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار ج ٢ ص ١٩١، والإمام الصادق «عليه السلام» والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٨٤، والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٩.

(٣) البحر الزخار ج ٢ ص ١٩٢، وجواهر الأخبار والآثار هامش نفس الصفحة، وكتاب العلوم ج ١ ص ٩٢.

(٤) جواهر الأخبار والآثار ج ٢ ص ١٩١.

آخر أذانك: حي على خير العمل^(١).

٢٥ - وفي الشفاء، عن هذيل بن بلال المدائني، قال: سمعت ابن أبي

محدورة يقول: حي على الفلاح، حي على خير العمل^(٢).

٢٦ - عن زيد بن أرقم: أنه أذن في حي على خير العمل^(٣).

٢٧ - وقال الشوكاني نقلاً عن كتاب الأحكام: وقد صح لنا: أن حي

على خير العمل كانت على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤذن بها،

ولم تطرح إلا في زمن عمر^(٤).

٢٨ - وهكذا قال الحسن بن يحيى، روى ذلك عنه في جامع آل محمد^(٥).

وبه قال محمد: سألت أحمد بن عيسى، قلت: تقول إذا أذنت: حي على

خير العمل، حي على خير العمل؟!!

قال: نعم.

قلت: في الأذان والإقامة؟

قال: نعم، ولكنني أخفيها.

وبه قال: حدثني محمد بن جميل، عن نصر بن مزاحم، عن أبي الجارود،

وعن أبي جعفر: أنه كان يقول: حي على خير العمل، في الأذان والإقامة.

(١) ميزان الإعتدال للذهبي ج ١ ص ١٣٩، ولسان الميزان للعسقلاني ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) المصدران السابقان ص ١٩٢، وجواهر الأخبار والبحر الزخار.

(٣) الإمام الصادق <عليه السلام> والمذاهب الأربعة ج ٥ ص ٢٨٣. وراجع: نيل

الأوطار ج ٢ ص ١٩ عن المحب الطبري في أحكامه.

(٤) نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩.

(٥) المصدر السابق.

.....
وعن أبي الجارود، عن حسان، قال: أذنت لي يحيى بن زيد بخراسان، فأمرني أن أقول: حي على خير العمل، حي على خير العمل^(١).

٢٩ - روينا عن علي بن الحسين «عليه السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان إذا سمع المؤذن قال كما يقول، فإذا قال: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله الخ..^(٢).

٣٠ - عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين «عليهما السلام»: أنه كان إذا قال: حي على الفلاح، قال: حي على خير العمل^(٣).

٣١ - قال الزركشي في البحر المحيط: ومنها ما الخلاف فيه موجود، كوجوده في غيرها، وكان ابن عمر، وهو عميد أهل المدينة، يرى أفراد الأذان والقول فيه: حي على خير العمل^(٤).

٣٢ - وفي كتاب السنن ما لفظه: الصحيح أن الأذان شرع بحي على خير العمل^(٥).

٣٣ - وروي عن علي «عليه السلام»، أنه كان يقول: حي على خير العمل، وبه أخذت الشيعة^(٦).

(١) كتاب العلوم المعروف بأما لي أحمد بن عيسى ج ١ ص ٩٢.

(٢) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٤٥، والبحار ج ٨٤ ص ١٧٩ عنه.

(٣) جواهر الأخبار والآثار للصعدي ج ٢ ص ١٩٢.

(٤) الروض النضير ج ١ ص ٥٤٢. والإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٥٧.

(٥) نفس المصدر.

(٦) الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣٠٨.

..... :

٣٤- وفي الروض النضير: وقد قال كثير من علماء المالكية، وغيرهم من الحنفية والشافعية: أنه كان «حي على خير العمل» من ألفاظ الأذان^(١).

إشكالات غير واردة:

١- وأما دعوى: أن عدم ورود ذلك في الصحيحين وغيرهما من دواوين الحديث يدل على عدم اعتباره في الأذان، وحتى لو صح ما روي من أنه الأذان الأول، فهو منسوخ بأحاديث الأذان لعدم ذكره منها^(٢)، فلا تصح:

أولاً: لأن الصحيحين لم يجمعوا جميع الأحاديث التي تدل على الأحكام.

ثانياً: لو كان منسوخاً لعلم بذلك ابن عمر، وزين العابدين، وزيد بن أرقم، وغيرهم، فلماذا استمروا على ذلك حتى بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟.

ثالثاً: قد صرحت بعض الروايات التي ذكرناها في هذا البحث، أن أول من ألغى هذه العبارة من الأذان هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لمصلحة تخيل أنها تقتضي ذلك، فبعد انتفاء تلك المصلحة - لو سلم صحة الاستناد إليها والاعتماد عليها - لا يبقى مبرر للاستمرار على ترك ما شرعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك.

ولعل التزام عدد من الصحابة والتابعين وغيرهم وأهل البيت

(١) الروض النضير ج ١ ص ٥٤٢.

(٢) راجع: نيل الأوطار ج ٢ ص ١٩.

وشيعتهم بهذه الفقرة، يشير إلى أنهم لم يوافقوا عمر على ما ذهب إليه من الاجتهاد ولم يقبلوه منه.

٢- وبعد هذا، فلا يصح قول البعض: إن ذلك مكروه؛ لأنه لم يثبت عن النبي^(١).

فقد عرفت أنه قد وردت الروايات الصحيحة عن ذكرنا، أنهم كانوا يقولونها، وأنه مذهب أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، الذين هم أحد الثقلين.

وقد بقي قول حي على خير العمل شعار العلويين، وأهل البيت وشيعتهم على مدى الأعصار، حتى إن ابتداء ثورة الحسين بن علي صاحب فخ، كان لأجل ذلك، ولتلاحظ النصوص التالية:

حي على خير العمل موقف وشعار:

أ- صعد عبد الله بن الحسن الأفظس المنارة التي عند رأس النبي «صلى الله عليه وآله»، عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن:

«أذن بحي على خير العمل، فلما نظر إلى السيف بيده أذن بها، وسمع العمري (يعني والي المدينة من قبل المنصور) فأحس بالشر، ودهش، وصاح: أغلقوا البغلة - الباب - وأطعموني حبتي - ماء»^(٢).

(١) البحر الرائق ج ١ ص ٢٧٥ عن شرح المهذب، وسنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٤٤٦.

ب - وذكر التنوخي: أن أبا الفرج أخبره: أنه سمعهم في زمانه يقولون في أذانهم بالقطيعة: حي على خير العمل^(١).

ج - وقال ابن كثير في حوادث سنة ٤٤٣ عن الروافض: «وَأَذَنُوا بِحَيِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢).

د - وقال الحلبي: «وذكر بعضهم: أن في دولة بني بويه كانت الرفضة تقول، بعد الحيعلتين: حي على خير العمل، فلما كانت السلجوقية، منعوا المؤذنين من ذلك، وأمروا أن يقولوا في أذان الصبح بدل ذلك: الصلاة خير من النوم، مرتين، وذلك في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة»^(٣).

هـ - وتحدث ابن فرحون: أنه كان ثمة مقصورة قد زيدت على الحجرة النبوية الشريفة، عملت وقاية من الشمس إذا غربت قال: «وكانت بدعة وضلالة تصلي فيها الشيعة»..

إلى أن قال: «ولقد كنت أسمع بعض من يقف على بابها، ويؤذن بأعلى صوته: حي على خير العمل، وكانت مواطن تدريسهم، وخلوة علمائهم، حتى قبض الله لها من سعى فيها، فأصبحت ليلة منخلعة أبوابها الخ»^(٤).

و - وقال ابن قاسم النويري الإسكندراني: «فحين وصل المعز إلى مصر، أمر بأن يؤذن على جامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون بحي

(١) نشوار المحاضرات ج ٢ ص ١٣٣.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٣.

(٣) السيرة الحلبية ط سنة ١٣٨٢ باب الأذان ج ٢ ص ١٠٥، وراجع: البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٨، حوادث سنة ٤٤٨ هـ.

(٤) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٦١٢.

.....
على خير العمل؛ فاستدام ذلك في الأذان، إلى حين انقضاء دولة العبيديين
في سنة سبع وستين وخمسمائة، فانقرض حينئذٍ ذكر حي على خير العمل
بانقراض دولتهم. أبطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين
أيوب»^(١).

ز - وفي سنة ٣٥٠ هـ أعلن المؤذنون بحي على خير العمل بأمر جعفر
بن فلاح نائب دمشق للمعز^(٢)، وفي نفس السنة أيضاً قدم البساسيري إلى
بغداد، وزيد في الأذان حي على خير العمل^(٣).

ح - وقال: «إن العبيديين الزاعمين أنهم فاطميون، كانوا شيعة،
يقولون في أذانهم بعد الحيعلتين: حي على خير العمل، يقولونها مرتين كما
تقولها الزيدية في أذانهم بمكة والمدينة في غير أيام الحج، وكذلك بصعدة
أيضاً وغيرها من أرض اليمن»^(٤).

ط - وقال ابن كثير، وهو يتحدث عن شروط الشيعة على والي حلب
لإعانتهم إياه على صلاح الدين:

«إن الروافض شرطوا عليه إعادة حي على خير العمل في الأذان، وأن
ينادى في جميع الجوامع والأسواق، ويستخلص لهم الجامع وحدهم،

(١) الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام ج ٤ ص ٢٤ وراجع: تاريخ الإسلام
للذهبي حوادث سنة ٣٨١ هـ. ص ٣٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٠٢.

(٢) تاريخ الإسلام حوادث سنة ٣٥٠ هـ، ص ٤٨، والبداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٠
وراجع: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٤٠٨ ومآثر الإنافة ج ١ ص ٣٠٧.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٤١٨.

(٤) الإمام ج ٤ ص ٣٢، وليراجع ص ٤٠ و ٤١ منه.

وينادى بأسامي الأئمة الاثني عشر سلام الله عليهم، ويكبر على الجنائز
خمس تكبيرات، وأن يفوض أمر العقود والأنكحة إلى الشريف الطاهر أبي
المكارم حمزة بن زهرة الحسيني، مقتدى شيعة حلب، فقبل الوالي ذلك
كله»^(١).

سبب حذف هذه العبارة:

وأما لماذا حذفت هذه العبارة من الأذان؟! فقد صرح الخليفة الثاني
نفسه بسر ذلك، فقد قال ابن شاذان، مخاطباً أهل السنة والجماعة:
٣٥ - «ورويتم عن أبي يوسف القاضي، رواه محمد بن الحسن،
وأصحابه، وعن أبي حنيفة، قالوا: كان الأذان على عهد رسول الله «صلى الله
عليه وآله»، وعلى عهد أبي بكر، وصدرًا من خلافة عمر ينادى فيه: حي
على خير العمل.

فقال عمر بن الخطاب: إني أخاف أن يتكل الناس على الصلاة، إذا
قيل: حي على خير العمل، ويدعوا الجهاد، فأمر أن يطرح من الأذان: حي
على خير العمل»^(٢).

وروي مثل ذلك عن:

٣٦ - أبي عبد الله الصادق.

٣٧ - وأبي جعفر الباقر.

(١) الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٨٩ والبدية والنهاية ج ١٢ ص ٢٨٩.
(٢) الإيضاح لابن شاذان ص ٢٠١ و ٢٠٢، وراجع: الإعتصام بحبل الله المتين ج ١
ص ٢٩٦ و ٢٩٩ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧، وكتاب العلوم ج ١ ص ٩٢.

كلمة حول هذا الرأي:

ونحن وإن كنا نرى: أن أمر الجهاد في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان أعظم وأشد، والناس إليه أحوج منهم على عهد عمر، ولم يحدف النبي «صلى الله عليه وآله» هذه العبارة من الأذان مما يعني: أننا نستطيع أن نجزم بأن اجتهاد الخليفة الثاني لم يكن على درجة مقبولة من القوة والكفاية، حيث لم تلحظ فيه جميع جوانب وخلفيات هذه القضية بالشكل الكافي والمقبول.

إلا أن تعليل عمر الأنف الذكر، يدل على أن ترك هذه الفقرة من الأذان إنما كان لأسباب وقتية وآنية اقتضت ذلك بنظره، وربما لم يكن يفكر في استبعاد هذه الفقرة من الأذان إلى الأبد، وإنما فقط إلى فترة محدودة، رآها تتطلب هذا الإجراء.

وإذا كان ذلك هو ما حدث بالفعل، فإننا لا نستطيع أن نفهم المبرر

(١) راجع: دعائم الإسلام ج ١ ص ١٤٢، والبحار ج ٨٤ ص ١٥٦ و ١٣٠، وعلل الشرايع ج ٢ ص ٥٦، والبحر الزخار، وجواهر الأخبار والآثار بهامشه كلاهما ج ٢ ص ١٩٢، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الإسلامي لمحمد سعيد العرفي ص ٣٨ عن سعد الدين التفتازاني في حاشيته على شرح العضد، على مختصر الأصول لابن الحاجب، وعن: الروض النضير ج ٢ ص ٤٢، ونقله في الإعتصام بحبل الله المتين ج ١ ص ٣١٠ عن التفتازاني في حاشيته على شرح العضد أيضاً.

..... :
للاستمرار على ترك هذه الفقرة في هذا الزمان الذي لم يعد فيه ذلك المبرر
قائماً.

ولماذا لا نعود جميعاً إلى سنة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»،
وأهل بيته الطاهرين؟!.

وحتى لو كان عمر قد أراد - كما فعله في موارد مشابهة - أن يستبعد
ذلك من الأذان مطلقاً وأن يسقطه من التشريع الإسلامي، فإن المعيار هو
قول الله ورسوله لا قول عمر، وذلك أمر واضح ولا يحتاج إلى مزيد بيان.

..... :

الفصل الثاني:

تشريع بعض العبادات

الزيادة في الصلاة:

وقد ورد في بعض الروايات المعتبرة^(١): أن الصلاة كانت في أول الأمر ركعتين ركعتين، فرضها الله تعالى على العباد مباشرة، وفوض لرسوله زيادة معينة يزيد عليها في الوقت المناسب، من دون حاجة إلى وحي جديد، فزاد «صلى الله عليه وآله» في المغرب ركعة واحدة، وفي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين.

وقيل: إن هذه الزيادة كانت في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: بعد ولادة الحسين «عليهما السلام».

وقد يقال: أن الأول هو الأصح، لورود ذلك في حديث تحويل القبلة - الذي سيأتي الكلام فيه هو وفرض الزكاة بعد بدر - وذلك كان قبل ولادتهما «عليهما السلام».

إلا أن يقال: إن هذه الرواية موضع شك، فقد تعودنا من هؤلاء الناس التلاعب في النصوص والآثار إذا كانت تثبت فضلاً وكرامة لعلي وأهل بيته «عليهم السلام».

(١) الوسائل ج ٣ في أبواب إعداد الفرائض ونوافلها، باب عدد الفرائض اليومية، وجملة من أحكامها.

وعلى كل حال، فإن هذه الزيادة غير مستهجنة، فإن تشريع الأحكام كان تدريجياً؛ وعلى الأخص تلك الأحكام التي ربما يصعب الالتزام بها على العربي؛ لمخالفتها لما اعتاد عليه، وركن وسكن إليه.

قول آخر في فرض الصلاة:

وبعد ما تقدم: فهناك روايات يظهر منها: أن الصلاة قد فرضت تامة من أول الأمر، أو على الأقل كانت تامة في مكة فقد قالوا:

١ - كان أول صلاة صلاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» الظهر، فأتاه جبرائيل فقال: {إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} (١).

قال: فقام جبرائيل بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والنبى «صلى الله عليه وآله» خلفه، ثم الناس خلف رسول الله، والنساء خلف الرجال، قال: فصلى بهم الظهر أربعاً، حتى إذا كان العصر، قام جبرائيل ففعل مثلها، ثم تذكر الرواية صلاة المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً (٢).

وواضح: أن سورة الصافات مكية، فالرواية تدل على أن الصلاة فرضت تماماً في مكة.

٢ - وعن نافع بن جبير، وغيره: لما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة أسري به فيها، لم يرعه إلا جبرائيل يتدلى حين زاغت الشمس، ثم

(١) الآية ١٦٥ من سورة الصافات.

(٢) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٣، وسنن البيهقي ج ١ ص ٢٦٢، وعن أبي داود في مراسيله، والدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

تذكر الرواية أنه صلى بهم الظهر أربعاً، والعصر كذلك الخ..^(١).
٣ - وعن الحسن البصري: إن صلاة الحضر أول ما فرضت فرضت
أربعاً^(٢).

ولكننا لا نستطيع قبول ذلك، لوجود الروايات الثابتة والصحيحة
عند الشيعة، وعند غيرهم، الدالة على أن صلاة الحضر قد فرضت أولاً
ركعتين، ثم زيد فيها.

إلا أن يكون المراد: أن الصلاة أبلغت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»
أولاً كاملة، ولكن المصلحة كانت تلزم أولاً بركعتين، ثم صارت تلزم
بالكل، وفوض إلى النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أمر تبليغ ذلك في
الوقت المناسب.

ولذلك فقد اعتبرت الركعتان الأوليان فريضة، أي ما فرض من الله
مباشرة على العبد، والباقي سنة، وهو ما أبلغ حكمه للنبي «صلى الله عليه
وآله» ليلغ في صورة تحقق موضوعه، وهو المصلحة المقتضية له.

فرض الزكاة:

ويقولون: إن فرض زكاة الأموال كان بعد بدر في السنة الثانية، وذلك
بعد فرض زكاة الفطر.
وقيل: بل فرضت الزكاة في السنة الثالثة.

(١) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٥، وفي هامشه عن أبي داود.
(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١، وتفسير الطبري في سورة النساء الآية ١٠١.

.....
وقيل: في الرابعة^(١).

ولكن الصحيح: هو ما ذهب إليه البعض^(٢) من أن فرض الزكاة كان في مكة.

وذلك بدليل:

١ - إن عدة آيات قرآنية نزلت في مكة تأمر بإيتاء الزكاة، ونذكر من ذلك: قوله تعالى: { فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.. } وهي في سورة مكية^(٣).

وقوله: { وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ } وهي مكية^(٤).

وقوله تعالى: { الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } وهي مكية^(٥).

وقوله تعالى: { الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } وهي مكية أيضاً^(٦).

ولتراجع سورة الروم المكية الآية ٣٩.

ثم إن الله تعالى قال: عن إسحاق، ويعقوب، ولوط، وإبراهيم «عليهم

السلام»: { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ }^(٧).

وقد حكى الله سبحانه على لسان عيسى قوله: { وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٩، وغير ذلك.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٧٧.

(٣) الآية ١٥٦ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٤ من سورة المؤمنون.

(٥) الآية ٣ من سورة النحل والآية ٤ من سورة لقمان.

(٦) الآية ٧ من سورة فصلت.

(٧) الآية ٧٣ من سورة الأنبياء.

وَالزَّكَاةَ مَا دُمْتُ حَيًّا^(١).

وقال تعالى عن إسماعيل: {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ}^(٢).

وكل ما تقدم إنما ورد في سور مكية.

وفي الآيات الأخيرة دلالة على تشريع الزكاة في الأمم السالفة أيضاً، وقد علمنا: أنها لم تنسخ.

٢ - وروى عن أبي طالب: أنه حدث عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن ربه أرسله بصلة الأرحام، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة^(٣).

٣ - عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: لما بعث النبي «صلى الله عليه وآله» أتيته لأبايعه فقال: لأي شيء جئت يا جرير؟

قلت: جئت لأسلم على يديك، فدعاني إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة^(٤).

٤ - وقد روى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن محمد بن مسلم، وأبي بصير، وبريد، وفضيل، كلهم عن أبي جعفر وأبي عبد الله «عليهما السلام»، قال: فرض الله الزكاة مع الصلاة^(٥).

(١) الآية ٣١ من سورة مريم.

(٢) هذه الآية والتي سبقتها هي الآية ٣١ و ٥٥ من سورة مريم.

(٣) الإصابة ج ٤ ص ١١٩، والبحار ج ٣٥ ص ١٥١، والطرائف ص ٣٠٤، والغدير ج ٧ ص ٣٦٨ عن نهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنبلي.

(٤) تدريب الراوي ج ٢ ص ٢١٢ عن الطبراني في الأوسط، وذكر الشطر الأول من الحديث في الإصابة ج ١ ص ٢٣٢.

(٥) الوسائل ج ٤ ص ٥، وفروع الكافي ج ٣ ص ٤٩٨.

.....
وسند هذه الرواية جيد، كما ترى.

٥ - ويؤيد ذلك أيضاً: أن جعفر بن أبي طالب قد ذكر الزكاة لملك الحبشة، على أنها مما أمرهم الله به^(١).

رواية تعارض ما سبق:

ولكن ربما ينافي ما قدمناه، ما جاء في رواية صحيحة السند: أنه لما أنزلت آية الزكاة، التي في سورة التوبة، وهي مدنية، ومن أواخر ما نزل، أمر «صلى الله عليه وآله» مناديه في الناس: إن الله فرض عليكم الزكاة، وبعد أن حال الحول أمر مناديه فنادى في المسلمين: أيها المسلمون، زكوا أموالكم تقبل صلاتكم، قال: ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق^(٢).
ولكن هناك عشرات الآيات التي نزلت قبل سورة التوبة، والتي ربما تصل إلى ثلاثين آية، كلها تدل على فرض الزكاة، وحملها كلها على الاستحباب، أو على خصوص زكاة الفطرة بعيد جداً.

فلا بد من حمل هذه الرواية على أن الزكاة، وإن كانت قد شرعت قبل هذا الوقت، إلا أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يضع الجباة لها إلا بعد

(١) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٥، وحلية الأولياء ج ١ ص ١١٤ و ١١٦ عن ابن إسحاق، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ و ٧٤ و ٦٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠، وسنن البيهقي ج ٩ ص ١٤٤، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٧ و ٢٤ عن الطبراني وأحمد، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٧، عن بعض من تقدم، وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٠ وحسن إسناده.

(٢) راجع: الكافي ج ٣ ص ٤٩٧، وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٥٦.

..... :

نزول هذه الآية، ويمكن أن يكون إيجابها قد حصل في مكة، ولكن فرض أخذها، والإلزام بدفعها قد كان في المدينة.

فرض زكاة الفطرة:

وإذا كانت زكاة الفطرة فرضت قبل زكاة الأموال، فتكون هي أيضاً قد فرضت في مكة، ويدل على ذلك بالإضافة إلى ما تقدم:
ما ورد في سفر السعادة من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يرسل منادياً ينادي في الأسواق، والمحلات، والأزقة في مكة: ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة^(١).
وإن كنا نستبعد ذلك، بسبب حساسية الوضع فيما بين المسلمين والمشرّكين آنئذٍ.

فرض الصيام:

ويقولون: إن صيام شهر رمضان المبارك قد فرض في المدينة في السنة الثانية^(٢)، حين نزول قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ..} إلى قوله: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ..} ^(٣).
وكان الناس قبل فرض صوم شهر رمضان يصومون أياماً، كما ذكره

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٤.

(٣) الآيات ١٨٣ إلى ١٨٥ من سورة البقرة.

القمي^(١).

وذكر الحلبي: أنه «صلى الله عليه وآله» كان قبل فرض شهر رمضان يصوم هو وأصحابه ثلاثة أيام، وهي الأيام البيض من كل شهر^(٢).
ومما يدل على فرض الصيام في مكة، كلام جعفر بن أبي طالب رحمه الله المتقدم مع ملك الحبشة، وفيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم بالصلاة والزكاة، والصيام.

مناقشة وردها:

لكن البعض قد سجل تحفظاً هنا، فقال: إنه يغلب على ظنه أن تكون قصة جعفر وملك الحبشة موضوعة؛ بدليل ذكر الصيام فيها، وهو لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى الحبشة^(٣).

ولكن هذا التحفظ لا اعتبار به؛ إذ لماذا لا يكون نفس كلام جعفر هذا دليلاً على تشريع الصيام في مكة؟!.

يضاف إليه قول القمي والحلبي المتقدمان: إلا أن يكون مراده بتحفظه المسجل خصوص صيام شهر رمضان، فلا مجال حينئذٍ للاعتراض عليه بكلام الحلبي والقمي رحمه الله.

لكن مما يدل على أن شهر رمضان قد فرض في مكة: أنه لما أسلم عمرو

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٦٥.

(٢) فجر الإسلام ص ٧٦.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٦، تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢١٣ وراجع

بن مرة الجهني، وأرسله «صلى الله عليه وآله» إلى قومه، قال لهم: «إني رسول من رسول الله إليكم: أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم من النار، وأمركم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله الجنة» وكان ذلك في أول بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

هذا، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الصوم كان مشروعاً في الأمم السالفة، فقد قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ} ^(٢).

والمراد بالأيام المعدودات هو شهر رمضان المبارك، كما فسرتها الآية نفسها.

صيام يوم عاشوراء:

ويذكرون هنا أيضاً: أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» حينما قدم المدينة، وجد يهود المدينة يصومون يوم عاشوراء، وهو العاشر من المحرم^(٣)؛ فسألهم عن ذلك، فقالوا - على ما في الصحيحين - وغيرهما: «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه».

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي نعيم، ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٤٤ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ١ ص ١٩١ عنها، وعن كثر العمال ج ٧ ص ٦٤ عن الروياني، وابن عساكر.

(٢) الآية ١٨٣ من سورة البقرة.

(٣) أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٧.

.....
فقال «صلى الله عليه وآله»: فأنا أولى بموسى، وأحق بصيامه منكم،
فصامه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمر بصيامه»^(١).

وكان ذلك قبل أن يفرض صوم شهر رمضان.
وفي الصحيحين وغيرهما أيضاً: عن عائشة، وغيرها: كانت قريش
تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصومه،
فلما هاجر إلى المدينة صامه، وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال:
«من شاء صامه، ومن شاء تركه»^(٢).

ويذكر مسلم وغيره: أن صيامه «صلى الله عليه وآله» ليوم عاشوراء
كان قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بسنة^(٣).

كذب تلك الروايات:

ونحن نعتقد ونجزم: بأن ذلك كله من نسج الخيال.
فبعد غض النظر عن:

(١) المصنف ج ٤ ص ٢٨٩ و ٢٩٠، والبخاري ط الميمنية ج ١ ص ٢٤٤، وصحيح
مسلم ط صحيح بمصر ج ٣ ص ١٥٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٣،
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠، والبداية والنهاية ج ١ ص ٢٧٤ وج ٣ ص ٣٥٥،
وراجع: تفسير ابن كثير ج ١ في آيات صيام شهر رمضان في سورة البقرة، ومشكل
الآثار ج ٣ ص ٨٥-٩٠، وزاد المعاد ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥.

(٢) المصادر المتقدمة، والموطأ ج ١ ص ٢٧٩، والبخاري ط مشكول ج ٥ ص ٥١،
ومشكل الآثار ج ٣ ص ٨٦ و ٨٧، وزاد المعاد ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥.

(٣) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١.

١ - المناقشة في أسانيد تلك الروايات، وكون أكثر رواياتها محل تهمة وريب، كما أن فيهم من لم يأت إلى المدينة إلا بعد عدة سنين من الهجرة كأبي موسى الأشعري، وفيهم من كان حين الهجرة طفلاً صغيراً كابن الزبير، فضلاً عن شهوده لما قبلها، وفيهم من لم يسلم إلا بعد سنوات من الهجرة ك معاوية.

٢ - وعن تناقضها فيما بينها، يكفي أن نذكر: أن رواية تقول: إنه صام يوم عاشوراء في المدينة، متبعة لليهود، ولم يكن يعلم به. وأخرى تقول: إنه كان يصومه هو والمشركون في الجاهلية. وثالثة: إنه ترك يوم عاشوراء بعد فرض شهر رمضان. وأخرى: إنه لما صامه قالوا له: إنه يوم تعظمه اليهود، فوعد أن يصوم اليوم التاسع في العام المقبل؛ فلم يأت العام المقبل حتى توفي «صلى الله عليه وآله»^(١).

ورواية أخرى عن معاوية، الذي لم يسلم إلا عام الفتح، تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يأمر أصحابه بصيام عاشوراء، بل قال لهم: لم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر. إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي تظهر بالتتابع والمقارنة. وقد ذكر شرطاً منها ابن القيم. فراجع^(٢). فنحن بعد غض النظر عن ذلك، نشير إلى ما يلي:

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١، وراجع المصادر المتقدمة.

(٢) راجع: زاد المعاد ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥.

أولاً: إن الرواية الأولى تفيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يجهل بسنة أخيه موسى، وأنه تعلمها واستفادها من اليهود، وقلدهم فيها، ولا ضير عند هؤلاء في ذلك، فإنهم يروون - ونحن نستغفر الله من ذلك - : أنه «صلى الله عليه وآله» كان يحب موافقة أهل الكتاب في كل ما لم يؤمر به^(١). ثم يروون عنه «صلى الله عليه وآله» ما يناقض ذلك - وكذلك هو يناقض نفسه دائماً عندهم، حتى في هذا المورد - فهو الذي يكره في الأذان بوق اليهود وناقوس النصارى، ويخالفهم في معاملة الحائض، ويأمر بصيغ الشعر، مخالفة لليهود والنصارى، وينهى عن تقليدهم في الإسلام^(٢). وكان «صلى الله عليه وآله» يصوم يوم السبت والأحد كثيراً، يقصد بذلك مخالفة اليهود والنصارى^(٣). بل لقد بلغ في مخالفته لهم حداً جعل اليهود يقولون: «ما يريد هذا

-
- (١) صحيح البخاري ط الميمنية ج ٤ ص ٦٧ باب فرق الشعر في اللباس، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢، وزاد المعاد ج ١ ص ١٦٥.
- (٢) راجع في ذلك كله مفتاح كنوز السنة فقد نقل ذلك عن البخاري كتاب ٦٠ و ٧٧ باب ٥٠ و ٦٧، وصحيح مسلم كتاب ٣ حديث ١٦، وكتاب ٣٧ باب ٨، والترمذي كتاب ٤٤ حديث ٢٤، وكتاب ٢٢ باب ١٠، وكتاب ٤٠ باب ٧، والنسائي كتاب ٣ و ٤٨ و ٨٣ على الترتيب، إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة المختلفة فراجع: مفتاح كنوز السنة وغيره. وراجع: مسند أبي يعلى ج ١٠ ص ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٣٦٦ وفي هامشه عن مصادر كثيرة.
- (٣) زاد المعاد ج ١ ص ١٦٨ عن مسند أحمد، والنسائي.

الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه»^(١).

وقال ابن الحاج: «وقد كان عليه الصلاة والسلام يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم، حتى قالت اليهود: إن محمداً يريد أن لا يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه».

وقد ورد في الحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

ثانياً: إن إطلاق كلمة عاشوراء على العاشر من محرم إنما حصل بعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام»، وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم إقامة المآتم لهذه المناسبة من قبل أئمة أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم رضوان الله تعالى عليهم، ولم يكن معروفاً قبل ذلك على الإطلاق، وقد نص أهل اللغة على ذلك، فقد قال ابن الأثير، «هو اسم إسلامي»^(٣).

وقال ابن دريد: إنه اسم إسلامي لا يعرف في الجاهلية^(٤).

ثالثاً: إننا لم نجد في شريعة اليهود صوم يوم عاشوراء، ولا هم يصومونه الآن، ولا رأيناهم يعتبرونه عيداً أو مناسبة لهم^(٥).
رابعاً: قد تقدم: أن صوم شهر رمضان قد فرض في مكة قبل الهجرة، فراجع.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١١٥، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٥٠، ومسنن أبي عوانة ج ١ ص ٣١٢.

(٢) المدخل لابن الحاج ج ٢ ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٠.

(٥) الجمهرة في لغة العرب ج ٤ ص ٢١٢.

وبعد كل ما تقدم، وثبت كذب هذه الأحاديث؛ فلا يبقى مجال لجعل عدول النبي «صلى الله عليه وآله» عن صوم يوم عاشوراء من أسباب حقد اليهود على المسلمين، كما زعمه البعض^(١).

في فضائل يوم عاشوراء أيضاً:

وعلى كل حال، فإننا نجدهم يذكرون في فضل عاشوراء في أول شهر محرم؛ روايات أخرى أغرب وأعجب، حتى إن من يقرؤها يخرج بانطباع: أنه لا أفضل من ذلك اليوم على الإطلاق - حتى ولا ليلة القدر - ففيه كانت أهم الأحداث التي لا يمكن أن ينساها التاريخ البشري أو يتجاهلها، حتى ولادة النبي «صلى الله عليه وآله»، وهجرته، اللتين هما في ربيع الأول بالاتفاق!!^(٢).

وفيه أغرق الله فرعون، ونجا موسى وقومه، واستوت سفينة نوح على الجودي، وتاب الله على آدم الخ..^(٣).

أيوم عزاء أم يوم عيد؟!:

ويقول أبو ريجان البيروني في الآثار الباقية، بعد ذكر ما جرى على الحسين «عليه السلام» في يوم عاشوراء:

(١) راجع: مقال حسن السقاف في مجلة الهادي سنة ٧ عدد ٢ ص ٣٦.

(٢) اليهود في القرآن ص ٢٠ و ٢٦.

(٣) راجع في بعض هذه الفضائل: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٣ و ١٣٤، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨ - ١١٦ وغير ذلك.

.....
: «فأما بنو أمية، فقد لبسوا فيه ما تجدد، وتزينوا، واكتحلوا، وعيدوا، وأقاموا الولائم، والضيافات، وأطعموا الحلاوات والطيبات، وجرى الرسم في العامة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم، وأما الشيعة، فإنهم ينوحون، ويبكون، أسفاً لقتل سيد الشهداء فيه الخ.»^(١).

ويقول المقرئزي - بعد أن ذكر: أن العلويين المصريين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن، تتعطل فيه الأسواق - :

«فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، وينبسطون في المطاعم، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام، التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان؛ ليرغموا به آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي «عليه السلام»؛ لأنه قتل فيه.»

قال: «وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ عاشوراء يوم سرور وتبسط»^(٢).

وفي زيارة عاشوراء المروية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، قال:

(١) تقدمت بعض المصادر لذلك قبل حوالي ثلاث صفحات، وراجع: عجائب المخلوقات، مطبوع بهامش حياة الحيوان ج ١ ص ١١٤.

(٢) الكنى والألقاب ج ١ ص ٤٣١، وراجع: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٣٧ عن الآثار الباقية ط أوربا ص ٣٢٩، وراجع: عجائب المخلوقات، مطبوع بهامش حياة الحيوان ج ١ ص ١١٥، ونظم درر السمطين ص ٢٣٠.

«اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية، وابن آكلة الأكباد»^(١).
ثم وضعوا على لسان ابن عباس في قوله تعالى: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ
الرَّيْنَةِ} ^(٢) قال: يوم عاشوراء^(٣).

وضع الأحاديث:

وقد وجد أعداء أمير المؤمنين وولده «عليهم السلام»، وشيعته «رض»
- وجدوا - من بين أولئك الذين باعوا آخرتهم بدنياهم من يضع لهم
الأحاديث على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» في فضل هذا اليوم،
واستحباب إظهار الزينة، والخضاب، والسرور، والتوسعة على العيال،
ولبس الحديد فيه، وصومه، وطبخ الحبوب، والأطعمة، والاعتساف،
والتهطيب، والاحتفال؛ إلى غير ذلك من مظاهرات النصب والعداء لأهل
البيت «عليهم السلام»^(٤).

ولكن الذي يهون الخطب: أن العلماء والنقاد، حتى المنحرفين عن أهل
البيت «عليهم السلام» - كابن تيمية وأضرابه - قد حكموا على هذه
الأحاديث، إلا ما شذ منها بالوضع والاختلاق من قبل الكذابين أخزاهم

(١) الخطط والآثار للمقرئ ج ١ ص ٤٩٠، وراجع: الحضارة الإسلامية في القرن

الرابع الهجري ج ١ ص ١٣٨ عنه.

(٢) الآية ٥٩ من سورة طه.

(٣) مصابيح الجنان ص ٢٩١.

(٤) تاريخ واسط ص ٧٨.

الله تعالى^(١).

لكن الجرح الذي لا يندمل، والخزي الذي لا يمحي: تلك الفتاوى التي طلع البعض بها علينا، والتي تقول بحرمة لعن يزيد، وعدم جواز تكفيره^(٢) مهما كانت الشواهد والدلائل متضافرة على ذلك. ثم تحريمهم رواية مقتل الحسين «عليه السلام»^(٣) وتحريمهم التحزن والتفجع في يوم عاشوراء^(٤). وسيعلم الذين ظلموا حق آل محمد، وفرحوا في يوم حزنهم، أي منقلب ينقلبون.

-
- (١) راجع: عجائب المخلوقات (مطبوع بهامش حياة الحيوان ج ١ ص ١١٥ و ١٤) والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٤، ونوادير الأصول للحكيم الترمذي ص ٢٤٦، واللائي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨ و ١١٦، ونظم درر السمطين ص ٢٣٠ واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٠٠، وتذكرة الموضوعات ص ١١٨، والدرر المشورج ج ٤ ص ٣٠٣، والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٣٨، والصواعق المحرقة ص ١٨٢، والمدخل لابن الحاج ج ١ ص ٢٨٩.
- (٢) راجع في ذلك: تذكرة الموضوعات للفتني ص ١١٨، واللائي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨ - ١١٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٤، واقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٠١، وراجع: الصواعق المحرقة ص ١٨١ و ١٨٢، ونظم درر السمطين ص ٢٢٨ - ٢٣٠، وراجع: المدخل لابن الحاج ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٠.
- (٣) راجع: الصواعق المحرقة ص ٢٢١، وإحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٥، والعواصم من القواصم وهوامشه، والإتحاف بحب الأشراف ص ٦٢ و ٦٨.
- (٤) الصواعق المحرقة ص ٢٢١.

أساليب مقاومة عاشوراء:

لقد بقيت عاشوراء الشوكة الجارحة في أعين أعداء أهل البيت «عليهم السلام»، فحاولوا مقاومتها بكل ما لديهم، فعدا عما قدمناه، نشير إلى ما يلي:

١ - قال ابن العماد: «تمادت الشيعة في هذه الأعصر في غيهم بعمل عاشوراء باللطم، والعويل، والزينة، وشعار الأعياد يوم الغدير؛ فعمدت غالبية السنة وأحدثوا في مقابلة يوم الغدير»..

إلى أن قال: «وجعلوا بإزاء يوم عاشوراء بعده بثمانية أيام يوم مصعب بن الزبير، وزاروا قبره يومئذ بمسكن، وبكوا عليه، ونظروه بالحسين؛ لكونه صبر وقاتل حتى قتل؛ لأن أباه ابن عمه النبي الخ..»^(١).

ولكن، هيهات أن يكون مصعب، عبد الدنيا، وطالب السلطان، والمنائى لأهل البيت «عليهم السلام»، كأبي الشهداء، ريحانة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة، طالب الحق، وناصر الدين، الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه.

ولكنها الأحقاد الدفينة والإحزن القديمة، والنصب لأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، الذين أمر الله تعالى بمودتهم: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} ^(٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٩ و ٣٠٠، ونظم درر السمطين ص ٢٢٨.

(٢) شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠ عن العبر، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ١ ص ٩٥ عنه، وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥، والمنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٠٦.

٢ - قال ابن كثير في حوادث سنة ٣٦٣: «فيها، في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير»^(١).

ولكن هذا القائل قد تجنى على الرافضة، حين ساواهم بالنواصب، أعداء أهل البيت، وشيعتهم، فإن فعل الشيعة الروافض هو عين الدين والعقل، وفعل غيرهم هو الدال على عدم العقل والدين.

٣ - إستعمال القوة والعنف، فإنك تجد في كتب التاريخ، في تاريخ مستهل كل عام قولهم: وفي هذا اليوم (أي عاشوراء) اقتتل الروافض والسنة: فراجع المنتظم لابن الجوزي وغيره^(٢).

ولعل أعظم محنة، وأشدّها نكايّة وقعة الكرخ ببغداد، التي أحرق النواصب فيها دور شيعة أهل البيت، وقتلوا ألوف الرجال والأطفال^(٣). وقد ذكرنا طائفة من النصوص حول هذا الموضوع في كتابنا: «صراع الحرية في عصر المفيد»، فليراجع من أراد.

ويذكر هنا: أنه في سنة ٤٣٧ هـ. وقع بين الشيعة والسنة في بغداد في

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٥، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج ١ ص ٩٤، وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٤ و ١٤٥.

(٣) بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥.

يوم عاشوراء سوء، «ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود، وإحراق الكنيسة العتيقة التي لهم»^(١).

وفي حوادث سنة ٤٤٢: «اصطاح الروافض والسنة ببغداد، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد علي ومشهد الحسين، وترضوا في الكرخ على الصحابة، وترحموا عليهم»^(٢).

ونكتفي هنا بهذا القدر، فإننا لسنا بصدد استقصاء ذلك وتتبعه.

(١) البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٥.

(٢) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٥٤.

..... :

الفصل الثالث:

الجهاد في الإسلام

الإسلام والسيف!!

لقد اهتم المبشرون الحاقدون على الإسلام بإظهار الإسلام على أنه دين
السيف والقهر والتسلط، حتى لقد وضعوا في بعض كتبهم كاريكاتوراً
يمثل النبي «صلى الله عليه وآله» حاملاً القرآن في يد، والسيف في يد،
وأشخاصاً يقفون فوق رأسه، وكتبوا عبارة تقول: «آمنوا بالقرآن وإلا
ضربت رقابكم بالسيف».

فهم يريدون أن يقولوا: إن الإسلام الذي يقول: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} ليس صادقاً في ذلك، وإنما هو يقول: ادع إلى
سبيل ربك بالسيف.

وقد يقال: إن مما ساعد على ذلك: أن المسلمين أنفسهم قد اعتادوا
ترديد عبارة: «إن الإسلام قام بهال خديجة وبسيف علي «عليه السلام»^(١)،
مع الاقتصار على حرفية هذه العبارة وعدم تعمقهم في مدلولها.
بل إن بعض القصاصين الأقدمين، قد ساعد على ذلك كما يظهر من

(١) جاء ما تقدم في مقال للمفكر والفيلسوف الإسلامي الكبير، المرحوم الشهيد
الشيخ مرتضى المطهري، نشرته جريدة: (جمهورية إسلامي) الفارسية بتاريخ ١٠
جمادى الثانية سنة ١٤٠٠ رقم ٢٦١.

ملاحظة كتاب «فتوح الشام»، المنسوب للواقدي، حيث لا تكاد تخلو منه صفحة من بطولات خارقة، وأحداث مدمرة، من أجل جلب انتباه العوام، وإظهار عظمة الأمويين وقدرتهم، وتسجيل بطولات خيالية لبعض الشخصيات التي يرغب الحكام في رفعة شأنها، تضليلاً للناس عن حقيقة مواقف وبطولات علي «عليه السلام»، إلى غير ذلك من أهداف ليس هنا محل بحثها.

فكان من نتيجة هذه الأكاذيب أن أظهروا الإسلام بصورة التيار المدمر، وعلى أنه دين القتل والخراب، حتى لقد أشكل الأمر حتى على كثير من المسلمين أنفسهم، وذهبوا يميناً وشمالاً في محاولات الإجابة على ذلك، حسبما رأوه مناسباً، وبالطريقة التي جادت بها قرائحهم. وهذا الأمر، وإن كان ارتباطه بالتاريخ ضعيفاً نسبياً، بحيث لا مجال للتوسع فيه بالشكل الذي يرضي وجداننا، ولكننا مع ذلك لا بد أن نشير ولو بشكل خاطف وسريع إلى ما نراه ونعتقد في هذا المجال فنقول:

١- الحرب في الإسلام وفي غيره:

ستأتي في فصل سرايا وغزوات قبل بدر لمحة سريعة جداً عن توصيات النبي «صلى الله عليه وآله» لجيوشه، فلا بد من الإمام بها وقراءتها بدقة ووعي، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة البحار والكافي، وغير ذلك من كتب الحديث والتاريخ.

كما أنه لا ينبغي الغفلة عن المراجعة الشاملة للحديث والتاريخ للتعرف على طبيعة المعاملة المثالية للأسرى من قبل المسلمين، كما سنلمح

إليه في غزوة بدر إن شاء الله تعالى، وكما فصله العلامة الأحمدي في كتابه:
«الأسير في الإسلام».

ويقابل ذلك:

أ- ما ورد في الانجيل: «لا تظنوا: أني جئت لألقي سلاماً على الأرض،
ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً»^(١).

ب - وفي التوراة: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى
الصلح، فإن أجابت إلى الصلح، وفتحت لك؛ فكل الشعب الموجود فيها
يكون لك للتسخير، ويستعبد، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً،
فحاصرها؛ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد
السيف.

وأما النساء والأطفال، والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها،
فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك.
هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء
الأمم هنا.

وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً، فلا تستبقي
منها نسمة ما»^(٢).

ج - وفي التوراة أيضاً: «فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف،
وتحرقها بكل ما فيها، مع بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى

(١) إنجيل متى، الإصحاح ٢٠ الفقرة ٣٤.

(٢) سفر التثنية الإصحاح ٢٠ فقرة ١٠ - ١٧.

ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتك كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً
إلى الابد»^(١).

وثمة نصوص كثيرة أخرى في هذا المجال لا مجال لتتبعها^(٢).

إشارة:

وأما إدانة الإسلام من خلال ما كان يفعله الأمويون والعباسيون
وغيرهم، وما قتلوه في حروبهم، وارتكبوه مع خصومهم؛ فهو تجن ظاهر
على الإسلام، إذ لا يتحمل الإسلام المسؤولية عن أفعال المنحرفين عنه، فإن
تصرفات المنحرفين شيء، والإسلام شيء آخر.

٢- حيث لا بد من الحرب:

إننا إذا أردنا دراسة الحروب التي خاضها الرسول الأكرم «صلى الله
عليه وآله» ضد المشركين، فإننا نستطيع أن نجمل الكلام فيها على النحو
التالي:

أ- إن شخصية الإنسان وملكاته، وسجاياه، ومختلف جهات تكوينه
النفسي، والفكري، والعاطفي وغير ذلك - تتكون عادة في الأكثر بعد غض
النظر عن عامل الوراثة وغيره من العوامل - من المحيط الذي يعيش فيه،

(١) سفر التثنية الإصحاح ١٣ فقرة ١٥.

(٢) راجع سفر التثنية، الإصحاح ٧ فقرة ١ و ٢ وسفر صموئيل الأول، الإصحاح ١٥،
ورسالة بولس إلى العبرانيين، الإصحاح ١١ فقرة ٣٢ فما بعدها، وأنيس الأعلام
ج ٥ ص ٣٠٢-٣١٦ وغير ذلك.

ومن الأفكار التي يتلقاها عن طريق والديه، ومعلمه، وصديقه الخ.. بما في ذلك المفاهيم والقيم الدينية.

فقد ينشأ حواراً جباناً إذا كان الذين أشرفوا على تربيته يستعملون معه أسلوب الإرعاب والتخويف، وقد ينشأ شجاعاً مقداماً، إذا كان التعامل معه على خلاف ذلك.

كما أن من يلقي حناناً وعناية فائقة في صغره، يكون في تكوينه النفسي مختلفاً تماماً عن ذلك الذي يواجهه بالجفاء والقسوة، حتى ولو عاشا في بيت واحد، وكانا أخوين توأمين.

بل وأكثر من ذلك، فإن هذه الصور الذهنية التي يتلقاها الإنسان عن طريق الحواس، تمثل مصدراً هاماً من مصادر المعرفة له، فلو فرضنا توأمين يعيشان معاً ويتلقيان نفس المعاملة، ولنفرض أن هذا التوافق مستمر في مجال التعليم، والتربية، والظروف المعيشية وغير ذلك، فإننا مع ذلك لسوف نجد هماً مختلفين بوضوح في أفكارهما، ونفسيتهما، وعواطفهما وغير ذلك، وذلك بسبب اختلاف الصور التي تلقاها ذهنهما، وكونت عناصر التفكير لديهما، وأثرت بشكل أو بآخر في انفعالاتهما المختلفة.

فحتى وهما يجلسان في غرفة واحدة، أو يسيران معاً في الشارع، أو يكونان في المدرسة، فإن ذهن الواحد منهما يستقبل صورة تختلف - ولو جزئياً - عن تلك التي يستقبلها ذهن الآخر، بسبب أن كل واحد منهما ينظر إلى نقطة تختلف عن تلك التي ينظر إليها الآخر، وكذلك الحال بالنسبة للأصوات، والمشمومات، وغير ذلك.

فهذه الصورة لا بد أن تشغل حيزاً وتؤثر أثراً، وتغير من اتجاه

الحركات الفكرية لديه، فتعيّنه تارة، وتقف في وجهه أخرى.
ولسوف يكون لاختلاف تلك الصور أثر في النتائج التي سوف
يتوصلان إليها.
ولسوف تترك آثاراً مختلفة في نفسية وسلوك وعواطف كل منهما حسبما
أشرنا إليه.

وهذا يعرفنا إلى أي حد يتأثر الناس بعضهم ببعض في السلوك،
والأفكار، والانفعالات، والأخلاق، وغير ذلك، حتى إنك لتحس بالفرق
في نفسك، وفي مشاعرك، لو وقفت على بائع عبوس فظ غليظ، ثم وقفت
على آخر مهذب، يواجهك بابتسامته الرقيقة، ويخاطبك بكلمات عذبة
ومهذبة، وهذا ولا شك لسوف يترك أثراً على نفسك، ثم على تصرفاتك مع
أطفالك وأصدقائك وغيرهم.

وعليه: فإذا كان الفكر شديد الحساسية إلى حد أن يتقرر معه اتجاه
الإنسان، ويؤثر في شخصيته بشكل عام، فإن أي انحراف يظهر في
المجتمع، مهما كان على نطاق ضيق ومحدود، سوف لا يقتصر أثره على
مرتكبه، وإنما يتعداه - ولو بشكل جزئي ومحدود - إلى كل الآخرين ممن
يعاشره ويراه، أو يرتبط به، من قريب أو من بعيد، ثم هو يتعداهم إلى
غيرهم، وهكذا.

ومن هنا: فإننا نجد الإسلام يحارب المنكر حتى إعلامياً بكل قوة،
فيمنع حتى من غيبة غير المتجاهر بالمنكر كي لا يعتاد الناس على سماع خبر
المنكر والانحراف، وتأنس أذهانهم به، وبعد ذلك يسهل عليهم ارتكابه
وممارسته، ولا يريد أن تمر حتى صورة المنكر في أذهانهم كي لا تترك أثراً

يرغب الإسلام في الابتعاد عنه، فضلاً عن ممارسة المنكر نفسه.
وليتأمل قليلاً في إطلاق لفظ المنكر على مثل هذه الأمور الضارة، فإن
الإسلام يريد للناس أن ينكروها، وأن لا يعرفوها، كما أنه حين يمنع من غيبة
غير المتجاهر، فلأنه يريد أن يمنح ذلك المرتكب للمنكر فرصة للتخلي عن
سيئته تلك، ويهيء له الجو الاجتماعي المناسب لنمو شخصيته، والاحتفاظ
بعزته وكرامته، إلى غير ذلك مما لسنا بصدد بيانه فعلاً.

وبعدما تقدم: فإنه إذا كان ضرر الانحراف لا يقتصر على نفس من
يمارسه، بل يتعداه إلى غيره، فإنه يكون من حق ذلك الغير أن يدفع ذلك
الضرر عن نفسه، وهذا ما يحكم به العقل والفطرة، حتى ولو لم يكن ثمة
شرع أصلاً، ولكن الشرع لم يكتف بالاعتراف بحق الدفاع عن النفس هذا،
بل زاد على ذلك؛ فأوجبه عليه، حين حكم بوجوب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر على كل أحد.

وذلك من أجل الحفاظ عليهم أولاً، وحتى لا يتسرب ذلك الانحراف
منهم إلى غيرهم ثانياً^(١).

(١) وإنما كان لمرتكب المنكر عقاب واحد ولم يعاقب عقابين: أحدهما على المنكر،
والآخر على تسببه بالإضرار بالغير، من جهة أنه لم يسلب الآخرين عنصر
الاختيار الذي لديهم، كما أنه لم يقصد هوذلك، فيكون فعله من ممهّدات وقوع
الغير في المعصية، وليس الجزء الأخير للعلة، وبإدخال عنصر القصد في المعصية
وفي استحقاق العقوبة وعدمه، يعرف الفرق بين ما نحن بصددده، وبين قولهم: من
سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة
سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

وكل ما قدمناه يوضح لنا السر في أن المؤمنين - بنظر الإسلام - كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .
وعلى هذا: فليس من حق من تنهاه عن المنكر، أو تأمره بالمعروف أن يقول لك: وماذا يعينك؟. أو: أنا حر، أو ما شاكل.

إذ إن الأمر يعينك حقاً وهو ليس حراً إلا بمقدار لا يعتدي فيه على غيره، بأي نحو من أنحاء الاعتداء، ولا يضر بحريته. والانحراف هو أخطر أشكال الاعتداء وأبشع أنواعه.

وواضح: أنه في مقام دفع أخطار الانحراف، والقضاء على المنكر، لا بد من مراعاة مقدار الضرورة، فلو أساء ولدك نهيته أولاً، وبينت له خطأه، ثم لمته، ثم تهددته، ثم ضربته، ثم طردته الخ.. كل ذلك بحكم الشرع والعقل وقضاء الفطرة.

وإذا مرض أحد أعضاء الإنسان، فإنه يعالجه بالدواء، ثم بالعملية الجراحية، ولربما تصل النوبة إلى قطعه، إذا كان مرضه خبيثاً وخطيراً؛ حيث إنه بالإضافة إلى أنه أصبح يشكل عبئاً ثقيلاً على سائر الأعضاء، حيث يفترض فيها أن تقوم بمهامها ومهامه قد صار يشكل خطراً عليها نفسها، هذا عدا عن أنه يؤثر فيها ألماً وضعفاً ووهناً، ويمنعها من القيام بوظائفها على النحو الأكمل والأفضل.

وعلى هذا: فلو لم يقطع الطبيب هذا العضو، فإنه يكون قد أضر بهذا الإنسان وخانه.

وحين يعتبر الإسلام، والعقل، والفطرة، المسلمين كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، بل إن الإنسانية

..... :

جمعاء أيضاً كذلك، فإن المنحرف عقائدياً، وسلوكياً، وأخلاقياً، لا بد من استئصال انحرافه أولاً، بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، ثم بالإنداز، ثم بالشدة والعنف، حتى إذا أفلست كل تلکم الوسائل، فإن آخر الدواء الكي، وحيث يكون الداء خطيراً وخبيثاً، فإنه لا بد من الاستئصال أيضاً، ويكون عدم قطع هذا العضو الفاسد والمفسد خيانة للأمة، وللأجيال، وللإنسانية جمعاء.

بل إن خطر الانحراف الديني والعقائدي يفوق خطر المرض الجسدي؛ فإن مرض الجسد ربما لا يتعداه إلا في نطاق محدود جداً، أما المرض العقائدي والديني والفكري، والانحراف الأخلاقي، فقد يتسبب في تدمير الجسد، والمال، والجاه، والإنسان، والقيم الأخلاقية، والإنسانية، والمجتمع بأسره، ويؤثر على الأجيال الآتية أيضاً؛ وذلك عندما لا تبقى لدى ذلك الإنسان المنحرف أية روادع تمنعه من ارتكاب أية جريمة، والمبادرة إلى كل عزيمة، حينما يكون المقياس عنده، والمنطلق له هو مصالحه الشخصية، ولذاته الفردية، ولا شيء سواها؛ فلا يهتم لرضا الله، ولا لمصلحة الأمة، ولا لأحكام الشرع والدين، ولا حتى للعقل والمنطق.

وهكذا: فإن الجهاد من أجل منع الانحراف ومنع وقوع الكارثة، يكون من الأحكام العقلية والفطرية، فضلاً عن الشرع والدين.

وبعد كل ما تقدم: فإننا نستطيع أن نقول بكل جرأة: إن الإسلام لو لم يستعمل السيف، لم يكن دين الحق والعدل، ولا دين الفطرة والعقل، ولكان خائناً للمجتمع، بل وللإنسانية جمعاء على مدى التاريخ.

كما أننا نعلم: أن السياسة القائمة على أساس الفكر والقوة المدافعة

عنه، هي من صميم الإسلام الذي هو لإقامة العدل، ورفع الظلم، قال تعالى:

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (١).

وإلا فإن ديناً يتخذ الخيانة ديدناً، وتجاهل مصالح الأجيال طريقة، ويكون فيه هذا الخلل الكبير في تشريعاته، لن يكون المجتمع والإنسانية بحاجة إليه، ولا معنى للتضحية في سبيله والحفاظ عليه، ولا للعمل من أجل رفع شأنه، وإعلاء كلمته.

ومن هنا: فقد كان الجهاد باباً من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وحنته الوثيقة.. إلى آخر كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» (٢). هذا كله من وجهة نظر فكرية.

أما حقيقة ما جرى تاريخياً في عهد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» فستأتي الإشارة إليه، وسيتم التعرف من خلال البحث والتمحيص عليه، إن شاء الله تعالى.

ب- لقد كان لا بد للمسلمين من الاستفادة من حق الدفاع عن النفس في مقابل المكين، الذين كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم، ويصدون عن سبيل الله،

(١) الآية ٢٥ من سورة الحديد.

(٢) راجع: خطبة الجهاد في نهج البلاغة (شرح محمد عبده) ج ١ ص ٦٣ .

.....
:
ومن حق كل أحد: أن يقاتل من أجل أن يمتلك حرية الرأي، والفكر،
والعقيدة، وحرية الدعوة إلى الله، ولا سيما حين يكون الطرف الآخر مصراً على
استعمال العنف، وليس المنطق والحجة ضده، وضد ما يدعو إليه.

فالإسلام لا يريد أن يجبر أحداً على الدخول فيه، وإنما يريد أن يحصل
على الحرية في الرأي وفي الاعتقاد، وفي الموقف، وحتى حين يتصر على
أعدائه، فإنه يضع أمام من يتصر عليهم عدة خيارات، ليس اعتناق
الإسلام إلا واحداً منها، وكان من يعتنق الإسلام يعتنقه بملء رغبته،
وحرية، وإرادته، ومن دون أي ضغط حتى إعلامي من قبل المسلمين،
ولقد اعتنقت كثير من البلدان الإسلام بمجرد اطلاعها عليه، من دون
انتظار الفتح الإسلامي.

ولكن ذلك لا يعني أن يقف الإسلام والمسلمون مكتوفي الأيدي أمام
كل اضطهاد، أو اعتداء، أو ظلم يمارس ضدهم، وأن يخضعوا للضغوط
ولإرادات الآخرين، التي لن ترضى إلا بالقضاء عليه وعليهم نهائياً.

كما أن ذلك لا يعني أن لا يعد المسلمون لأعدائهم ما استطاعوا من
قوة، ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم، لأن الإسلام الذي
يدعون إليه، ويطالبون بحرية التفكير والنظر فيه، ليس مجرد طقوس فردية،
وتزكية نفسية، وإنما هو نظام عام شامل يريد أن يقود عملية تغيير شاملة
على مستوى العالم بأسره، الأمر الذي يحتم أن تتوفر الحماية الكاملة لهذا
الإسلام، الذي لا بد أن يصطدم بأصحاب الأطماع، والأهواء، وبالجبارين
الذين يحكمون الناس بوحى من مصالحهم ورغباتهم.

نعم.. لا بد من الحماية الكافية ولا بد من استعمال أسلوب العنف إذا

لم يمكن تأمين حرية الفكر، والرأي، والعقيدة إلا بذلك، وليوجد من ثم الجو والمناخ المناسب لتطبيق الجانب التشريعي للإسلام. وحتى لا يتحول الإسلام إلى إسلام حكام يخضع لرغباتهم، ويتطور حسب مصالحهم، وأهوائهم - كما كان الحال بالنسبة لبعض الفرق والمذاهب التي ابتليت بهذا الداء الويليل - وأيضاً حتى لا يتحول جانب عظيم ورئيس في هذا التشريع، ليكون مجرد فكر ميت، يوضع في المتاحف، ويكون الجانب الحي هو خصوص الجانب الفردي، الذي لا يتصل بالحياة الاجتماعية، ولا يتفاعل معها، لا من قريب ولا من بعيد.

وإذا توفرت حرية الفكر والرأي والعقيدة، فإن ذلك سوف يشجع الآخرين على الدخول في هذا الدين، آمنين من العذاب والأذى، ومن مختلف أنواع الضغوط، ومن الفتنة التي هي أكبر من القتل بنظر الإسلام. فالمسلمون إذا قاتلوا، فإنما يقاتلون انطلافاً من حقهم الذي جعله الله لهم، ومن أجل ذلك الحق في سبيله، وطلباً له، على حد تعبير الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكما قرره الله تعالى حيث يقول: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ..} (١).

فالأذن بالقتال للمسلمين إنما هو في صورة كون غيرهم قد بدأهم به، بالإضافة إلى كونهم قد أخرجوا من ديارهم.

ج - وبعد كل ما تقدم، فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون

(١) الآيتان ٣٩ و ٤٠ من سورة الحج.

ملتزمين بعرض خيارات منصفة على الطرف الآخر، حتى ليعترف بعض
المشركين بأن الإصرار على الحرب بعد هذه العروض يكون ظلماً وبغياً، كما
سيأتي إن شاء الله تعالى ولكن الباقين لا يقبلون بالعرض لأنهم كانوا
مصممين على الحرب، منذ قتل ابن الحضرمي في سرية ابن جحش^(١).

مع أنه قد كان بإمكانهم تلافي قضية ابن الحضرمي، إما بالثأر على
نطاق أضييق، أو بقبول الدية، وكلاهما عن خلق العرب ليس ببعيد.

د - مناهضة ناقضي العهود، وإيقافهم عند حدهم، كما كان الحال
بالنسبة لليهود، ثم بالنسبة لمشركي مكة، الذين نقضوا عهد الحديبية.

هـ - الدفاع عن النفس في وجه الغزاة والمهاجمين، وملاحقة من قام
بالغارة منهم على المدينة.

وأخيراً، فإننا نلاحظ: أن المشركين قد استمروا يغزون المسلمين،
والمسلمون يدافعون عن أنفسهم إلى ما قبل صلح الحديبية، حيث يروي
البخاري وغيره أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال بعد منصرفه من بني
قريظة: الآن نغزوهم ولا يغزونا.
وسيأتي ذلك إن شاء الله.

هل الإسلام قام بالسيف؟!

يتضح لنا من جميع ما تقدم: أنه ليس معنى قيام الإسلام بسيف علي
«عليه السلام»: أنه «عليه السلام» كان يجعل السيف فوق رأس الإنسان،

(١) راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣١، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٦.

ويقول له: إما أن تسلم وإما أن تقتل.

وإنما معنى ذلك: أن سيف علي «عليه السلام» كان أبعد أثراً في الدفاع عن الإسلام، وصد اعتداءات المعتدين، وتأمين حرية الفكر والعقيدة، والرأي، حسبما قدمناه.

ولأجل أن حروب الإسلام كانت تهدف للحفاظ على الإنسان، والدفاع عن النفس، وتأمين الحرية الفكرية، نلاحظ:

أنه يقتصر في حروبه على أقل قدر ممكن ترتفع به الضرورة، كما أنه يلتزم بضبط النفس الكامل والواعي، حتى في أحلك اللحظات، وأخطرها.

ولذا لم يستطع الباحثون إيصال عدد القتلى في حروب النبي «صلى الله عليه وآله» طيلة عشر سنين، والتي تعد بعشرات الحروب والسرايا إلى الألف قتيل^(١).

رغم أن هذه الحروب كانت تتجه نحو تهيئة الجو لبسط النفوذ الإسلامي على مختلف أرجاء الجزيرة العربية، ويتعداها إلى غيرها مما حولها. هذا ما أحيينا الإشارة إليه فعلاً، والكلام حول هذا الموضوع طويل ومتشعب، لا بد فيه من التوفر على دراسة النصوص القرآنية، وكلمات النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» ومواقفهم وممارساتهم الجهادية بدقة ووعي.

(١) راجع مقالاً حول هذا الموضوع للسيد هادي الخسروشاهي في كتاب سبهاي إسلام (فارسي).

..... :

الفصل الرابع:

سرايا و غزوات قبل بدر

غزواته ' وسراياه:

هنا يبدأ المؤرخون بذكر غزواته وسراياه «صلى الله عليه وآله»، ويقصدون بـ «الغزوة»: الجيش الذي يخرج فيه «صلى الله عليه وآله» بنفسه، وبـ «السرية»: البعث الذي لا يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه. وقد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته وسراياه اختلافاً كبيراً، ولا نرى حاجة لإطالة الكلام في تحقيق ذلك. ونكتفي هنا بالحديث عما هو أهم، ونفعه أعم، وقبل ذلك نشير إلى أمرين؛ هما:

الأول: الفرار من الزحف:

حيث يذكر العلماء هنا: أنه لم يكن يجوز في أول الأمر فرار واحد من المسلمين من عشرة من المشركين^(١). ثم جاء التخفيف من قبل الله عن المسلمين؛ ليختص بفرار واحد في مقابل اثنين؛ وذلك في قوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٤، وجامع البيان ج ١٠ ص ٢٧، وتفسير المنار ج ١٠ ص ٧٧.

صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^(١).

ولسوف يأتي المزيد من الكلام حول هذا الموضوع في غزوة بدر، في آخر فصل نتائج الحرب إن شاء الله.

الثاني: وصية النبي «صلى الله عليه وآله» للسرايا:

ويلاحظ هنا:

أنه «صلى الله عليه وآله» كان إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم، فأجلسهم بين يديه، ثم يقول:

«سيروا باسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها، وأيا رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار، حتى يسمع كلام الله؛ فإن تبعكم، فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه الخ..»^(٢)، وهي وصية طويلة، وله وصايا أخرى لبعوثه فلتراجع في مصادرها^(٣).

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة الأنفال.

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٣٤ و ٣٣٥، والبحار ج ١٩ ص ١٧٧ - ١٧٩، وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٣٠٠ وغيره، والتهذيب للطوسي ج ٦ ص ١٣٨ و ١٣٩، والأموال ص ٣٥.

(٣) النظم الإسلامية لصبحي الصالح ص ٥١٤.

وقد روي: أنه «صلى الله عليه وآله» ما بيّت عدواً قط^(١) وكان «صلى الله عليه وآله» إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم أول النهار^(٢).

ما نتعرض له في هذا الكتاب:

إننا لا نستطيع في كتابنا هذا أن نستوعب الحديث حول الغزوات والسرايا بجميع تفاصيلها، ولأجل ذلك سوف نكتفي بذكر الغزوات التي كان فيها قتال مع الإشارة الخفيفة إلى غيرها من غزوات وسرايا، إلا إذا وجدنا ما يقتضي التريث وتسليط الأضواء بصورة لا يمكن تجاوزها. أما في هذا الفصل فنحن نكتفي بالتنويه بالسرايا التالية:

السرايا الأولى:

يذكر المؤرخون، أنه:

١ - بعد سبعة أشهر من مقدمه «صلى الله عليه وآله» المدينة - وقيل غير ذلك - عقد الرسول «صلى الله عليه وآله» لحمزة بن عبد المطلب على ثلاثين من المهاجرين، (قيل: ومن الأنصار، لكنه غير معتمد، لأنه لم يبعث أحداً من الأنصار قبل بدر، كما ذكروا)^(٣) ليلقوا أبا جهل؛ فلقوه، وهو في ثلاثمائة

(١) التهذيب للطوسي ج ٦ ص ١٧٤، والكافي ج ١ ص ٣٣٤ و ٣٣٥، والبحار ج ١٩ ص ١٧٧ - ١٧٩.

(٢) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٢، والجامع الصحيح ج ٣ ص ٥١٧.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٦، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٢، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٥.

من المشركين، لكن مجدي بن عمرو الجهني الذي كان موادعاً للفريقين،
حجز بينهما، وانصرفوا من غير قتال.

٢ - وعلى رأس ثمانية أشهر من مهاجره الشريف، عقد لعبيدة بن
الحارث بن المطلب على ستين رجلاً؛ ليلقوا أبا سفيان في بطن رابغ، وكان
في مائتين.

وفي هذه السرية فر المقداد وعتبة بن غزوان إلى المسلمين^(١).

٣ - وبعد ذلك كانت سرية سعد بن أبي وقاص على فريق من
المهاجرين أيضاً؛ ليعترضوا عيراً القريش، فسبقتهم.
وقيل: كان ذلك بعد بدر^(٢).

٤ - ثم كانت غزوة الأبواء بعد مقدمه «صلى الله عليه وآله» بسنة أو
أكثر، أو أقل، خرج فيها النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه يريد قريشاً، وبني
مرة بن بكر، فتلقيه سيد بني مرة بالأبواء، فصالحه، ثم رجع «صلى الله عليه
وآله» إلى المدينة^(٣).

٥ - وبعدها كانت غزوة بواط، جبل لجهينة، قرب المدينة خرج «صلى
الله عليه وآله» في مائتين من المهاجرين أيضاً يعترض عير بني ضمرة؛ فبلغ

(١) السيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٥٩،

وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٩.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٣، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤١، والسيرة

النبوية لدحلان بهامش الحلبية ج ١ ص ٣٦١.

بواطاً ورجع، ولم يلق كيداً^(١).

مع تحفظنا على ما يقال من عدد المهاجرين في هذه السرية.

٦ - وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة، ووادع فيها بني مدلج، وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفيها كني علي «عليه السلام» بأبي تراب، كما سنرى^(٢).

٧ - سرية عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة: ثم كانت سرية ابن جحش في رجب أو في جمادى الثانية من السنة الثانية، في ثمانية، أو اثني عشر رجلاً من المهاجرين.

فقد كتب له النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين (ولعله لأجل أن لا يطلع على مضمونه أعداء المسلمين من اليهود والمشركين فتتسرب الأخبار إلى أعدائه) فلما سار يومين فتح الكتاب، فإذا فيه بعد البسملة:

«أما بعد، فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك، حتى تنزل بطن نخلة، فترصد بها عير قريش - وفي رواية: قريشاً - حتى تأتينا منها بخبر». وأخبر أصحابه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمره أن لا يستكره أحداً ممن كان معه، وخيرهم بين الكون معه، وبين الرجوع؛

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٣، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٣٦١،

والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٣، والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش

الحلبية) ج ١ ص ٣٦١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦، وسيرة ابن هشام ج ٢

ص ٢٤٩.

فمضوا معه جميعاً، فأقام هناك فمرت بهم غير لقريش، فتجراً المسلمون عليهم، فقتلوا منهم رجلاً، وأسروا اثنين، وأخذوا ما معهم، وكان ذلك في أول يوم من رجب أو آخر يوم منه على اختلاف النقل.

فلما قدموا على النبي «صلى الله عليه وآله»، أوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ منها شيئاً، ولكن أبا هلال العسكري يقول: «ورد عبد الله بن الجحش بالخمسة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقسم الباقي بين أصحابه، فكان أول خمس خمسه»^(١)، وعنفهم إخوانهم من المسلمين.

وقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال، وعيروا المسلمين بذلك، وكتبوا فيه، وتحرك اليهود أيضاً، ليزيدوا الطين بلة؛ فلما أكثروا نزل قوله تعالى،

(١) الأوائل ج ١ ص ١٧٦، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٧، والإستيعاب ترجمة عبد الله بن جحش، وراجع أيضاً: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٥٢ و ٢٥٣، والمغازي للواقدي ج ١ ص ١٣، والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠ ط سنة ١٤٠٥ هـ. وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤١٠-٤١٣، والسنن الكبرى ج ٩ ص ١٢، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٠٧ و ٣٠٨، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٩، وأسباب النزول ص ٣٦، والبحار ج ٢٠ ص ١٨٩ و ١٩٠ وراجع: رجال المامقاني ج ٢ ص ١٧٣، وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٣٩، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٦، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١١٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٥، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٩، والدر المنثور للسيوطي ج ١ ص ٢٥١، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩٨، والسيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٣٦٢، وغير ذلك.

مبيناً عذر المهاجرين فيما أقدموا عليه:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ
أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ..}{^(١).

وقيل: نزلت الآية حينما جاء مشركو مكة، وسألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك على جهة العيب والانتقاص، ففرج الله بذلك عن المسلمين، وبعثت قريش بفداء الأسيرين، فأفداهما «صلى الله عليه وآله»^(٢).
٨ - ثم كانت غزوة بدر الأولى بعد غزوة العشيرة بأيام، حيث أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج النبي «صلى الله عليه وآله» في طلبه، حتى بلغ وادي سفوان من جهة بدر، وفاته كرز، فرجع «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة^(٣).

هذا ولا بد أن نبحت هنا عدة أمور هامة، نرى أنها ترتبط بها تقدم. وهي على النحو التالي:

١- تكنية علي بأبي تراب:

في غزوة العشيرة كنى النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» ب: «أبي تراب» وكانت أحب كناه إليه، ولكن الأمويين

(١) الآية ٢١٧ من سورة البقرة.

(٢) راجع ذلك في: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٦، والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ١ ص ٣٦٣، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٥٤ و ٢٥٥.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٨، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٥١.

كانوا يعيرونه بها.

وملخص القضية: كما يرويها لنا عمار بن ياسر: أنه بعد أن نزل الرسول «صلى الله عليه وآله» ومن معه في موضع هناك، ذهب عمار وعلي «عليه السلام» لينظرا إلى عمل بعض بني مدلج، كانوا يعملون في عين لهم ونخل؛ فغشيهما النوم، فانطلقا حتى اضطجعا على صور من النخل، وفي دفعاء من التراب.

قال عمار: فوالله ما أهبنا إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجر كنا برجله، وقد تربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها؛ فيومئذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب: ما لك يا أبا تراب، لما يرى عليه من التراب، الحديث^(١).

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٧، والآحاد والمثاني مخطوط في كوبري رقم ٢٣٥، وصحيح ابن حبان مخطوط، والبحار ج ١٩ ص ١٨٨، ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٣ و ٢٦٤، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٣ و ١٢٤، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢ ط صادر، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩ و ٢٥٠، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٠، وكنز العمال ج ١٥ ص ١٢٣ و ١٢٤ عن المصنف، والبغوي، والطبراني في الكبير، وابن مردويه، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار، وغيرهم، وعن ابن عساكر، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٤٢، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٦ و ١٠٠ عن الطبراني في الأوسط والكبير، والبزار وأحمد، ووثق رجال عدد منهم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٤، وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٨٦ بتحقيق المحمودي، وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦، وطبقات ابن سعد، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٣٠٣، ونقل أيضاً عن كتاب الفضائل =

لكن ما تضمنته هذه الرواية من تحريك النبي «صلى الله عليه وآله»
لعمار وعلي «عليه السلام» برجله لا يمكن أن يصح؛ لأنه ينافي أخلاق
رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فلا بد من طرح هذه الفقرة من الرواية، وأما ما عداها فلا ضير بالأخذ به.
وقد تقدمت الإشارة إلى رواية تكنيته «عليه السلام» بأبي تراب حين
الحديث عن المؤاخاة أيضاً، فراجع.

وقد أحسن عبد الباقي العمري حيث يقول مشيراً إلى هذه القضية:

يا أبا الأوصياء أنت لطفه صهره، وابن عمه، وأخوه
إن لله في معانيك سرّاً أكثر العالمين ما علموه
أنت ثاني الآباء في منتهى الدور وآبؤه تعد بنوه

التزوير والافتراء:

ولكنهم يقولون هنا: إنه «عليه السلام» كان إذا عتب على فاطمة،
وضع على رأسه التراب؛ فإذا رآه النبي «صلى الله عليه وآله» عرف ذلك،
وخاطبه بهذا الخطاب^(١).

= لأحمد بن حنبل رقم ٢٩٥، والغدير ج ٦ ص ٣٣٤، وعميون الأثر لابن سيد
الناس ج ١ ص ٢٢٦، والإمتاع للمقرئ ص ٥٥، وعلى كل حال، فإن من يراجع
غزوة العشيرة في كتب التاريخ والحديث، يجد هذا الحديث مثبتاً في أكثر تلك
المصادر.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٧، وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٠.

ويقولون أيضاً: إنه «عليه السلام» غاضب فاطمة «عليها السلام»،
وخرج إلى المسجد ونام على التراب، فعرف النبي «صلى الله عليه وآله»
بالأمر، فبحث عنه فوجده، فخاطبه بهذا الخطاب^(١).

ويزيدون على ذلك قولهم: كان في علي بن فاطمة شدة فقالت: والله
لأشكونك إلى رسول الله، فانطلقت، وانطلق علي بأثرها، فشكت إلى
رسول الله غلظ علي وشدته عليها.

فقال: يا بنية اسمعي واستمعي، واعقلي: إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي
هوى زوجها، وهو ساكت.

قال علي «عليه السلام»: فكففت عما كنت أصنع وقلت: والله، لا آتي
شيئاً تكرهينه أبداً^(٢).

وقصة أخرى، تقول: كان بين علي وفاطمة كلام، فدخل رسول الله،
فألقي له مثالا فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة؛ فاضطجعت من جانب،
وجاء علي واضطجع من جانب، فأخذ رسول الله بيد علي فوضعها على
سرتة، وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرتة، ولم يزل حتى أصلح بينهما^(٣).
ويقولون أيضاً: إنه حين المؤاخاة لم يؤاخ النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٧، والغدير ج ٦ ص ٣٣٦ عن سيرة ابن هشام ج ٢
ص ٢٣٧، وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣
عن صحيح البخاري، والمناقب للخوارزمي ص ٧، وأنساب الأشراف ج ٢
ص ٩٠، ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢١١.

(٢) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٨ ص ١٦.

(٣) المصدر السابق.

بينه وبين أحد، فاشتد عليه ذلك، وخرج إلى المسجد، ونام على التراب، فلحقه «صلى الله عليه وآله»، ولقبه بهذا اللقب.

ولكن كل ذلك لا يصح: فعدا عن أننا لم نفهم سر هذا التصرف الذي انتهجه «صلى الله عليه وآله» فيما يزعمون للصلح بين الزوجين، حيث اضطجع، ووضع يديهما على سرتة!! كما لم نفهم السبب في أنه «صلى الله عليه وآله» قد أنحى باللائمة على بنته بدلاً من أن يدافع عنها أمام من يظلمها.

عدا عن ذلك، فإننا نسجل ما يلي:

١ - إن فاطمة أجل من أن تغضب علياً «عليه السلام»، وأتقى وأرفع من ذلك، وهي الصديقة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، بنص الكتاب العزيز.

كما أن علياً أجل وأتقى وأرفع من أن يغضب فاطمة «عليها السلام» وسيرته وتطهير الله له من الرجس، ومن كل مشين، بنص كتابه العزيز أدل دليل على ذلك.

٢ - لقد قال علي «عليه السلام» وكأنه يتنبأ بما سوف يفتره عليه الحاقدون: «فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبته، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها؛ فتتكشف عني الهموم والأحزان»^(١).

(١) مناقب الخوارزمي ص ٢٥٦، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٣، البحار ج ٤٣ ص ١٣٤.

٣ - إن وضعه التراب على رأسه كلما غاضبها لا يصدر من رجل عاقل، حكيم لبيب، له علم ودراية أمير المؤمنين «عليه السلام»، لأنه أشبه بلعب الأطفال.

٤ - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي هو قسيم الجنة والنار، لم يكن ليؤذي الله تعالى والنبي «صلى الله عليه وآله»؛ لأن جزاء من يؤذي الله ورسوله ليس هو الجنة قطعاً.

وقد قال النبي: إن من آذى فاطمة «عليها السلام» فقد آذاه، أو من أغضبها فقد أغضبه^(١).

وقال: إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(٢).

(١) البخاري ط مشكول ج ٥ ص ٣٦، والبحار ج ٢٨ ص ٧٦، وراجع: إحقاق الحق ج ١٠ ص ١٩٠، وحلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠، وينايع المودة ص ٣٦٠، ١٧١، ١٧٣، والسنن الكبرى ج ١٠ ص ٢٠١ و ٦٤، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٥٩، وتلخيصه بهامشه، وأعلام النساء ج ٤ ص ١٢٥، وكنز العمال ج ١٣ ص ٩٣، والإصابة ج ٤ ص ٣٧٨، وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤١، وثمة مصادر أخرى ذكرت ذلك تعقيباً على قصة مكذوبة هي قصة خطبة علي «عليه السلام» لبنت أبي جهل فراجع: ذخائر العقبى ص ٣٧ و ٣٨، وكفاية الطالب ص ٣٦٥، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٣، ونظم درر السمطين ص ١٧٦، والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ٢ ص ١٠، والخصائص للنسائي ص ١٢٠، وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٣، والجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٩٨، ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٣٣ والصواعق المحرقة ص ١٨٨.

(٢) راجع: فرائد السمطين ج ٢ ص ٤٦، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٢، وكفاية الطالب ص ٣٦٤، وذخائر العقبى ص ٣٩، =

.....
: .
٥ - لقد قالت فاطمة لعلي «عليه السلام»: أما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني، «فصدقها» «عليه السلام»، في ذلك^(١).
٦ - إن علياً لم يكن ليغضب من النبي «صلى الله عليه وآله»، ويعتبه عليه، وهو يعلم أنه لا يأتي بعمل من عند نفسه، كما أن سيرته «عليه السلام» مع النبي لتؤكد على أنه كان يلتزم حرفياً بكل ما يصدر عنه، حتى إنه حينما أمره النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسير لفتح خيبر ولا يلتفت، مشى «عليه السلام» ما شاء الله، ثم وقف، فلم يلتفت وقال: يا رسول الله الخ..^(٢).

٧ - أضف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حينما كان يستشير أصحابه في الموارد المختلفة، في بدر وأحد وغيرهما، كان أصحابه يتكلمون

= وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢، وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٢، وينايع المودة ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٩٨، ونظم درر السمطين ص ١٧٧، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ و ١٥٨، وتلخيصه للذهبي مطبوع بهامشه، وكنز العمال ج ١٣ ص ٩٦، وج ٦ ص ٢١٩، وج ٧ ص ١١١ والغدير ج ٧ ص ٢٣١ - ٢٣٦، وإحقاق الحق ج ١٠ ص ١١٦، وراجع: السنن الكبرى ج ٧ ص ٦٤، والصواعق المحرقة ص ١٨٦، وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٣٢.

(١) روضة الواعظين ص ١٥١.

(٢) أنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٩٣، وترجمة الإمام علي بن أبي طالب <عليه السلام> لابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٥٩، وصحيح ابن حبان ترجمة علي (مخطوط في مكتبة قبوسراي في استانبول)، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٠٠، والغدير ج ١٠ ص ٢٠٢.

بما شاءوا، ولم يكن علي «عليه السلام» بيدي رأياً، ولا يقدم بين يدي الله ورسوله بشيء أصلاً، إلا ما روي في شأن الإفك على مارية، حيث أشار «عليه السلام» بطلاق عائشة ليكون ذلك بمثابة إنذار لها؛ لترتدع عن مواقفها وأعمالها، وتكف عن أذى رسول الله وأزواجه.

٨ - وأخيراً.. لماذا يغضب ويعتب؟ أليس قد آخاه بنفسه قبل الهجرة؟! ثم هو لم يزل يؤكد على أخوته له، كلما اقتضت المناسبة ذلك. وعلى كل حال، فنحن لن نكذب النبي «صلى الله عليه وآله»، والقرآن، ونصدق هؤلاء، فنحن نذر هذه الترهات لهم، تدغدغ أحلامهم، وترضي حقدهم على علي وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

لماذا الوضع والاختلاق؟!

ولعل سر وضع هذه الترهات هو:

١ - إنهم يريدون أن يظهروا أنه قد كان في بيت علي «عليه السلام» من التناقضات والمخالفات مثل ذلك الذي كان في بيت النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، مما كانت تصنعه بعض زوجاته «صلى الله عليه وآله» وليمكن - من ثم - أن يقال: إن ذلك أمر طبيعي، ومألوف، وهو من مقتضيات الحياة الزوجية؛ فلا غضاضة فيه على أحد، ولا موجب للطعن والإشكال على أي كان، فزوجة النبي تتصرف كما كانت تتصرف بنت النبي «صلى الله عليه وآله».

وكما كانت عائشة تغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن فاطمة كانت تغضب علياً، وكانت خشنة معه.

.....
: ٢ - ومن الجهة الثانية فكما أن قوله «صلى الله عليه وآله» من أغضبها (أي فاطمة) فقد أغضبني، ينطبق على فلان وفلان، فإنه ينطبق على علي نفسه، إذاً فكما أغضب أبو بكر فاطمة فقد أغضبها علي أيضاً، وتكون واحدة بواحدة، فلا يكون ذلك موجباً للإشكال على أولئك دونه «عليه السلام».

٣ - بل إنهم يريدون بذلك أن يظهروا علياً «عليه السلام» بصورة الرجل الذي لم يكن مرضياً من فاطمة، وقد تزوجته بدون رضى منها. ولعل قبول النبي «صلى الله عليه وآله» بتزويجه قد كان لأجل دفع غائلته وشره، وبذلك يسلبون عنه فضيلة الصهر للنبي «صلى الله عليه وآله».

قيمة هذه الكنية:

لقد علل ابن عباس تسمية علي «عليه السلام» بأبي تراب، بأنه «عليه السلام» صاحب الأرض، وحجة الله على أهلها بعده، وبه بقاؤها، وإليه سكونها، ولقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إنه إذا كان يوم القيامة، ورأى الكافر ما أعد الله لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة، قال: يا ليتني كنت تراباً، أي يا ليتني كنت من شيعة علي^(١).
يضاف إلى ذلك: أن الإمام علياً «عليه السلام» الذي كان يعتز بهذه الكنية، كان لا يعتبر الدنيا هدفاً له، يعيش من أجله وفي سبيله، وإنما

(١) سفينة البحار ج ١ ص ١٢١.

يعتبرها وسيلة إلى هدفه الأسمى، وغايته الفضلى، وإذا رأى نفسه يتصرف منسجماً مع هدفه، ومع نظرتة؛ فإنه سوف يرتاح، وينشرح لذلك، فكانت هذه الكنية من النبي «صلى الله عليه وآله» له بمثابة إعلام له: بأنه سوف يبقى في مواقفه وتصرفاته محتفظاً بالخط المنسجم مع أهدافه، وأنه لسوف يبقى مستمراً في وضعه للدنيا في موضعها الذي يليق بها، ولن تغره بزبارجها وبهارجها، ولن يتلى بالتناقض بين مواقفه وتصرفاته، وبين ما يدعي أنه هدف له، فمن أجل ذلك كانت هذه الكنية أحب كناه إليه «عليه السلام».

وأما الأمويون، الذين كانوا يعيرونه «عليه السلام» بها، فقد كان موقفهم أيضاً منسجماً مع نظرتهم ومع ما يعتبرونه من القيم لهم، فإن غايتهم وهدفهم هو الدنيا، وعلى أساس وجدانها وفقدانها يقيّمون الأشخاص والمواقف، فيحترمون أو يحتقرون.

وإذا كان علي أبا تراب، ولا يهتم بالدنيا، ولا يسعى لأن ينال منها إلا ما يحفظ له خيط حياته، انطلاقاً من الواجب الشرعي، ويبلغه إلى أهدافه التي رسمها الله سبحانه له، فإن بني أمية سوف يرونه فاقداً للعنصر الأهم الذي يكون به المجد الباذخ، والكرامة والسؤدد بنظرهم، ويصبح من الطبيعي أن يعيروه بكنية من هذا القبيل، فإن ذلك هو الذي ينسجم كل الانسجام مع غاياتهم ونظرتهم تلك التي تخالف الدين والقرآن، ولا تنسجم مع الفطرة السليمة والمستقيمة.

٢- لماذا السرايا؟! :

لقد عرفنا فيما سبق أن بعض تلك السرايا كان هدفه الاستطلاع، ومراقبة تحركات قريش في المنطقة. وبعض آخر كان هدفه تعقب المغيرين على سرح المدينة، كتعقبهم لكرز بن جابر.

وعرفنا أيضاً: أن تلك السرايا، التي لم يلق المسلمون فيها كيداً، قد جرأت المسلمين، وأعدت لهم الثقة بأنفسهم، وأعدتهم لمواجهة - على قلة العدد والعدة - ألف فارس من قريش، وهي في أوج خيلائها وعزتها، ولم يعد ذلك مفاجأة للمسلمين، ولا مرهباً لهم.

ولكننا مع ذلك نرى أن علينا أن لا نقنع بما ذكر؛ وأن علينا أن نعيد النظر بدءاً وعوداً لنعرف الجديد مما كانت تهدف إليه تلك السرايا التي كان الهدف المعلن لها هو اعتراض عير قريش، والذي يلفت نظرنا هنا هو الأمران التاليان:

الأول: المودعات والتحالفات:

فقد نتج عن تلك السرايا مهادنات ومودعات، وتحالفات على النصر ضد العدو، بين المسلمين وبين كثير من القبائل المتواجدة في المنطقة، حينما شعرت تلك القبائل بقوة المسلمين، وقدرتهم على التحرك، وبتصميمهم على مواجهة حتى قريش بالحرب.

ومن الطبيعي أن ينتج عن هذه المعاهدات والتحالفات تخوف ورعب في قلوب سائر القبائل القريبة من المدينة، بحيث لا بد لتلك القبائل من

التفكير ملياً قبل أن تقدم على أي عمل ضد المدينة مباشرة، أو بواسطة التحالف مع أعداء المسلمين.

وذلك لأنها ترى بالفعل: أن ثمة قوة ضاربة، لا بد من صياغة التعامل معها بحيث لا يضر بمستقبل مصالحها في المنطقة.

وبهذا يتحقق للمدينة نوع من الشعور بالأمن والاستقرار، ويمكن المسلمين - من ثم - من أن يتحركوا بحرية أكثر، في مواجهاتهم لقريش، ومناهضاتهم لها، وهو ما ظهر في حرب بدر، وبعدها.

كما أن هذه الموادعات والتحالفات كانت بمثابة صدمات نفسية، بل هي صفعات مؤلمة لقريش، التي ترى الآن كيف أن المسلمين قد أصبحوا قوة يرهب جانبها، ويسعى الكثيرون إلى عقد التحالفات الدفاعية معها، وعلى الأخص من القبائل التي تقع على طريق تجارة مكة، وكانت تعتبرها قريش سنداً وعوناً لها، كلما أهمها أمر، أو تعرضت لخطر.

أضف إلى ذلك كله، أنه لم يعد باستطاعة قريش أن تعقد تحالفات مع تلك القبائل القريبة من المدينة، وتتخذ منها قوة ضاغطة على المدينة، ووسيلة لمضايقتها.

الثاني: مضايقة قريش:

إن هذه السرايا كانت تهدف إلى الضغط على قريش اقتصادياً، وكذلك نفسياً أيضاً، وتعريفها: أن المسلمين سوف لن يتركوها حرة في المنطقة، ما دامت قد شردتهم، وأذتهم وسلبتهم أموالهم، وقتلت منهم.

وقد شرط النبي «صلى الله عليه وآله» على المشركين في وثيقة العهد

المتقدمة، أن يقطعوا صلاتهم بالمشركون الآخرين.

ويلاحظ: أنه لم يكن ثمة إصرار على قتال قريش، ومناجزتها الحرب، ولذلك قبل حمزة بوساطة الجهني، وتقدم أن عبدة بن الحارث لم يتعقب القافلة التي تجاوزته.

كما أن ثمة ثلاث خرجات أخرى تمر عبر قريش فيها بسلام، ولم يصل إليها المسلمون في الوقت المناسب، بل وحتى في وقعة بدر نفسها لم يفز المسلمون بعير قريش، وإنما كانت قريش هي التي تصدت لقتال المسلمين كما سنرى إن شاء الله تعالى.

وهذا يعزز الاستنتاج القائل: إن المقصود من تلك السرايا هو تعريف قريش: أنها لم تعد تملك حرية الحركة في المنطقة، ولا هي سيدة الموقف، ولا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام، إلا بالعودة إلى منطق التعقل، والروية، والحكمة، والتخلي عن منطق الظلم والغطرسة والتجبر، وأن عليها مراجعة حساباتها، لتقتنع بأنه إذا كان حسم الموقف عسكرياً صعباً جداً بالنسبة إليها، فما عليها إلا أن ترضخ للأمر الواقع، وتعترف بما لا بد لها من الاعتراف به، إن عاجلاً، وإن آجلاً.

وإلا، فلتأذن بحرب من الله ورسوله لا تنتهي إلا بتدمير عنفوانها، وتحطيم كبرياتها، وهكذا كان.

وإنما اكتفى المسلمون بالتعرض إلى قوافل قريش، دون أن يصروا على أخذها، ومصادرتها، وإن كان من حقهم ذلك، لأنه قصاص عادل لقريش، التي بدأت بالعدوان، وتمادت في الظلم والطغيان، ولا مانع من ممارسة هذا الحق إذا لم يكلف ذلك المسلمين غالياً - إنما اكتفى المسلمون بذلك - من

أجل أن يبقوا الباب مفتوحاً أمام قريش، ويعطوها الفرصة للتأمل والتدبر في الأمر.

وأما ما ذكره البعض من أن المقصود من تلك السرايا لم يكن هو الحرب، بدليل قلة عدد المقاتلين المسلمين المرسلين.

فلا نراه مقنعاً ولا كافياً في فهم حقيقة الدوافع لإرسال تلك السرايا؛ لأن الإغارة على قافلة تجارية لم يكن يحتاج إلى عدد كبير من المقاتلين.

ويكفي أن نذكر هنا: أن أكبر قافلة تجارية ترسلها قريش بعد تحرشات المسلمين بتجاراتها (وذلك يدفعها طبعاً لزيادة عدد المحافظين عليها)، هي القافلة التي سببت حرب بدر، وكانت بقيادة أبي سفيان، وهي لم يكن معها إلا بضعة وعشرون رجلاً فقط، مع أن فيها أكثر من ألفي بعير، وفيها أموال قريش.

٣- وصاياہ ' لبعوثہ:

وأما ما تقدم مما كان يوصي به البعوث والسرايا، فإنه يؤكد على أن هذا النبي لم يبعث إلا ليعمر الأرض، وليقطع دابر الفساد فيها؛ وليس جهاده للمنحرفين والظالمين إلا من هذا المنطلق، وفي هذا السبيل، على اعتبار أن: آخر الدواء الكي.

وعليه فكل تصرف لا يأخذ بنظر الاعتبار ذلك الهدف؛ فهو مرفوض عنده حتى وإن كان من أصحابه، ومن أقرب الناس إليه.

وإن وصاياہ «صلى الله عليه وآله» تلك تحتاج إلى دراسة معمقة، للتعرف على الكثير من الحقائق التي يهتم الإنسان المنصف ذا الضمير الحي،

.....
: والوجدان المتيقظ، أن يتعرف عليها، ويستفيد منها منهاجاً ونبراساً له في سلوكه، وأعماله، ومواقفه.

وقد سار علي «عليه السلام» في وصاياه لجيوشه على هذا النهج أيضاً فليراجع^(١).

٤- لماذا المهاجرون فقط؟!

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» كان قبل بدر لا يخرج في غزواته، ولا يرسل في سراياه إلا المهاجرين.
وهنا يرد سؤال: لماذا يتعمد النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ذلك؟ وما هي الحكمة فيه؟!

لربما يقال في مقام الإجابة على ذلك: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يفهم الأنصار: أنه مصمم على الوصول إلى أهدافه، ولو لم يعاونوه؛ فلا يجب أن يظنوا: أنه يريد أن يجعلهم وسيلة لمآربه وغاياته، مع احتفاظه بأصحابه المهاجرين؛ الأمر الذي يوّلد عند الأنصار الشعور بالمظلومية والغبن.

ولكننا نرى أنه لا بد من نظرة أعمق إلى هذا الأمر، وذلك يحتم علينا أن لا نقتنع بهذه الإجابة، ولذا فنحن نجمل ملاحظتنا هنا على النحو التالي:

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٨٢ و ١٨٣ و شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٣ والفتوح لابن أكتم ج ٣ ص ٤٥ و ١٣٥ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٦٢ و ٢٤٠ و ٣٠٢ و ٣٣١ و ٤٧٩.

أ. على الأنصار نصره ' في دارهم:

إنه يبدو أن الأنصار كانوا يرون: أن عليهم نصر النبي «صلى الله عليه وآله» في دارهم، إن دهمه أمر، فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم. أما إذا كان هو نفسه المهاجم لغيره، أو كانت الحرب في غير بلدهم، فلا نصره له عليهم، وذلك هو ظاهر ما تم الاتفاق عليه في بيعة العقبة، كما تقدم.

ويدل على ذلك: أن المؤرخين يصرحون في غزوة بدر: أنه «صلى الله عليه وآله»: «كان يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممن دهمه في المدينة، وليس عليهم أن يسير بهم». وسيأتي ذلك حين الحديث عن غزوة بدر في الفصل الأول إن شاء الله تعالى.

ب. مسألة الحرب والسلام:

إن مسألة الحرب ليست سهلة بالنسبة إلى المدنيين، وقد كانوا يدركون أنهم هم الذين سوف يتحملون مسؤولياتها، ويضحون فيها بأموالهم وأنفسهم، وهم الذين سوف يواجهون نتائجها وعواقبها على صعيد علاقاتهم، وروابطهم الاجتماعية والاقتصادية، وحالتهم السياسية وغيرها، وهي أخطر وأهم مسألة لدى الإنسان العربي، لأنها مسألة الدم والثأر، والموت والحياة، والسعادة والشقاء.

إذاً.. فلا بد فيها من توفر القناعات الكاملة بها من قبلهم أنفسهم، ولا بد أن يقرروا هم الدخول فيها وعدمه.

وأما إذا فرضت عليهم فرضاً، فلربما يؤدي دخولهم فيها إلى نتائج عكسية، وربما خطيرة جداً، تجر على المسلمين، وعلى مستقبل الإسلام الكثير من الرزايا والبلايا، التي قد تعسر معالجتها، والخروج منها على النحو المرضي والمشرف، والمنسجم مع الهدف الأسمى، والغاية الفضلى. وهذا هو السر في استشارته «صلى الله عليه وآله» أصحابه في الحرب وشؤونها في بدر وفي أحد، كما سنشير إليه ثمة إن شاء الله تعالى.

ج. ظروف الأنصار الخاصة:

وإذا كان الأنصار في بلدهم، ويعيشون حياة الأمن والدعة - على صعيد علاقاتهم بمن يحيط بهم طبعاً - ويشرفون على زراعتهم، وأمور معاشهم، ويستفيدون من أرضهم؛ فإن ذلك يجعلهم أكثر تعلقاً بالحياة، وحباً لها، ولا بد من توفر دافع نفسي أقوى يسهل عليهم الخروج إلى جو آخر، فيه الكثير من المشاكل والأخطار الجسم، إن حاضراً، وإن مستقبلاً. وأيضاً: إذا كان الأنصار سوف يجاربون قريشاً، أعظم قبائل العرب خطراً ونفوذاً، وحتى قدسية، فإن عليهم أن يعدوا إلى العشرة قبل أن يقدموا على أي إجراء من شأنه أن يعرض علاقتهم بمكة إلى الخطر، ولا سيما إذا كان من الممكن أن يجر ذلك عليهم خطر عداء العرب قاطبة، فضلاً عن غيرهم، وعلى الأخص إذا كان المدنيون في موقع المعتدي في نظر الناس.

وهذا هو ما حدث بالفعل، فإن التاريخ يحدثنا: «عن أبي بن كعب قال: لما قدم النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه إلى المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا

يصبحون إلا فيه»^(١).

فأذن الله تعالى لهم بالقتال دفاعاً عن أنفسهم، ولرد كيد أعدائهم، كما قال تعالى: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} ^(٢).
أما ظروف المهاجرين، فكانت مختلفة تماماً عن ظروف الأنصار من هذه الجهة؛ لأن اتحاذهم قرار الحرب ضد قريش كان أسهل وأيسر، لأن وقوفهم ضدها له مبرراته النفسية والاجتماعية كاملة، فإن الكل يعلم: أنها كانت تلك القوة الغاشمة التي أهانتهم، وعذبتهم وأخرجتهم من ديارهم، وسلبتهم أموالهم، ولأن المهاجرين الذين كانوا مشردين، مقهورين، كانوا يشعرون بظلم قريش وخروجها على كل النواميس الأخلاقية والأعراف الاجتماعية، والأحكام العقلية والدينية والفطرية. فاندفاعهم إلى محاربتها، والوقوف في وجهها يكون أعظم وأشد.

كما أن تحريكهم إلى مضايقة قوافلها، التي تمثل إغراء لهؤلاء الذين فقدوا أموالهم، وكل ما لديهم على أيدي أصحاب هذه القوافل نفسها، يكون أسهل وأيسر.

وخلاصة الأمر: لا يمكن أن ينظر إلى وقوفهم في وجه قريش على أنه تجنٍ واعتداء عليها، بل هي حرب محقة وعادلة لمن هذه معاملتهم، وتلك

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣، وراجع: البحار ج ١٩ ص ٨، وإعلام الوري ص ٥٥، ومنتخب كنز العمال ج ١ ص ٤٦٥ بهامش مسند أحمد عن البيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وابن المنذر، وعن كنز العمال ج ١ ص ٢٩٥ عن هؤلاء وعن الطبراني، والحاكم، وسعيد بن منصور، وعن روح المعاني ج ٦ ص ٩٨.

(٢) الآية ٣٩ من سورة الحج.

.....
: هي حالتهم وسلوكهم، ومع من؟! . مع أحب الناس وأقربهم نسباً إليهم، فكيف تكون الحال لو كان الأمر مع غيرهم ممن لا تربطهم بهم رابطة قري، ولا وشائج رحم؟! .

د- الحالة النفسية للمهاجرين:

وبعد ما تقدم، فقد كان اتخاذ المهاجرين قرار الحرب أيسر من اتخاذ الأنصار قراراً كهذا، حيث لا يعتبر ذلك اعتداءً، بقدر ما هو رد للاعتداء، فهو إذاً قرار له مبرراته السياسية والاجتماعية والنفسية، وكان لا بد من حصول هذا الأمر، حيث يوجد المناخ العام الملائم حينئذٍ لدخول الأنصار للحرب ليكونوا الدرع الواقى، والسيف القاطع.

فبدأ المهاجرون في تحركاتهم، وقد أعطتهم هذه التحركات التدريجية، وهم الغرباء عن المنطقة فرصة للتعرف عليها جغرافياً، ولو بشكل محدود؛ فقد كان المهاجرون المصدومون نفسياً، يشعرون بالغرابة عن المنطقة، فهم بحاجة إلى حركة تعيد لهم الثقة بأنفسهم، وترفع معنوياتهم، وتركز فيهم الشعور بالقوة، وبالاستقلالية والحرية، فأعطتهم هذه التحركات شعوراً بأن باستطاعتهم - الآن - مضايقة قريش، والضغط عليها، وأنهم يملكون أنفسهم بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

وقد عزز ذلك فيهم موادعات رسول الله لكثير من القبائل التي كانت تعيش في المنطقة، أما الأنصار فقد كانوا في غنى عن كل ذلك بملاحظة ظروفهم وأحوالهم.

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان بين هؤلاء المهاجرين من أثرت فيه المحنة

وزعزعت يقينه الصدمة، فإن تكليفه بالقيام بأعمال وتقديم تضحيات في سبيل هذا الدين، لسوف يحصنه من الوقوع - بسبب ضعف نفسه - بين براثن الشيطان.

فإنه إذا رأى نفسه يعمل في سبيل هذا الدين، وهذه العقيدة، ويضحى من أجلها وفي سبيلها، وأن عمله هذا يؤثر ويتج ويتقدم من حسن إلى أحسن، فسوف يعود إليه ثباته، وتطمئن نفسه، ويصير تأثير المحنة عليه أقل، والتفاعل معها أندر.

وسوف يصبح تعلقه بما ضحى من أجله، وتعب وشقي في سبيله، أشد وأوثق، وتنفذ بصيرته في الدين وفي الإسلام بشكل أعظم وأعمق.

هـ - العربي وقضية الدم:

ولقد كان العربي لا يغفر قضية الدم، ولا يتجاوزها، وعلى أساس الثأر للدم يتقرر مصير العلاقات بين القبائل والفتنات سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وغير ذلك، ولربما يستمر العداة الثأري بين القبائل أجيالاً عديدة. وإذا كان لا بد من قيام مجتمع إسلامي متكافل، متماسك كالجسد الواحد، فلا بد من حصر قضايا الدم والثأر في أضيق دائرة ممكنة، تفادياً للأحقاد التي تتأصل في النفوس، ويظهر أثرها ولو بعد أجيال، وعشرات، بل مئات السنين.

ولذا نلاحظ: أن حرب بدر رغم أن الكثرة فيها كانت للأنصار بنسبة واحد إلى أربعة أو خمسة من المهاجرين، إلا أن أكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على يد علي «عليه السلام» وحمزة، وهما من المهاجرين القرشيين، كما

سنرى إن شاء الله تعالى.

ولأجل هذا بعينه، ثم من أجل تقليل القتلى ما أمكن، نجد أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول للأزد في صفين: أكفوني الأزد، والخثعم: أكفوني خثعماً، وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلا قبيلة ليس منهم بالشام أحد مثل بجيلة، لم يكن بالشام منهم إلا عدد يسير؛ فصرفهم إلى لحم^(١).

وكذلك جرى أيضاً في حرب الجمل^(٢).

وقد خرج صائح في حرب الجمل من قبل علي «عليه السلام» يحذر جيش عائشة من الأشر، وجندب بن زهير^(٣). ثم هو يرسل مصحفاً إليهم يدعوهم إلى ما فيه، فيقتلون الرجل الحامل له.

هذا بالإضافة إلى المحاولات المتكررة التي بذلها لإقناع طلحة والزبير وعائشة بالتخلي عن قرار الحرب، ثم هو يعلن انتهاء الحرب بمجرد عقرب جمل عائشة، ويظهر أسفه على من قتل. وأما في صفين، فكم حاول إقناع معاوية ومن معه بالكف عن غيهم،

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٢٩، وراجع: أنساب الأشراف ج ٢ ص ٣٠٥، والفتوح لابن أعمش ج ٣ ص ١٤١، وراجع: ج ٢ ص ٢٩٩، وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩ وفيه: أن علياً «عليه السلام» سأل أولاً عن قبائل الشام، فلما أخبروه اتخذ قراره ذلك.

(٢) الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٢٩٩.

(٣) لباب الآداب ص ١٨٧، والإصابة ج ١ ص ٢٤٨، والجمل للمفيد ص ١٩٤.

والقبول بحكم الله سبحانه، وقد استمرت محاولاته تلك وطالت أسابيع كثيرة. وما ذلك إلا لأن علياً لا يريد أن يقتل الناس، وإنما يريد قمع الفتنة، وإقامة الدين الذي تحيا به الأمم، بأقل قدر ممكن من الخسائر.

شاهدنا على ذلك أنه عندما أمر المختار إبراهيم بن الأشتر أن يسير إما إلى مضر، أو إلى أهل اليمن، عاد فرجع له أن يسير إلى مضر.

قال الطبري: « فنظر المختار - وكان ذا رأي - فكره أن يسير إلى قومه، فلا يبالغ في قتالهم، فقال: سر إلى مضر بالكناسة الخ...»^(١).

خلاصة الأمر: أنه إذا كانت الحرب بين أفراد أو فئات القبيلة الواحدة؛ فلربما تكون أقل ضراوة من جهة، ولأن العاطفة النسبية، والقربى القبلية تسهل على الناس تناسي الأحقاد وتجاوزها، حيث يتهيأ الجو للعودة إلى الحياة الهادئة، والمحبة والتصافي بسرعة من جهة أخرى.

والشاهد على صحة ما نقول: أن قريشاً ليس فقط كانت تحقد على بني هاشم بسبب نكايه علي «عليه السلام» فيها، حتى إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يبكي على ما سيحل بأهل بيته بعده، نتيجة لتلك الأحقاد^(٢).

كما أن قريشاً لن تنسى - رغم طول العهد - جراحاتها من الأنصار

(١) تاريخ الطبري ط مطبعة الاستقامة ج ٤ ص ٥٢١.

(٢) راجع: الأمالي للصدوق ص ١٠٢ وفرائد السمطين ج ٢ ص ٣٦ وراجع: البحار ج ٢٨ ص ٣٧ و ٣٨ و ٤١ و ٥١ و ٨١ و ج ٤٣ ص ١٧٢ و ١٥٦ والعوالم ص ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٦ وأنساب الأشراف للبلاذري ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٤٢٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٨ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٣٩ والمطالب العالية ج ٤ ص ٦١ ط دار المعرفة.

أيضاً، ولم تأل وسعاً ولم تدخر جهداً في الثأر لنفسها كما سنرى في الفقرات التالية.

هذا كله عدا عما في هذا من الامتحان لهم، فإن القبول بقتل الأقارب يحتاج إلى إيمان عميق، وإخلاص تام، وقد امتحن الله سبحانه بني إسرائيل بذلك أيضاً، بل لقد امتحن الله تعالى نبيه إبراهيم بما يشبه هذا في ولده إسماعيل، حسبما قدمنا.

و- قريش والأنصار:

وأول ما يطالعنا في مجال استكشاف مشاعر قريش، ونواياها تجاه الأنصار، ما قاله أبو سفيان بعد حرب بدر:

آليت، لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيروا قبائل الأوس والخزرج، إن الفؤاد يشتعل
وقد كان الأنصار أنفسهم يشعرون بهذا الأمر، فإنهم عندما مات النبي
«صلى الله عليه وآله» كانوا يبكون؛ لأنهم لا يدرون ما يلقون من الناس
بعده «صلى الله عليه وآله»^(١).

ولم تكن مبادرتهم إلى محاولة مبايعة سعد بن عباد إلا انطلاقاً من هذا الشعور، الذي عبر عنه الحباب بن المنذر بقوله يوم السقيفة: «ولكننا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم، وإخوانهم»^(٢).

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٣٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤ عنه.

(٢) حياة الصحابة ج ١ ص ٤٢٠.

وقد بين أمير المؤمنين «عليه السلام» دوافع سعد بن عبادة إلى طلب البيعة له، فكتب «عليه السلام» إلى أصحابه يقول:

«ولقد كان سعد لما رأى الناس يبائعون أبا بكر نادى: أيها الناس، إني والله ما أردتها حتى رأيتكم تصرفونها عن علي، ولا أباعكم حتى يبائع علي. ولعلي، لا أفعل وإن بايع الخ...».

وفي مورد آخر من نفس الرسالة: يقول: «إن الأنصار قالوا: أما إذا لم تسلموها لعلي فصاحبنا أحق بها من غيره الخ...»^(١).

فذلك يوضح: أن الأنصار بادروا إلى ذلك بعد أن عرفوا أن العرب وقريشاً لن تتمكن علياً «عليه السلام» من الوصول إلى الحكم، وقد تأكد لديهم ذلك حينما شهدوا كيف منع النبي «صلى الله عليه وآله» عن كتابة «الكتاب»، بذلك الأسلوب الجاف والمهين والقاسي، ثم تأخير بعث جيش أسامة، وغير ذلك من قرائن وأحوال لا تخفى.

وبعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» حاق بالأنصار البلاء، وحلت بهم الرزايا، واستأثر المهاجرون بكل الامتيازات، وكان في ذلك تصديق لما أخبرهم به النبي «صلى الله عليه وآله» من أنهم سيلقون بعده إثرة، ثم أمرهم بالصبر حتى يلقوه على الحوض^(٢).

ومما يدل على ما ذكرناه:

(١) معادن الحكمة ص ١٥٤ و ١٥٣ وراجع تعليقات العلامة الأحمدي على معادن الحكمة ص ٤٧٠ - ٤٧٣ لتقف على مصادر كثيرة.

(٢) راجع: حياة الصحابة ج ١ ص ٤١١ - ٤١٤ و ٤٠٩.

- :
- ١ - أن محمد بن مسلمة حين رأى القرشيين وهم يرفلون بالحلل، أعلن بالتكبير في المسجد، فطالبه بذلك عمر، فأخبره بما رأى من الأثرة، ثم قال: أستغفر الله، ولا أعود^(١).
- ويلاحظ هنا: أن محمد بن مسلمة كان من المقربين للهيئة الحاكمة، ومن أعوانها الأوفياء الذين كانت تطمئن إليهم، وتعتمد عليهم.
- ٢ - لقد هم عمر في أواخر خلافته: أن يأخذ فضول أموال الأغنياء ويقسمها بين فقراء المهاجرين^(٢).
- ٣ - وكان عمر يركب كل جمعة ركبتين: أحدهما: ينظر في أموال يتامى أبناء المهاجرين.
- والثانية: ينظر أرقاء الناس ما يبلغ منهم^(٣).
- ٤ - ونجد عمر بن الخطاب يمتنع عن قضاء حاجة للأنصار كانوا قد جاؤوه من أجلها، حتى توسط ابن عباس لهم عنده^(٤).
- ٥ - لم يكن يبر الأنصار أحد إلا بنو هاشم كما قال البعض. وقد اشتد البلاء بعد ذلك العهد على الأنصار، حتى لقد ورد:
- ٦ - أن يزيد لعنه الله طلب من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار، فقال له كعب: أرادي أنت إلى الشرك؟! أهجو قوماً نصرُوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وآووه؟ ثم دلّه على الأخطل النصراني، الذي قال فيهم:

(١) حياة الصحابة ج ١ ص ٤١٣، عن كنز العمال ج ١ ص ٣٢٩ عن ابن عساكر.
(٢) راجع أواخر مقالنا: أبو ذر في كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام.
(٣) المصنف ج ٢ ص ٣٤٩ وفي هامشه عن مالك ج ١ ص ٦٩ مختصراً.
(٤) راجع: حياة الصحابة ج ١ ص ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦.

ذهبت قريش بالسباحة والندى واللؤم تحت عمائم الأنصار^(١)
٧ - ثم توج يزيد لعنه الله جنائياته ومخازيه بوقعة الحرة، التي أذل فيها
عزيز الأنصار، وهتك فيها حرمتهم، وأباح أعراضهم، وقتل رجالهم، ولم
تزل ولا تزال وصمة عار على جبين الحكم الأموي، تؤذن بالخزي والعار
لذلك الحكم البغيض، ولكل من يسير على نهجه، وينسج على منواله.

ز- تزوير التاريخ:

«قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: قال لي خالد بن عبد
الله القسري: اكتب لي النسب؛ فبدأت بنسب مضر، وما أتممته فقال:
اقطعه، اقطعه، قطعه الله مع أصولهم، واكتب لي السيرة.
فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله
عليه، فأذكره؟»

فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم^(٢).

لعن الله خالداً ومن ولاة، وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين.
وحينما وصل كتاب علي «عليه السلام»، الذي يذكر فيه ما له من
مناقب وفضائل إلى معاوية، قال معاوية: «اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل
الشام، فيميلوا إلى ابن أبي طالب»^(٣).
وقد كتب هشام بن عبد الملك إلى الأعمش يطلب منه أن يكتب له

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٢.

(٢) الأغاني ج ١٩ ص ٥٩.

(٣) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٦٦.

فضائل عثمان، ومساوىء علي «عليه السلام» فرفض^(١).
ويقول الشعبي: «لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً، أو يملأوا لي بيتاً
ذهباً، على أن أكذب لهم على علي رضوان الله عليه لفعلوا»^(٢).
وقال أبو أحمد العسكري: «يقال: إن الأوزاعي لم يرو في الفضائل
حديثاً (أي غير حديث الكساء) والله أعلم، وكذلك الزهري لم يرو فيها إلا
حديثاً واحداً، كانا يخافان بني أمية»^(٣).
وحسبك دليلاً على تزوير التاريخ: أن المؤرخين يذكرون: أنه قد كان
مع علي «عليه السلام» سبعمائة من المهاجرين والأنصار، وسبعون بدرياً أو
ثمانون، وماءتان من أهل بيعة الشجرة»^(٤).
ولكن أعداء علي ومزوري التاريخ قد بلغت بهم الوقاحة حداً - كما
عن الشعبي - : أن قالوا: من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر إلا أربعة،
فكذبه، كان علي وعمار في ناحية، وطلحة والزبير في ناحية»^(٥).
وقد ذكر الإسكافي: «أن معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من
التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام» تقتضي الطعن فيه

(١) راجع: شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢١.

(٢) تاريخ واسط ص ١٧٣.

(٣) أسد الغابة ج ٢ ص ٢٠.

(٤) المعيار والموازنة ص ٢٢. مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ والغدير ج ١٠ ص ١٦٣
عن صفين و٢٦٨ و٢٦٦ وعن شرح النهج ج ١ ص ٤٨٣ وجمهرة خطب العرب
ج ١ ص ١٧٩ و١٨٣.

(٥) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤ ص ٣٢٨.

والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعللاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير^(١).

وقد استطاع معاوية أن يزين لأهل الشام أن علياً وأصحابه لا يصلون^(٢). وهكذا جرى أيضاً للأنصار، قال الزبير بن بكار ما ملخصه: إن سليمان بن عبد الملك قدم حاجاً، وهو ولي عهد؛ فمر بالمدينة، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ومغازيه، فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر بنسخها فنسخت له، فلما صارت إليه نظر؛ فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمصوا^(٣) عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، لأن نقول بالحق: هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمر المؤمنين، لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق.

فلما رجع، وأخبر أباه، قال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب

(١) راجع شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٤.

(٢) الغدير ج ٩ ص ١٢٢ عن صفين للمنقري ص ٤٠٢ وعن تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٣

وعن شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٧٨ وعن الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٣٥.

(٣) غمص على فلان: كذب عليه، وغمص على فلان كلامه: أي عابه عليه.

ليس لنا فيه فضل؟ تعرف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها؟!
فأخبره بتحريق ما كان نسخ، فصوب رأيه، وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك.
وبعد أن ذكر الراوي: أن سليمان أخبر قبيصة بن ذؤيب بما جرى،
وجواب قبيصة له، قال:

فقال سليمان: يا أبا إسحاق، ألا تخبرني هذا البغض من أمير المؤمنين
وأهل بيته لهذا الحي من الأنصار، وحرمانهم إياهم، لم كان؟!
فقال: يا ابن أخي، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم
أحدثه أبو عبد الملك، ثم أحدثه أبوك.

فقال: علام ذلك؟!

قال: فوالله ما أريد إلا لأعلمه وأعرفه.

فقال: لأنهم قتلوا قوماً من قومهم، وما كان من خذلانهم عثمان
«رض»، فحقدوه عليهم، وحنقوه، وتوارثوه، وكنت أحسب لأمير المؤمنين
أن يكون على غير ذلك لهم، وأن أخرج من مالي فكلمه.

فقال سليمان: أفعل والله، فكلمه، وقبيصة حاضر، فأخبره قبيصة بما
كان من محاورتهم.

فقال عبد الملك: والله ما أقدر على غير ذلك، فدعونا من ذكرهم،
فأسكت القوم^(١).

ولكن ما ذكره قبيصة من أن أول من حرّمهم هو معاوية في غير محله،
فقد بدأ حرمانهم من زمن عمر بن الخطاب كما يظهر مما تقدم، بل ومن زمن

(١) أخبار الموفقيات ص ٣٣٢ - ٣٣٤.

أبي بكر، وليس تحقيق ذلك محط نظرنا الآن.

وعلى كل حال، فقد قال رجل من الأنصار:

ويل أمها أمة لو أن قائدها يتلو الكتاب، ويخشى العار والنارا
أما قريش فلم نسمع بمثلهم غدراً وأقبح في الإسلام آثارا
ضلوا سوى عصابة حاطوا نبيهم بالعرف عرفاً وبالإنكار إنكاراً^(١)
وقال بعض الأنصار أيضاً:
دعاها إلى حرماننا وجفائنا تذكر قتلى في القليب تكبكبوا
فإن يغضب الأبناء من قتل من مضى فوالله ما جئنا قبيحاً فتعجبوا^(٢)
ويقول آخر:
وخبرتمونا: أنما الأمر بيننا خلاف رسول الله يوم التشاجر
فهلا وزيراً واحداً تحسبونه إذا ما عددنا منكم ألف أمر^(٣)

ح: تأكيد النبي ' على بر الأنصار:

ولم يكن بغض الأمويين وقريش للأنصار فقط لأجل الدماء والترات، وإنما لأنهم نصروا الله ورسوله، ومحق الله الشرك، وذل المشركون بمساعدة منهم. بل إن بغضهم لهم إنما كان انطلاقاً من بغضهم للإسلام. ولربما يكون هذا هو السر في تأكيدات النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) الحور العين ص ٢١٥.

(٢) الحور العين ص ٢١٥ للأمير نشوان الحميري.

(٣) المصدر السابق.

المتكررة على لزوم حب الأنصار، واحترامهم وتقديرهم.
فراه «صلى الله عليه وآله» يعتبر حب الأنصار إيماناً وبغضهم نفاقاً^(١).
وقال: من أحب الأنصار فبحبي أحبهم، ومن أبغض الأنصار فببغضي
أبغضهم^(٢).

وبذلك يكون قد حفظ لهم هذا الجهاد الخالص في سبيل الله، ودفاعهم
عن هذا الدين، ولأنهم آووا ونصروا وبذلوا كل غال ونفيس؛ فجزاهم الله
عن الإسلام وعن المسلمين خير جزاء وأوفاه.
كما أننا يجب أن لا ننسى التزام الأنصار في الأكثر بخط أهل البيت
«عليهم السلام»، وتعظيمهم لحق أمير المؤمنين «عليه السلام» ونصرتهم له
في الجمل وصفين والنهروان، على خلاف كثير من المهاجرين.
ومما يدل على مكانة علي «عليه السلام» لدى الأنصار ما رواه الزبير بن
بكار عن عمرو بن العاص حينما تكلم في المسجد كلاماً قاسياً ضد الأنصار،

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٨٥ وج ٦ ص ٧ وج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٩٢ وج ٣ ص ١٣٠
و ٢٤٩ وراجع حول فضل الأنصار مسند أحمد ج ٤ ص ٧٠ وج ٦ ص ٣٨٢
ومسند أبي يعلى ج ٧ ص ١٩١ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و منحة المعبود ج ٢ ص ١٣٧ و ١٣٨
وصحيح مسلم ج ١ ص ٦٠ و سنن ابن ماجة ج ١ ص ١٤٠ و ٥٧ و ٥٨ وصحيح
البخاري ج ٢ ص ١٩٨ و ١٩٩ و مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٩ و ٤٠.

(٢) راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٧٦ عن الطبراني في الصغير والكبير، والبداية
والنهاية ج ٣ ص ٢٠٣، وفتح الباري ج ١ ص ٦٠، ٥٩، و ليراجع باب حب الأنصار
في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٨ - ٤٢ و سائر كتب الحديث فإن كثيراً منها قد
عقدت فصلاً لفصائل الأنصار.

.....
لأجل محاولتهم البيعة لسعد بن عباد، قال الزبير: «ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب، وندم على قوله للخوولة التي بين ولد عبد المطلب وبين الأنصار، ولأن الأنصار كانت تعظم علياً وتهتف باسمه حينئذٍ». ثم تذكر الرواية كيف أن علياً «عليه السلام» جاء إلى المسجد ودافع عن الأنصار، والقصة طويلة^(١).

والتزام الهاشميين برهم، تنفيذاً لوصية النبي «صلى الله عليه وآله» ثم قولهم يوم السقيفة - بعد أن فشلت محاولة البيعة لسعد بن عباد - : «لا نبايع إلا علياً»^(٢).

وعلي «عليه السلام» هو قاتل صناديد قريش وجابرتها كما هو معلوم ربما يكون كل ذلك، ومعه عمق إيمانهم، والتزامهم القوي بالدين، والتفقه فيه حتى من نسائهم، هو السبب في ذلك. بقي أن نذكر: أن علم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كان عند الأنصار، كما قالوا^(٣).

وعن نساء الأنصار قالت عائشة: «إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور، وليضربن بخمرهن..»^(٤).

-
- (١) الموفقيات ص ٥٩٥ و ٥٩٦ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٣٣.
 - (٢) تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥.
 - (٣) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣٢٥.
 - (٤) الدر المشورج ٥ ص ٤٢ عن ابن أبي حاتم، وأبي داود، وابن مردويه، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٤ وراجع: مسند أبي عوانة ج ١ ص ٣١٧ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٨٧.

.....
:
وعنها أيضاً قالت: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين^(١).

ط - لا غنى في الحرب عن الأنصار:

ولكن كل ما قدمناه لا يعني: أن لا يشترك الأنصار في حرب أبداً؛ فإن قضية الإسلام، التي هي قضية الأمم والإنسانية جمعاء على مدى التاريخ، تفوق في أهميتها وخطورها أهمية وخطر ما سيواجهه الأنصار من قريش فيما بعد، وعلى الأخص إذا كان الإسلام قد وضع الضمانات اللازمة لتفادي أي رد فعل من هذا النوع.

وإنما حدث ما حدث بسبب عدم رعاية الأمة لقوانين الإسلام، وعدم أخذها تلك الضمانات بنظر الاعتبار.

نعم... لم يكن ثمة محيص عن اشتراك الأنصار في الحرب، كما أنه لم يكن مفر من العمل على تخفيف حدة حقد قريش، والموتورين من قبل الإسلام؛ لتكون المشاكل المستقبلية، التي سوف يواجهها الأنصار أقل، ووقعها أخف نسبياً، وهكذا كان.

وسياتي إن شاء الله بعض الكلام أيضاً عن قريش والأنصار في غزوة بدر العظمى، فلا بد من ملاحظة ذلك.

(١) راجع صحيح البخاري ج ١ ص ٢٤ والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٣١٤ وفي الهامش عن البخاري ومسلم، وابن أبي شيبة، وعن كنز العمال ج ٥ رقم ٣١٤٥، وعن اهتمام نساء الأنصار بالفقه راجع: التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣٢١.

القسم الخامس

حتى أحد

الباب الأول: معركة بدر
الباب الثاني: بحوث ليست غريبة عن السيرة
الباب الثالث: ما بين أحد وبدر

الباب الأول

معركة بدر

الفصل الأول: في أجواء القتال
الفصل الثاني: نتائج الحرب
الفصل الثالث: الغنائم والأسرى
الفصل الرابع: نهاية المطاف

..... :

الفصل الأول:

في أجواء القتال

محاولة قرشية فاشلة:

وبعد مضي مدة على وجود النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» والمسلمين في المدينة، كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي بن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ بالمدينة - قبل وقعة بدر - يقولون:

«إنكم أويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً، وإنا نقسم بالله، لتقتلنه، أو لتخرجنه، أو لنستعن^(١) عليكم العرب، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم».

فلما بلغ ذلك ابن أبي ومن معه من عبدة الأوثان تراسلوا؛ فاجتمعوا، وأجمعوا لقتال النبي «صلى الله عليه وآله».

فلما بلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه لقيهم في جماعة، فقال:

«لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم. فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم».

(١) الظاهر: أن الصحيح هو: لنستعين.

.....
فلما سمعوا ذلك من النبي «صلى الله عليه وآله» تفرقوا؛ فبلغ ذلك
كفار قريش، وكانت وقعة بدر^(١).

الإنتداب إلى بدر:

وفي السنة الثانية، في السابع عشر من شهر رمضان المبارك كانت حرب
بدر العظمى بين المسلمين ومشركي مكة.
وذلك أن العير التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة وأفلتت منهم
إلى الشام، ظل النبي «صلى الله عليه وآله» يترقبها، حتى علم بعودتها،
وكانت بقيادة أبي سفيان، مع ثلاثين، أو أقل، أو أربعين، أو سبعين راكباً.
وفيهما أموال قريش؛ حتى قيل: إن فيها ما قيمته خمسون ألف دينار، في ذلك
الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة.

فندب رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسلمين للخروج إليها؛ فانتدب
الناس؛ فخف بعضهم، وثقل آخرون، ولعلمهم تخوفوا من كرة قريش عليهم،
حينما لا بد لها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الذي يستهدف مصالحها الحيوية.
يقول عدد من المؤرخين: «وأبطأ عن النبي «صلى الله عليه وآله» كثير
من أصحابه، وكرهوا خروجه، وكان في ذلك كلام كثير واختلاف. وتخلف
بعضهم من أهل النيات والبصائر، لم يظنوا أن يكون قتال، إنما هو الخروج
للغنيمة، ولو ظنوا أن يكون قتال ما تخلفوا»^(٢).

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٥٨ و ٣٥٩.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٥ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٠ و ٢١
والبهار ج ١٩ ص ٣٢٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٣.

وقال الواقدي: كره خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقوام من أصحابه إلى بدر، قالوا: نحن قليل، وما الخروج برأي، حتى كان في ذلك اختلاف كثير^(١).

وقد حكى الله تعالى ذلك، فقال:

{ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ }^(٢).

نعم لقد كرهوا ذلك لعلمهم بأن قريشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا. ومن هنا نعرف: أن قول بعضهم: إن من تخلف لم يكن يظن أن النبي «صلى الله عليه وآله» يلقي حرباً^(٣) في غير محله، بل هو محاولة إيجاد عذر للمتخلفين مهما كان فاشلاً وغير معقول.

وإلا فالآية الكريمة خير دليل على عدم صحة هذا القول. وخرج المسلمون يريدون العير، وعلم أبو سفيان بالأمر، فأرسل إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير.

الذين يخشون الناس:

ويذكر هنا: أن عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد، وقدامة بن مظعون، كانوا يؤذون في مكة؛ فكانوا يستأذنون النبي «صلى الله عليه وآله» بقتال المشركين، فلا يأذن لهم، فلما أمروا بالقتال، والسير إلى

(١) مغازي الواقدي ج ١ ص ١٣١.

(٢) الآيتان ٥ و ٦ من سورة الأنفال.

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٦.

بدر، شق على بعضهم؛ فنزل قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يُخَشُونَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى }^(١).

ونحن نقول: إن نفسية المقداد ومواقفه تأبى أن يكون ممن شق عليهم ذلك؛ بدليل موقفه العظيم الآتي بعد صفحات يسيرة إن شاء الله، حينما استشار النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه في حرب قريش.

أضف إلى ذلك: أن الآية تدل على أن هؤلاء قد خافوا وجبنوا عن القتال، وكانت خشيتهم وخوفهم من الناس أشد منها بالنسبة إلى الله سبحانه، وأن ذلك كان لأجل حب البقاء، وللتمتع بالدنيا.

ونحن نعلم: أن المقداد لم يكن جباناً قط، ولا كان من محبي البقاء في الدنيا على حساب الدين والإسلام، وتلك هي حياته و سيرته خير شاهد على ما نقول.

كما أن الرواية والآية تدلان على أن فريقاً من أولئك المذكورين أولاً قد شق ذلك عليهم، وليس الكل.

وأما من عدا المقداد ممن ذكرت الرواية أسماءهم، فإن تعلقهم بالدنيا كما يظهر من سيرة حياتهم ومواقفهم المختلفة، يؤيد أن يكونوا ممن شق

(١) البحار ج ١٩ ص ٢٠٩ ومجمع البيان ج ٣ ص ٧٧ والدر المنثور ج ٢ ص ١٨٤ عن: النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في سننه، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

عليهم ذلك فعلاً.

فأما عبد الرحمن بن عوف؛ فلا يشك في كونه من الذين قالوا ذلك كما يفهم من بعض النصوص^(١) ولقد ترك هذا الرجل من المال ما هو معروف ومشهور، وقد جرى بين أبي ذر وعثمان وكعب الأحمبار ما جرى بسبب ذلك^(٢)، وقد صرح بأنه أكثر قريش مالاً^(٣).

وموقفه في يوم الشورى معروف أيضاً، فإنه قد ضرب بكل الأوامر الإلهية والوصايا النبوية في حق علي «عليه السلام» عرض الحائط، فلم يكن ليهتم كثيراً بأوامر الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» وذلك رغبة منه في الدنيا وإيثاراً لها.

وأما قدامة فقد حده عمر في الخمر، وتخلف عن بيعة علي «عليه السلام»^(٤). كل ذلك طلباً للدنيا، وانسياقاً وراء الهوى. وأما سعد، فقد أبى أن يبايع علياً «عليه السلام»، وقعد عنه في حروبه،

(١) يفهم ذلك من إطلاقات روايات الدر المنثور فراجع.

(٢) راجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٦٣ وراجع: حلية الأولياء ج ١ ص ١٦٠ والغدير ج ٨ ص ٣٥١ وراجع: أنساب الأشراف ج ٥ ص ٥٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ٥٤ وج ٨ ص ٢٥٦ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢٥١-٢٥٨ وتاريخ الأمم والملوك وغير ذلك.

(٣) راجع: كشف الأستار عن مسند البزار ج ٣ ص ١٧٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٢.

(٤) راجع قاموس الرجال ج ٧ ص ٣٨٥ وعن كونه قد حد في الخمر راجع: الإصابة ج ٣ ص ٢٢٨-٢٢٩ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٦١ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٣.

وقطع «عليه السلام» عنه العطاء، وصارمه عمار، وأخذ بعض أموال بيت مال الكوفة^(١). إلى غير ذلك مما يدل على تعلقه بالدنيا، وعدم اهتمامه بأوامر الله ورسوله.

فهؤلاء هم الذين يمكن أن يكونوا محط نظر الآية والرواية، وإنما أخفى الرواة أسماءهم، وخلطوهم بغيرهم، لأن السياسة كانت ترغب في ذلك، كما هو معلوم.

رؤيا عاتكة:

ويقول المؤرخون: إن عاتكة بنت عبد المطلب كانت قد رأت في الرؤيا: أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي: يا آل غالب.
وفي رواية: يا آل غدر، أغدوا إلى مصارعكم، ثم دهنه حجراً من أبي قبيس؛ فما ترك داراً بمكة إلا أصابتها منه فلذة.
فأخبرت عاتكة العباس برؤياها، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال: هذه مصيبة تحدث في قريش.
أما أبو جهل، فقال: هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب، واللات والعزى، لنظرن ثلاثة أيام، فإن كان ما رأت حقاً، وإلا لنكتبن كتاباً بيننا: إنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً، ونساءً من بني هاشم.
فلما كان اليوم الثالث جاءهم النذير يناديهم: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة، اللطيمة^(٢).

(١) راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٢-٣١٥.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٣ و ١٤٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٦ =

قريش تتجهز:

وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش، وقالوا:
من لم يخرج نهدم داره، فلم يتخلف رجل إلا أخرج مكانه رجلاً^(١).
وبعث أبو لهب العاصي بن هشام مكانه على أربعة آلاف درهم، كانت
له عليه من مال المقامرة - على ما قيل -^(٢).

موقف أمية بن خلف:

وكان أمية بن خلف معرضاً عن الخروج؛ لأن سعد بن معاذ كان قد
قدم مكة معتمراً، فنزل على أمية، لصداقة بينهما، وخرج سعد ليطوف،
ومعه أمية، فلقبها أبو جهل، فقال لسعد: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد
أوتيت الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم؟! أما والله لولا أنك مع
أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً.

= و١٣٧ والروض الأنف ج ٣ ص ٤٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٩ عن ابن
إسحاق والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٥٩
ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٣ ص ٢٩ و ٣٠ والكامل في
التاريخ ج ٢ ص ١١٦ و ١١٧ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص ٥٣ والبحار ج ١٩
ص ٢٤٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٢.
(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٦١.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٢٩٢ وراجع: السيرة النبوية
لابن هشام ج ٢ ص ٢٦١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٠ والمغازي للواقدي ج ١
ص ٣٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٧ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٨.

.....
فقال له سعد - وقد رفع صوته - : أما والله، لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة.

فاعترض أمية عليه لرفعه صوته على سيد أهل الوادي بزعمه.
فقال سعد: دعنا عنك، فوالله لقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: إنهم قاتلوك.

فقال أمية: بمكة؟

قال سعد: لا أدري.

قال أمية: والله ما كذب محمد.

وفزع فزعاً شديداً (وقيل: أحدث في ثيابه فزعاً)، وعزم على ألا يخرج. فلما كان يوم بدر أصر عليه أبو جهل ليخرج، حتى ليقال: إنه أرسل إليه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور، حتى وضعها بين يديه، وقال: استجمر، فإنك من النساء. فتحمس حينئذٍ، وتهاى للخروج، فنهته زوجته وقالت: «والله، إن محمداً لا يكذب». فأبى إلا المسير، فقتل في بدر^(١).

مع قضية ابن خلف:

ولا بد لنا هنا من تسجيل النقاط التالية:

١ - إن مما يلفت النظر هنا تهديد سعد لأبي جهل بقطع طريقه على المدينة، واعتباره هذا الإجراء أشد على أبي جهل من منع المدنيين من

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥، وراجع: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، وباب علامات النبوة والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٤ و ٣٨٥ ورواه أحمد.

الوصول إلى مكة.

وذلك أمر واضح؛ فإن الحياة الاقتصادية للمكيين قائمة على التجارة، وأهم المراكز التجارية لهم هو الشام. وإذا تعرضت مكة لضغط إقتصادي قوي، وأصبحت بحاجة إلى الآخرين؛ فإن ذلك سوف يؤثر على وضعها السياسي والاجتماعي أيضاً، حيث تفقد هيبتها، وأهميتها، ونفوذها في القبائل العربية.

ولماذا وعلى أي شيء كانت تحارب محمداً «صلى الله عليه وآله» والمسلمين؟! أليس لأجل النفوذ والزعامة، التي تعتبرها فوق كل شيء، وأعز وأجل شيء؟!.

وقد تقدم بعض الكلام في هذا الموضوع حين الكلام عن الهجرة.

٢ - إننا نلاحظ: أن أمية بن خلف لم تكن مواقفه وتصرفاته محكمة لعقله، ولا نابعة من أعماق ضميره ووجدانه. فهو يقتنع بصدق محمد «صلى الله عليه وآله»، ولكنه لا يقعد عن حربه - حين يقعد - من أجل ذلك، وإنما خوفاً على نفسه، وحفاظاً عليها، كما أنه لا يجاربه حين يجاربه من أجل تبدل الرؤية لديه، وإنما بوحى من تحمسه الكاذب، ونخوته الجاهلية؛ فأورده ذلك المهالك في الدنيا وفي الآخرة.

وقد حكى الله تعالى حالة أمثاله، بأجلى بيان، وأوجز عبارة، فقال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (١).

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

٣- في هذه القضية أيضاً دلالة واضحة على المكانة السامية التي كانت للنبي «صلى الله عليه وآله» في نفوس الناس جميعاً، وعلى أنهم يرونه صادقاً فيما يخبر به حين يرجعون إلى ضميرهم ووجدانهم، وإلى ما في قرارة نفوسهم من قناعة واقعية إلى حد أنهم يقسمون على صدقه فيما يخبر به، وأنه لا يكذب. ولكنهم في نفس الوقت يشعرون أنهم بحاجة إلى إظهار العناد والتكذيب لمصالح دنيوية، واعتبارات قبلية، أو غير ذلك.

رجوع طالب بن أبي طالب عن الحرب:

وخرج مع المشركين من بني هاشم: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب. فأما طالب فخرج مكرهاً، فجعل يرتجز ويقول:

يارب إما يغزون طالب في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب
فجرت بينه وبين القرشيين ملاحاة وقالوا: والله، لقد عرفنا أن هواكم
مع محمد؛ فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة، ولم يوجد في القتلى، ولا في
الأسرى، ولا فيمن رجع إلى مكة^(١).
وَادَّعَى البعض: أنه مات كافراً في غزوة بدر حين وجهه المشركون إلى

(١) راجع: البحار ج ١٩ ص ٢٩٤ و ٢٩٥، وروضة الكافي ص ٣٧٥، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤٤، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥ وراجع البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٤٢ وفيه أنه حضر بدرًا مع المشركين.

حرب المسلمين^(١).

هكذا قالوا.. ونحن نقول:

ألف - كيف لم يوجد فيمن رجع إلى مكة، وابن هشام يذكر له قصيدة يمدح فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويكي أهل القليب - على حد تعبير ابن هشام - ويطلب في شعره من بني عبد شمس ونوفل أن لا يثيروا مع الهاشميين حرباً تجر المصائب والبلايا، والاهوال، وفيها يقول:

فما إن جنينا في قريش عزيمة سوى أن حمينا خير من وطأ التربا
أخا ثقة في النائبات مرزاً كريماً ثناه، لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يعشون بابه يؤمّون نهراً لا نزوراً ولا ضربا
فوالله لا تنفك عيني حزينة تملل حتى تصدقوا الخزرج الضربا^(٢)

وهذا يدل على أنه قد عاش إلى ما بعد وقعة بدر. وأما بكأؤه أهل القليب، فالظاهر أنه كان مجازاة لقريش، كما يدل عليه مدحه للنبي «صلى الله عليه وآله»، وطلبه من بني عبد شمس ونوفل أن لا يجاربوا الهاشميين وإلا، فكيف نفس شعره المتقدم:

وليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب
ب - لقد ورد في رواية مرسلة عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ١٦٣.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧ و ٢٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٠.

طالباً قد أسلم^(١).

وروي أنه هو القائل:

وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة^(٢)
وليس من البعيد: أن تكون قريش قد دبرت أمر التخلص من طالب
انتقاماً لنفسها، لما جرى عليها من علي في بدر وغيرها.

المكرهون والراجعون:

وحينما خالف أبو سفيان في الطريق، ونجا بالعرير، أرسل يطلب من
قريش الرجوع، فأبى أبو جهل، إلا أن يرد بدرأً، ويقيم ثلاثة أيام، ويأكل،
ويشرب الخمر، حتى تسمع العرب بمسيرهم وجمعهم؛ فيهابونهم أبداً.
ولكن الأحنس بن شريق رجع ببني زهرة، ولم يشهدوا الحرب. وقيل:
شهدها رجالان منهم قتلا في بدر.

بل قال التلمساني في حاشية الشفاء: إن الأحنس نفسه قد قتل في بدر،
وقيل مات في خلافة عمر.

ويذكرون: أن سبب رجوع الأحنس ببني زهرة هو أنه سأل أبا سفيان
سراً: إن كان محمد يكذب، فقال له: ما كذب قط، كنا نسميه الأمين، ولكن
إذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة لها والمشورة، ثم تكون فيهم
النبوة، فأى شيء يكون لنا، فانحنس الأحنس، ورجع ببني زهرة^(٣).

(١) البحار ج ١٩ ص ٢٩٤.

(٢) شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨.

(٣) راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٣.

وكذلك لم يشهد بدرأً من بني عدي أحد.
وأراد بنو هاشم الرجوع، فاشتد عليهم أبو جهل، وقال: لا تفارقنا
هذه العصاة حتى نرجع^(١).

موقف الرسول ' من المكرهين والراجعين:

فلأجل ما تقدم، ولأجل موقف الهاشميين من النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، وحميتهم لهم في مكة، نهى الرسول «صلى الله عليه وآله» عن قتل من خرج من بني هاشم، ونهى أيضاً عن قتل أبي البختری، الوليد بن هشام، لأنه كان يكف الناس عنه «صلى الله عليه وآله» بمكة، وكان لا يؤذيه، وهو ممن قام في نقض صحيفة المقاطعة. ولكنه حين أبى أن يستأسر في بدر إلا مع زميل له، قتل هو وإياه.
وكذلك فقد نهى «صلى الله عليه وآله» عن قتل الحارث بن نوفل؛ لكرهه الخروج أيضاً فقتله من لم يعرفه. وكذلك جرى لزمنة بن الأسود.

نظرة في موقف النبي ' من هؤلاء:

وفي مجال الاستفادة مما تقدم نسجل النقاط التالية:

١ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن - كما قدمنا، وكما يشعر به موقفه المسجل من هؤلاء - يهدف من الحرب إلى التغلب، والحصول على الملك والسلطان، ولا هو يرغب في سفك الدماء، ولا كان يعجبه أن يرى

(١) راجع في ما تقدم السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤.
وج ١ ص ٢٩١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣١ و ٣٣.

جث القتلى ويسمع أنين الثكالى؛ بل كان له هدف أسمى وغاية فضلى،
ترجع بالنفع العميم على الأمة، وعلى الأجيال، ويريد الوصول إليها بأقل
عدد ممكن من الضحايا.

٢ - كما أنه كان يقدر مواقف الناس، التي تعبر عن حسن خلق،
وسجية وشهامة، وأريحية فيهم، مهما كانت هويتهم وانتماءهم، وأياً كان
موقفهم، لأنه هو الإنسان الكامل ورسول الإنسانية، فهو الذي يستطيع أن
يدرك تلك الصفات والسجايا، ويقدرها أكثر من أي إنسان آخر.

ومن هنا، فقد كان موقفه واحداً من جميع أولئك الذين أحسنوا السيرة
والتصرف - ولو مرة - وكذا كان موقفه من الذين أكرهوا على الخروج.
ولم يكن ليختص بموقفه هذا أقاربه وأهل عشيرته، فإنه لم يكن يتأثر في
مواقفه بعواطف نسبية، بل ليس من مصلحته ذلك في مثل هذا الموقف من
وجهة نظر المنطق، والتصرف العقلاني السليم.

٣ - وهو بالتالي يقدر، ويفهم الظروف الصعبة التي كان يعاني منها
البعض، بحيث تفرض عليهم قريش موقفاً لا ينسجم مع رغائبهم وقناعاتهم،
أو على الأقل مع ميل وهوى نفوسهم، وإن كانوا مدينين من جهة أخرى،
حيث كان بإمكانهم أن ينصروا الحق، وأن يقفوا موقفاً عقلانياً سليماً، كما فعل
غيرهم ممن أسلموا، وعرضوا أنفسهم للرزايا والنكبات عن رضى واختيار
منهم حتى نصرهم الله تعالى وجعل كلمة الحق هي العليا.

النبى ' يستشير في أمر الحرب:

لما كان المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قريش، ومجيئها، خافوا

..... :
وجزعوا من ذلك؛ فاستشار النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه في الحرب،
أو طلب العير.

فقام أبو بكر، فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ
كفرت، وما ذلت منذ عزت. ولم تخرج على هيئة الحرب.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إجلس؛ فجلس؛ فقال «صلى
الله عليه وآله»: أشيروا علي.

فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر.

فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالجلوس، فجلس.

ونسب الواقدي والحلي الكلام المتقدم لعمر، وقالوا عن أبي بكر: إنه
قال فأحسن^(١).

ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمننا بك
وصدقناك، وشهدنا: أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا: أن
نخوض جمر الغضا (نوع من الشجر صلب)، وشوك الهراس لخضناه معك،
ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا
أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ }^(٢).

ولكننا نقول: اذهب أنت وربك؛ فقاتلا، إنا معكم مقاتلون. والله
لنقاتلن عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه

(١) راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٤٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠، والدر المنثور
ج ٣ ص ١٦٦ عن دلائل النبوة للبيهقي، والبحار ج ١٩ ص ٢٤٧، وتفسير القمي
ج ١ ص ٢٥٨.

(٢) الآية ٢٤ من سورة المائدة.

.....
معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك^(١).

فأشرق وجه النبي «صلى الله عليه وآله»، ودعا له، وسر لذلك،
وضحك كما يذكره المؤرخون^(٢).

فيلاحظ: أن الكلام كله قد كان من المهاجرين، وقد ظهر منهم: أنهم
لا يريدون حرب قريش، وهم يتفادون ذلك بأي ثمن كان، غير أن المقداد
قد رد عليهم مقاتلتهم، وخالفهم في موقفهم. ثم توجه النبي «صلى الله عليه
وآله» إلى الأنصار، حيث يقول النص التاريخي:

ثم قال: أشيروا علي - وإنما يريد الأنصار، لأن أكثر الناس منهم؛ ولأنه
كان يخشى أن يكونوا يرون: أن عليهم نصرته في المدينة، إن دهمه عدو، لا
في خارجها، فقام سعد بن معاذ - وقيل ابن عباد - وهو وهم؛ لأنه لم يشهد
بدرًا؛ لأنه كان قد لدغ، فلم يمكنه الخروج^(٣) - فقال: بأبي أنت وأمي يا
رسول الله، كأنك أردتنا؟

فقال: نعم.

فقال: فلعلك قد خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟

قال: نعم.

(١) برك الغماد: يعني مدينة الحبشة كما في تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٣ وموضع من
وراء مكة بخمس ليالٍ من وراء الساحل مما يلي البحر وهو على ثمان ليالٍ من مكة
إلى اليمن. راجع مغازي الواقدي ج ١ ص ٤٨.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠ عن الكشاف
ومغازي الواقدي ج ١ ص ٤٨.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠.

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ إنا قد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا
أن ما جئت به حق من عند الله، فمرنا بما شئت.
إلى أن قال: والله، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل
الله يريك ما تقر به عينك؛ فسر بنا على بركة الله.
فسر النبي «صلى الله عليه وآله»، وأمرهم بالمسير، وأخبرهم بأن الله
تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، ثم قال: والله، لكأني
أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة الخ..
وسار حتى نزل بدرًا.

ويظهر من بعض النصوص: أن الصحابة كانوا - في أكثرهم - يميلون
إلى طلب العير، وترك النفير^(١).

وقد ذكر الله تعالى ذلك في قرآنه المجيد، فهو يقول: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ
إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} ^(٢).
وقبل أن نمضي في الحديث نشير إلى الأمور التالية:

١- إستشارة النبي ' أصحابه:

لقد تحدثنا فيما سبق حينما تكلمنا عن سر إرسال المهاجرين في

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٣ و ١٦٩ عن ابن جرير، وأبي الشيخ، وابن المنذر، وابن
أبي حاتم، وابن مردويه، والكشاف، والبيهقي، وعبد بن حميد والبداية والنهاية
ج ٣ ص ٢٦٣.
(٢) الآية ٧ من سورة الأنفال.

الغزوات، ولسوف نتحدث فيما يأتي في غزوة أحد في فصل: قبل نشوب الحرب إن شاء الله تعالى، عن موضوع استشارة النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بما فيه الكفاية.

ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى أنه قد كان من الضروري أن يستشير «صلى الله عليه وآله» أصحابه في حرب بدر التي كانت حرباً مصيرية، سوف يتقرر على أساس نتائجها مصير الإيمان والشرك في المنطقة في المستقبل المنظور على الأقل، بل ومطلقاً كما أشار إليه «صلى الله عليه وآله» في دعائه: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد».

وواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى رأيهم، وإنما هو يستشيرهم لأنهم هم الذين سوف يتحملون أعباء الحرب، ويعانون من نتائجها، على مختلف الأصعدة.

ثم إنه يستخرج بذلك دخائل نفوسهم، ويتميز المنافق من المؤمن، والجبان من الشجاع، والذي يفكر في مصلحة نفسه من الذي يفكر من منطلق التكليف الشرعي، ويعرف أيضاً الذكي من الغبي، والعدو من الولي، والضعيف من القوي إلى غير ذلك مما هو ظاهر لا يخفى.

ويدل على ما نقول: أن سعد بن معاذ يسأل النبي «صلى الله عليه وآله»: لعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟ فقال «صلى الله عليه وآله»: نعم.

فهذا يدل على أن أمر الحرب مقضي ومأمور به من قبل الله تعالى؛ فليست استشارته «صلى الله عليه وآله» لهم إلا لما قلناه هنا، وقدمناه، وسيأتي في غزوة أحد.

٢- حرب قريش هي الرأي:

ومن الواضح: أن الرأي الحق هو حرب قريش، كما أراد الله ورسوله؛ وذلك لأن الأمر يدور بين:

أن يرجع المسلمون دون أن يتعرضوا للعر، ولا لقريش، وفي ذلك هزيمة روحية ونفسية واضحة للمسلمين، وإطعام لغيرهم بهم؛ من المشركين، واليهود والمنافقين.

أو أن يطلبوا العير فيدركوها، فيأخذوها، بعد قتل أو أسر رجالها. ولن تسكت قريش على هذا الأمر، بل هي سوف تتعرض لحربهم على أوسع نطاق. وقد تتمكن من مهاجمة المدينة قبل رجوع المسلمين إليها، وتقوم بإنزال الضربة القاصمة بالمسلمين، فإن قريشاً وهي بهذه العدة والعدد لن تسكت عن أمر كهذا، بل سوف تحاول ردهيبتها، والثأر لكرامتها.

فلم يبق إلا خيار واحد، وهو أن يقفوا في وجه قريش بعد أن يعرضوا عليها عروضاً مقبولة، وعادلة، ومعقولة.

إذن، فحرب وقتال قريش هي الخيار الأفضل والأمثل في ظروف كهذه، ولا سيما إذا طلبوا العير، وربما يوجب ذلك أن يزيد الأمر تعقيداً وإشكالاً بالنسبة إلى المسلمين بما لا قبل لهم به.

وتكون النتيجة هي أنه إذا أراد المسلمون العيش في عزة ومنعة، وأن لا يطمع بهم من حولهم، والمشركون، واليهود، والمنافقون، فلا بد من المبادرة للقتال، وليس ثمة خيار آخر أمامهم.

٣- التربية النفسية:

وفي مجال آخر نشير إلى:

ألف - لقد كان هدف المسلمين أولاً هو الحصول على المال؛ فأراد الله ورسوله أن يرتفع بهم عن هذا الهدف الدنيوي إلى ما هو أعلى، وأعلى، وأسمى. وإلا فإن قريشاً أيضاً قد كانت تهدف من وراء جمعها الجموع، وإثارة الحرب إلى أهداف دنيوية، إقتصادية، وإجتماعية، وسياسية أيضاً.

ب - لقد كان لحرب بدر أثرها في بث روح الاعتدال على النفس، ومواجهة المسؤوليات بصلابة وشجاعة، حيث لا بد من قتل فراعنة قريش، وإفناء صنائدها وأسرههم {لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} (١)، ثم التهيؤ لحرب العرب والعجم بعد ذلك.

٤- نظرة في الآراء حول الحرب:

ويلاحظ: أن أكثر المؤرخين قد حذفوا كلام عمر وأبي بكر هنا، واكتفوا بقولهم: قام أبو بكر فأحسن، ثم قام عمر فأحسن، ثم قال المقداد كذا وكذا (٢).

وربما ينسبون إلى بعضهم كلاماً آخر لا ربط له بسؤال النبي «صلى الله عليه وآله» أصلاً.

وأما الفقرات التي نقلناها عنها فلم تعجب الكثيرين من المؤرخين،

(١) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

(٢) راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢، والثقات ج ١ ص ١٥٧.

فأضربوا عنها صفحاً بالطريقة المشار إليها آنفاً.

ولكن من الواضح: أن سرور النبي «صلى الله عليه وآله» بكلام المقداد، ودعائه له يدل على أن كليهما (أعني أبا بكر وعمر) لم يكن منسجماً مع ما كان يهدف إليه النبي «صلى الله عليه وآله» من مشاورته لهم، بل كان مضاداً لما كان يرمي إليه «صلى الله عليه وآله»، ولو كان كلامهما لاثقاً لذكره محبوهم من المؤرخين والرواة وما أكثرهم.

وأما مشورة المقداد، فكانت هي السليمة والمنسجمة مع المنطق، ومع الأهداف السامية التي كان يرمي إليها الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله». وذلك هو ما كان يتوقعه «صلى الله عليه وآله» ويرمي إلى الوصول إليه، والحصول عليه. ولذلك فقد استحق المقداد مدح النبي «صلى الله عليه وآله» ودعائه له.

بل لقد ورد: أنه حين بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» إقبال أبي سفيان شاور أصحابه، فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه^(١).
فإعراضه «صلى الله عليه وآله» عنهما ليس إلا لتخذيّلها عن النفي إلى حرب قريش، ومدحهم لها بأنها: ما ذلت منذ عزت، وما آمنت منذ كفرت الخ.. لا لأنه كان يريد من الأنصار أن يجيئوا وحسب. وإلا فلماذا سر من كلام المقداد، ودعائه، وهو من المهاجرين؟!!

(١) صحيح مسلم باب غزوة بدر ج ٥ ص ١٧٠، ومسند أحمد ج ٣ ص ٢١٩ بطريقتين، وعن الجمع بين الصحيحين، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤.

حتى لقد قال ابن مسعود عن موقف المقداد هذا: لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به^(١).

وعن أبي أيوب، قال - في ضمن حديث له - : «فتمنينا معشر الأنصار لو أننا قلنا مثل ما قال المقداد أحب إلينا من مال عظيم» فأنزل الله عز وجل على رسوله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} ^(٢).

أضف إلى ذلك كله: أن كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان عاماً للجميع: للأنصار والمهاجرين على حد سواء، كما أن المهاجرين كانوا كالأنصار من حيث إنهم لم يبايعوه على الحرب.

٥- سر سروره ' بكلام سعد والمقداد:

وإن التأمل في كلام سعد بن معاذ والمقداد يفيد: أنهما لم يشيرا عليه لا بالحرب، ولا بالسلام؛ بل ما زادا على أن أظهرتا التسليم والانقياد لأوامر النبي «صلى الله عليه وآله» ونواهيته، وما يقضيه في الأمور. إنهما لم يبديا رأياً، ولا قدما بين يديه أمراً. وهذا هو منتهى الإيثار، وغاية الإخلاص والتسليم، وقمة الوعي لموقعهما، ووظائفهما، وما ينبغي لهما.

فهما ما كانا يريان لنفسيهما قيمة في مقابل قضاء الله ورسوله على حد قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ

(١) صحيح البخاري باب تستغيثون ربكم ج ٣ ص ٣ ط الميمنية، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢ و ٢٦٣، وسنن النسائي.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣ و ٢٦٤ عن أبي حاتم وابن مردويه.

لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»^(١).

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}^(٢). ولهذا الإيمان العميق، والتسليم المطلق، كان سرور رسول الله واستبشاره «سلام الله عليه وعلى آله الطاهرين».

٦- أين رأي علي ×!؟

ويلاحظ هنا: أننا لا نجد علياً في هذا المقام بيدي رأياً، ولا يبادر إلى موقف، أو مشورة، مع أنه رجل الحكمة، ومعدن العلم؛ فما هو السر في ذلك يا ترى؟! ونقول في الجواب: إن موقف علي «عليه السلام» هو موقف نفس النبي «صلى الله عليه وآله». وقد وصفه الله سبحانه وتعالى في آية المباهلة بأنه نفس النبي، فقال: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ}^(٣).

أضف إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» لم يكن ليتقدم بين يدي الله ورسوله في شيء وقد كان يرى أن من واجبه السكوت، والتسليم، والرضا بما قضاه الله ورسوله، ولا يجد في نفسه أي حرج من ذلك.

الحباب ذو الرأي:

ويروون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزل أدنى ماء ببدر؛ فأشار

(١) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

عليه الحباب بن المنذر بأن ينزل أدنى ماء من القوم، ثم يصنع حوضاً للماء، ويغور سائر القلب؛ فيشرب المسلمون، ولا يشرب المشركون. ففعل الرسول «صلى الله عليه وآله» ذلك، ثم صوب رأي الحباب.

فسمي الحباب حينئذٍ: «الحباب ذو الرأي»^(١).

ولكن هذه الرواية لا تصح، وذلك:

أولاً: إنه قد دل الدليل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» مصيب في كل ما يفعل ويرتئي، ولا يصغى لما يقال من جواز الخطأ عليه في الأمور الدنيوية، فإنه مما يدفعه العقل والنقل. (وسياتي البحث عن أن العصمة عن الخطأ والنسيان اختيارية عن قريب إن شاء الله تعالى).

وثانياً: إن العدو القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لا بأس بها. ولا ماء بالعدو الدنيا، وهي خبار^(٢) تسوخ فيها الأرجل^(٣).

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٥؛ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٢، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٠٣ و ٤٠٢، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٧، وغير ذلك.

(٢) الحَبَّار: ما لان من الأرض واسترخى.

(٣) راجع: فتح القدير ج ٢ ص ٢٩١ عن الزجاجو ٣١١، والكشاف ج ٢ ص ٢٢٣ و ٢٠٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ عن ابن عباس، وقتادة، والسدي، والضحاك، والدر المنثور ج ٣ ص ١٧١ عن ابن المنذر، وأبي الشيخ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤، وسيرة ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٠ وعن الكشاف، وأنوار التنزيل، والمدارك، وغير ذلك.

..... :

وثالثاً: إن المشركين هم الذين سبقوا بالنزول في بدر كما سيأتي؛ ولا يعقل أن ينزلوا في مكان لا ماء فيه، ويتركوا الماء لغيرهم.

ورابعاً: إن ابن إسحاق ينص على أن المشركين وردوا الحوض، فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن لا يعترضوهم^(١). وقد فعل أمير المؤمنين علي «عليه السلام» في صفين مثل ذلك؛ حيث أباح الماء لأعدائه القاسطين، مع أنهم كانوا قد منعه إياه أولاً^(٢).

ومن الواضح: أن منعهم من الماء لا ينسجم مع أخلاقيات ومبادئ الإسلام ونبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله».

فالصحيح هو الرواية التي تقول: إن المسلمين لم يكونوا على الماء، فأرسل الله السماء عليهم ليلاً حتى سال الوادي، فاتخذوا الحياض، وشربوا وسقوا الركائب، واغتسلوا وملأوا الأسقية^(٣) كما أشار إليه تعالى، حين قال: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} ^(٤).

وذلك هو سر بناء الحوض، وليس ما ذكره.

(١) وراجع: الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٣.

(٢) راجع كتابنا: الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل.

(٣) راجع: الكشف ج ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٤، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ غير أنه لم يذكر اتخاذ الحياض.

(٤) الآية ١١ من سورة الأنفال.

عدة وعدد المسلمين والمشركين:

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خرج في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدد أصحاب طالوت (وقيل: أكثر، وأقل) والأول هو قول عامة السلف^(١).

وكان معهم من الإبل سبعون بعيراً يتعاقبون عليها، الاثنان والثلاثة؛ فكان النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام»، ومرثد بن أبي مرثد، وقيل: زيد بن حارثة، يعتقبون بعيراً.

وكان معه من الخيل: فرس للمقداد قطعاً بإجماع المؤرخين.
قيل: فقط^(٢).

وروي ذلك عن أمير المؤمنين «عليه السلام»^(٣).
وقيل: وفرس للزبير، أو لمرثد، أو هما معاً.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١ عن الكشاف، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٧، والبحار ج ١٩ ص ٣٢٣، وهو عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٥ و ٥٤، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٩٣ عن الترغيب ج ١ ص ١٣١٦ عن ابن خزيمة. وراجع: المغازي للذهبي (تاريخ الإسلام) ص ٥٦ و ٥٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩، ودلائل النبوة للبيهقي ط المكتبة العلمية ج ٣ ص ٣٨ و ٣٩ و ٤٩، والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٧، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٨.

ومعهم من السلاح ستة أدرع، وثمانية سيوف^(١).
ومعه من المهاجرين، قيل: أربعة وستون، وقيل: سبعون، وقيل: ستة
وسبعون أو سبعة وسبعون، وقيل: ثمانون، وقيل: مئتان وسبعون من
الأنصار، وبقيتهم من سائر الناس، وقيل غير ذلك^(٢).
والذين من الخزرج كانوا مئة وسبعين. وفي عدد الخزرج اختلاف أيضاً.
أما المشركون، فخرجوا وهم يشربون الخمر، ومعهم القيان، يضربن
بالدفوف، وقد أرجعوهن من الطريق.
وكان معهم سبعمئة بعير^(٣).
ومن الخيل، قيل: أربعمئة^(٤)، وقيل: مئتان، وقيل: مئة فرس^(٥)، وقيل

-
- (١) راجع: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٧، والبحار ج ١٩
ص ٢٠٦، ومجمع البيان ج ٢ ص ٢١٤، وحسب طبعة دار إحياء التراث المجلد
الأول ص ٤١٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١.
- (٢) راجع: البحار ج ١٩ ص ٣٢٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠، والبداية
والنهاية ج ٣ ص ٢٦٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦، وحياة الصحابة ج ١
ص ٦٠٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١، وأنساب الأشراف ج ١ ص ٢٩٠،
ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٩٣، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١١٨، وغير ذلك.
- (٣) راجع ما تقدم في المصادر المتقدمة في الهوامش المختلفة.
- (٤) تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٢.
- (٥) راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦،
والبحار ج ١٩ ص ٢٤٤ و ٢٠٦، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٨، ومجمع
البيان، وغير ذلك، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧.

غير ذلك. وكلهم دارع. ومجموع الدارعين فيهم ستائة^(١).
وكان يتبرع بالإطعام رجل منهم كل يوم، فينحرون لهم تسعاً، أو
عشراً من الإبل، فكان المطعمون اثني عشر رجلاً، منهم: عتبة، وشيبة،
والعباس، وأبو جهل، وحكيم بن حزام؛ الذي أصبح فيما بعد من المؤلفات
قلوبهم، كما هو معروف.

المشركون يدركون بغيهم وعدوانهم:

والتقى بعض المسلمين ببعض عبيد قريش على ماء بدر، فأخذوهم،
وسألوهم عن العير، فأنكروا معرفتها، فضربوهم ورسول الله «صلى الله
عليه وآله» يصلي، فانفتل من صلاته، وقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن
كذبوكم تركتموهم؟

ثم سأله عن عدة قريش، فقالوا: لا علم لهم بعددهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: كم ينحرون كل يوم من جزور؟

قالوا: تسعة إلى عشرة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: القوم تسعمائة إلى ألف رجل^(٢) (وقيل:

(١) التنبيه والإشراف ص ٢٠٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨ و ٢٦٩، والمغازي للواقدي ج ١
ص ٥٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣ و ٢٦٤، وراجع: دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٢٧
و ٣٢٨، والسنن الكبرى ج ٩ ص ١٤٧ و ١٤٨، وزاد المعاد ج ٣ ص ١٧٥، وصحيح
مسلم ج ٥ ص ١٧٠، وكشف الأستار ج ٢ ص ٣١١، والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٥،
وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٢ - ١٣٤ و ١٤٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٢.

أكثر، حتى لقد قال البعض: إنهم كانوا ثلاثة آلاف رجل، وهو بعيد).
فأمر بهم «صلى الله عليه وآله»، فحسبوا، فعلم مشركو قريش، ففزعوا،
وندموا على مسيرهم، حيث إنهم بعد أن علموا بنجاة العير أصروا على
المجيء إلى بدر لتهاجم العرب، كما تقدم.

وقد اعترف عتبة بن ربيعة، الذي كان ولده أبو حذيفة مع النبي «صلى
الله عليه وآله»: بأن مسيرهم بعد نجاة عيرهم كان بغياً منهم وعدواناً.
وبذلت محاولة للاتفاق على الرجوع، لكن أبا جهل أبى ذلك، وقال:
«لا، واللوات والعزى، حتى نقحم عليهم بيثرب، ونأخذهم أسارى،
فندخلهم مكة، وتتسامع العرب بذلك، ولا يقوم بيننا وبين متجرنا أحد
نكرهه»^(١).

ورجع بنو زهرة حينئذ بإشارة الأحنس بن شريق، كما تقدم.

مواقع الجيشين:

وسبق المشركون إلى بدر، فنزلوا في العدو القصوى، في جانب الوادي
مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين^(٢).
قال تعالى: {وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} ^(٣). ومحل نزولهم كان صلباً. ونزل
المسلمون في العدو الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لا ماء،

(١) البحار ج ١٩ ص ٢٥٠ عن تفسير القمي، وراجع مغازي الواقدي ج ١ ص ٧١.
(٢) لسوف يأتي: أن العير قد سلمت، لأن أبا سفيان قد سلك بها طريق البحر وابتعد
عن المدينة وعن مسير المسلمين.
(٣) الآية ٤٢ من سورة الأنفال.

وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم؛ مما يعني أن منزل المسلمين كان من وجهة نظر عسكرية غير مناسب.

ولكن الله أيد عباده ونصرهم على عدوهم، وجاء المطر ليلاً على المشركين، فأوحت أرضهم، وعلى المسلمين؛ فلبدها، وجعلها صلبة، وجعلوا الماء في الحياض^(١).

معنويات المسلمين والعنايات الربانية:

ولما بلغ المسلمين كثرة المشركين، خافوا، وتضرعوا إلى الله. وعن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»: لما نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى كثرة المشركين، وقلة المسلمين، استقبل القبلة، وقال:

«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض»؛ فنزلت الآية: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} (٢).

فالإمداد بالملائكة إذاً، ليس إلا للتطمين، وإعطاء توهج روحي للمسلمين، الذين يحسون بالضعف، ويستغيثون ربهم، حسب مدلول الآية الشريفة.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ و ٢٧٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥، وتاريخ الأمم والملوك ط الاستقامة ج ٢ ص ١٤٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤، والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٢٢، ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٣ ص ٣٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦.

(٢) الآيتان ٩ و ١٠ من سورة الأنفال.

ثم ألقى الله النعاس على المسلمين؛ فناموا، وقد ذكر الله سبحانه ذلك، وإرسال المطر عليهم؛ فقال: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} (١).

نعم، لقد كان ذلك النعاس ضرورياً لفئة تواجه هذا الخطر الهائل، وهي تدرك أنها لا تملك من الإمكانيات المادية شيئاً يذكر لدفعه.

نعم، لا بد من هذا النعاس؛ لئلا تستبد بهم الوسوس في هذا الليل البهيم، الذي تكبر فيه الأشياء وتتضخم، فكيف إذا كانت الأشياء كبيرة بطبيعتها؟

وقد كان هذا النعاس ضرورياً أيضاً ليحصل لهم الأمن والسكون: «أمنة» ولتقوى قلوبهم بالإيمان والسكينة، حتى لا يضعفوا عن مواجهة الخطر، وحتى يمكن لعقولهم وفكرهم أن يسيطر على طبيعة تصرفاتهم ومواقفهم، بدلاً من الضعف والانفعال، والتوتر. وبواسطة هذا النعاس وذلك المطر يربط الله على قلوبهم، حيث يطمئنون إلى أن الله ناظر إليهم، وإلى أن ألطافه وعناياته متوجهة نحوهم، فلا يهتمون بعد ذلك بالحوادث الكاسرة، ولا تهمهم الجيوش بكثرتها الكاثرة.

وفي مقابل ذلك، فقد ألقى الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب، والخوف، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

وقد يقال: إن الله سبحانه قد أخبر في السور المكية، كسورة محمد «صلى الله عليه وآله» بعد ذكره الذين تحزبوا ضد أنبيائهم، وثمود، وفرعون، عن

(١) الآية ١١ من سورة الأنفال.

.....
أن هناك حادثة شبيهة لما جرى لتلك الفئات، ستقع للمسلمين، فقال:
{ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ }^(١)، فكان ذلك وقعة بدر، كما قاله
البعض.

أهداف الحرب:

والملاحظة الهامة هنا هي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يصرح بأن
حرب بدر حرب مصيرية، وأن هدفه من هذه الحرب هو التمكين لعبادة
الله تعالى، وليس عبادة الذات، أو المال، أو الجنس، أو الجاه، أو السلطان،
ولا غير ذلك، ولا سيما إذا شعرت قريش بالضييق والذل والضعف، عن
طريق جعلها في معاناة إقتصادية ونفسية، حينما تدرك: أن طريق قوافلها إلى
الشام وبلدان أخرى أصبح مهدداً، وهذا ما سوف يضعف من عزائم
القرشيين، ويزلزل وجودهم، ويجعلهم في الموقف الأضعف.
أما هدف المشركين، فهم أنفسهم قد أفصحوا عنه، وهو أن تهاجمهم
العرب، وأن لا يكون بينهم وبين متجرهم أحد يكرهونه.
وشتان ما بين الهدفين، وكذلك ما بين نتائج الحرب - كما سنرى -
بالنسبة إلى الفريقين.

في المواجهة:

ولما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» عباً أصحابه. وكانت رايته

(١) الآية ١١ من سورة ص.

مع أمير المؤمنين «عليه السلام»^(١).

وكان «عليه السلام» صاحب لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر، وفي كل مشهد^(٢)، وستثبت ذلك في غزوة أحد إن شاء الله تعالى. فما يقال: من أنه كان لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر أكثر من لواء: مع مصعب بن عمير، أو الحباب بن المنذر، في غير محله، إلا أن يكون مرادهم: أن لواء المهاجرين كان مع مصعب، ولواء الأنصار كان مع الحباب، ونحو ذلك.

وأما تفريقهم بين الراية واللواء في محاولة لرفع التنافي، فهو أيضاً محاولة فاشلة؛ لأن كلاً منهما قد ورد أنه كان مختصاً بأمر المؤمنين «عليه السلام»، كما يتضح من مراجعة النصوص في المصادر المشار إليها في

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٠٢، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم النبيل، مخطوط في مكتبة كوبرلي رقم ٢٣٥، ومسند الكلبي في آخر مناقب ابن المغازلي ص ٤٣٤، ومناقب ابن المغازلي نفسه ص ٣٦٦، والإستيعاب هامش الإصابة ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١، وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥. ونقل ذلك عن: شرح النهج للمعتزلي ط أولى ج ٢ ص ١٠٢، وجمهرة الخطب ج ١ ص ٤٢٨، والأغاني ط دار الكتب ج ٤ ص ١٧٥، وتاريخ الطبري ط دار المعارف ج ٢ ص ٤٣٠.

(٢) ترجمة الإمام أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساکر، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٤٥، وذخائر العقبي ص ٧٥ عن أحمد في المناقب، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٤، وكفاية الطالب ص ٣٣٦ عنه، وفي هامشه عن: كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢، وقال: أخرجه نظام الملك في أماليه.

الهامش^(١).

وسياتي مزيد من التوضيح لذلك في واقعة أحد إن شاء الله تعالى.
أضف إلى ذلك: أن ابن سعد وابن إسحاق قد ذكرا: أن الراية قد
اتخذت بعد واقعة بدر، وبالذات في واقعة خيبر^(٢).
هذا لو سلم وجود اختلاف بين اللواء والراية، وإلا فقد نص جماعة
من أهل اللغة على ترادفهما^(٣).

هدوء ما قبل العاصفة:

وبعد أن عبأ النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه، قال لهم: غضوا
أبصاركم، ولا تبدؤوهم بالقتال، ولا يتكلمن أحد^(٤).
وسكت المسلمون، وغضوا أبصارهم، امثالاً لأمر رسول الله «صلى
الله عليه وآله» فأثر هذا الموقف في قريش بشكل واضح، حتى إن أحدهم
حين جال بفرسه حول المسلمين؛ ليعرف إن كان لهم مدد، أو كمين، رجع
للمشركين، وقال: «ما لهم كمين، ولا مدد. ولكن نواضح يثرب حملت
الموت الناقع. أما ترونها خرساً لا يتكلمون؟ يتلمظون تلمظ الأفاعي، ما
لهم ملجأ إلا سيوفهم؟! وما أراهم يولون حتى يُقتلوا، ولا يُقتلون حتى
يُقتل بعددهم».

(١) راجع المصادر في الهامشين السابقين.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٧ و ١٤٨.

(٤) المصدر السابق.

فشتمه أبو جهل؛ لأنه رآه يجين أصحابه.

وقال أبو جهل يشجع أصحابه مشيراً إلى قلة عدد المسلمين: «ما هم إلا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد».

وأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المشركين يقول لهم: «معاشر قريش، إني أكره أن أبدأكم بقتال، فخلوني والعرب وارجعوا؛ فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري».

ويقال: إن عتبة بن ربيعة رجع للمشركين قبول ذلك، فرماه أبو جهل بالجبن، وأنه انتفخ سحره^(١) لما رأى محمداً وأصحابه، وأنه خاف على ابنه أبي حذيفة الذي هو مع محمد.

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل، قال: سيعلم مصفر أسته^(٢) من انتفخ سحره: أنا، أم هو؟ وتحمس لذلك، ولبس درعه، هو وأخوه شيبة وولده الوليد وتقدموا يطلبون البراز.

ونحن هنا نشير إلى الأمور التالية:

ألف: سر رعب المشركين:

إن المشركين كانوا يدركون مدى تصميم المسلمين على الحرب، وأنهم

(١) انتفاخ السحر: كناية عن الجبن. والسحر: الرثة.

(٢) والظاهر أنه يرميه بالأبنة؛ فإن الأنصار كانوا يرمونه بذلك. راجع: مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٥١ عند قولهم: أخنث من مصفر أسته، والبرصان والعرجان ص ١٠٢ و ١٠٣ متناً وهامشاً، والغدير ج ٨ ص ٢٥١ عن صواعق ابن حجر ص ١٠٨ عن الدميري في حياة الحيوان، وراجع: الدرر الفاخرة في الأمثال السائرة ج ١ ص ١٨٨.

على استعداد لأن يموتوا جميعاً، بعد أن يقتلوا بعددهم على الأقل في سبيل دينهم وعقيدتهم.

وهذا من شأنه أن يبعث الرعب في قلوب المشركين، الذين يقاتلون من أجل البقاء في هذه الدنيا، والتمتع بلذاتها وخيراتها حسب زعمهم. وإذا كان المسلمون ساكتين واجمين، فإن ذلك يزيد الجو رهبة، ويؤكد ويزيد الخوف والرعب في قلوب المشركين، الذين سوف تزيد حيرتهم حيث لا شيء يشير إلى طبيعة الحرب التي سوف يخوضونها، ومستواها، والاتجاه والطابع الذي سوف يعطونها إياه.

وأما قول أبي جهل عن المسلمين: ما هم إلا أكلة رأس النخ.. فهو لا يدل على عدم الرعب لدى المشركين، لأنه لم يقل ذلك إلا على سبيل التشجيع لأصحابه. ولا سيما بعد أن رأى ترددهم وجبنهم عن المواجهة. أضف إلى ذلك: أننا لا بد أن نتذكر هنا: أنه تعالى في بعض مراحل المواجهة قد قلل المشركين في أعين المسلمين، وقلل المسلمين في أعين المشركين؛ ليقضي أمراً كان مفعولاً، ولسوف يأتي الكلام في هذا في أواخر الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

ب: نظرة في عروض النبي ' على المشركين:

لقد حاول النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكلم المشركين من الزاوية التي ينظرون منها، وتتلاءم وتنسجم مع فكرهم ومنطقهم، وتتلاقى مع مصالحهم التي يدعون أنهم جاؤوا يجاربون من أجلها. وذلك حينما قال لهم: «فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً». فإن هذا ينسجم مع حبهم للرياسة

..... :

والزعامة، الذي كان من القوة والطغيان فيهم بحيث جعلهم يؤثرون تلك
الرئاسات والزعامات على كل علاقاتهم النسبية والقبلية، ويجاربون
قومهم، وحتى آباءهم وأبناءهم في سبيلها.

ثم هو يقول لهم: «وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري». وهذا
ينسجم أيضاً مع محبتهم للسلامة والحياة، ومع مصالحهم الاقتصادية.
وذلك يعرض ما يرونه في رجوعهم عن حربه من تنازل، واعتراف
بقوته وشوكته.

مع إمكان تلافيفهم ذلك بإظهار بعض الأعداء التي تحفظ لهم ماء
الوجه بحسب نظرهم.

ولكن طغيان قريش، وخطرستها يبيان عليها الانصياع للمنطق
الواعي، والرأي السليم، فتصر على الحرب والقتال، ومواجهة نتائجها
الساحقة لها ولكبرياتها الزائف، وصلفها الأحمق والمقيت.

ج: النبي ' لا يبدأ القتال:

ثم إننا نجد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبدأ القتال، ويأمر
المسلمين أن لا يبدأوا به، ويحاول أن يعطي الطرف الآخر الفرصة، ويقدم
له خيارات كلها فيها مخرج مشرف له؛ فإذا أبى ذلك، وطغى وبغى،
واعتدى على المسلمين، فإن من حقهم أن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يردوا
كيد المعتدي، من كان، ومهما كان.

وهكذا كان أمير المؤمنين «عليه السلام» مع أعدائه، سواء في حياة
النبي «صلى الله عليه وآله»، أو بعد وفاته. ثم كان هو حال الحسين عليه

السلام مع جيش يزيد «لعنه الله»، بل إن ذلك كان هو شعار شيعة أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم، اقتداء بإمامهم، الذي يقتدي بالنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

ولسوف تأتي الإشارة إلى ذلك حين الحديث حول خصائص الشيعة بعد الانتهاء من غزوة بدر مع أبحاث أخرى في فصل: «بحوث ليست غريبة عن السيرة» إن شاء الله تعالى. وقد تقدمت أيضاً إشارة إلى ذلك.

النبي ' في العريش:

ويقولون: إنهم صنعوا للنبي «صلى الله عليه وآله» عريشاً من جريد النخل فكان فيه وأبو بكر معه، وليس معه غيره.

ويدعون أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وافق على أن يضعوا نجائب وركائب مهياة عنده، فإن انتصر فهو المطلوب وإن كانت الأخرى ركب النجائب، ولحق بمن وراءهم من الصحابة في المدينة^(١).

ولكن ذلك لا يصح بأي وجه؛ فقد قال المعتزلي: «قلت: لأعجب من أمر العريش من أين كان لهم أو معهم من سعف النخل ما يبنون به عريشاً، وليس تلك الأرض - أعني أرض بدر - أرض نخل؟ والذي كان معهم من سعف النخل، يجري مجرى السلاح يسيراً جداً.

قيل: إنه كان بأيدي سبعة منهم سعاف عوض السيوف، والباقون

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٧٩، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٤٩ و ٥٥، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١١٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦١ وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

كانوا بالسيوف والسهام والقسي. هذا قول شاذ، والصحيح أنه ما خلا أحد منهم عن سلاح. اللهم إلا أن يكون معهم سعفات يسيرة، وظلل عليها بثوب أو ستر، وإلا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجهاً^(١).

ونقول:

أولاً: إن ما ذكره من وجود السلاح مع المهاجرين لا يمكن قبوله. فقد تقدمت النصوص التي تتحدث عن مستوى تسليحهم، وليس فيها ما ذكره المعتزلي. والظاهر هو أن عدداً منهم كان مسلحاً بالقسي، كما يدل عليه أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم برمي المشركين بالنبل إذا أكثبوهم. ولعل بعضهم كان معه رماح، والبعض الآخر عصي، وفريق كان لديه سيف، أو حربة، وفريق آخر كان معه سعف النخل، يدفع بها عن نفسه، ويهاجم العدو بها إن وجد فرصة لذلك.

وثانياً: إن استدراكه الأخير في غير محله؛ فإن السعفات المظلل عليها بالثوب يقال لها: خيمة، وليس عريشاً، بل لا يقال لها خيمة أيضاً، كما يرى البعض. كما أن ما ذكره من عدتهم وسيوفهم محط نظر يعرف مما تقدم.

ونضيف نحن هنا:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يفر من الزحف. وثانياً: قوله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» - وهو ما نقله مختلف المؤرخين - يكذب أن يكون «صلى الله عليه وآله» أراد الفرار على نجائبه، لو ربح المشركون هذه الحرب. إذ إن الله تعالى

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١١٨.

لا يمكن أن يعبد في الأرض حتى ولو رجع النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أهل المدينة؛ فكيف يقول ذلك ثم يقدم على تصرف كهذا؟! وثالثاً: لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» خسر حرب بدر، فلن يتركه المشركون ينجو بنفسه منهم؛ ولن يعطوه الفرصة ليجمع لهم الجموع من جديد؟! ولسوف لن يتركوا مهاجمة المدينة، والقضاء على مصدر متاعبهم فيها. وهم الآن بالقرب منها، ويعيشون نشوة النصر والظفر، ومعهم جيش على أحسن ما يرام في عدده وفي عدته.

ورابعاً: كيف يكون «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ العريش مكاناً له، وحرسه الحراس فيه، وهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» رؤي يوم بدر في أثر المشركين مصلتاً السيف، يتلو قوله تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} (١).

ويقولون أيضاً: إنه قد اشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل بنفسه قتالاً شديداً (٢).

ومما يدل على اشتراكه في الحرب أيضاً، قولهم: كان ثمة يوم بدر رجال يقاتلون، واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، وثالث أمامه، ورابع خلفه (٣). ويروون عن علي «عليه السلام» أيضاً قوله: لما كان يوم بدر اتقينا

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣ و ١٦٧، لكنه حاول توجيه ذلك بما هو خلاف صريح الكلام، فقال: إن المراد بالجهاد: الدعاء!! كل ذلك من أجل أن يصح حديث العريش!!.

(٣) مغازي الواقدي ج ١ ص ٧٨.

المشركين برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكان أشد الناس بأساً، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه^(١).

إذن، فلا بد أن نسأل: أين كان أبو بكر آتئذ؟ أمع النبي «صلى الله عليه وآله» في ساحة القتال؟ أم في العريش وحده، ليكون في موقع القائد والرئيس كما يريد الجاحظ أن يدَّعي حسبها سيأتي؟ وسوف تأتي بقية الحديث حول موضوع شجاعة أبي بكر، وحضوره في العريش في الفصل الذي يأتي بعد وقعة بدر إن شاء الله تعالى.

وخامساً: إنه إذا لم يكن معهم سوى فرس المقداد، فمن أين جاءت النجائب المعدة لفرار رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا لم تشارك في الحرب، للدفاع عن الدين وعن المسلمين؟!.

إشارة:

ولو فرض صحة الحديث المتقدم المروي عن علي «عليه السلام»، فلا بد أنه كان يتحدث عن غيره لا عن نفسه، لأن علياً لم يكن يخشى المشركين، ولم يكن ليحتاج إلى ملجأ يحميه منهم. كيف وهو الذي قتل أكثر من نصف قتلى المشركين في بدر؟ وشارك في النصف الآخر كما سنرى؟ ويكون قوله «عليه السلام» ذلك نظير أن يقول شخص مثلاً: إننا في بلادنا نأكل كذا، أو نلبس أو نصنع الشيء الفلاني. مع أن هذا القائل لم يأكل، أو لم يلبس، أو لم يصنع ذلك الشيء شخصياً أبداً.

(١) راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٧، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٧٧ عن أحمد، والبيهقي.

المبارزة:

وكان أول من برز للقتال عتبة، وشيبة، والوليد؛ فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: ارجعوا؛ فإننا لسنا إياكم نريد، إنما نريد الأكفاء من قريش، فأرجعهم النبي «صلى الله عليه وآله»، وبدأ بأهل بيته؛ لأنه كره أن تكون البداية بالأنصار^(١)، وندب عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعلياً، قائلاً: «قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم إلخ..».

فسأل عتبة عنهم، فأخبروه عن أنفسهم، وسأل شيبة عن حمزة، فقال له: أنا حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.

فقال شيبة: قد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك يا أسد الله. فقتل علي «عليه السلام» الوليد، وجاء فوجد حمزة معتقاً شيبة، بعد أن تثلمت في أيديهما السيوف، فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل رأسه في صدر شيبة؛ فاعترضه علي بالسيف فطير نصفه (أي نصف رأسه). وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وفتق عبيدة هامته، فجاء علي فأجهز علي عتبة أيضاً.

فيكون أمير المؤمنين «عليه السلام» قد شرك في قتل الثلاثة^(٢). ومما يدل على أنه شرك في قتلهم جميعاً، ما ورد في كتاب «المقنع» من أن هنداً قالت:

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٤، والبحار ج ١٩ ص ٣١٣ و ٢٥٣، وسعد السعود ص ١٠٢.

(٢) راجع: المناقب ج ٣ ص ١١٩ عن صاحب الأغاني وغيره..

ما كان لي عن عتبة من صبر أبي، وعمي، وشقيق صدري
 أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ظهري^(١)
 وقال السيد الحميري رحمه الله في مدح أمير المؤمنين «عليه السلام»:

وله بدر وقعة مشهورة كانت على أهل الشقاء دمارا
 فأذاق شيبة والوليد منية إذ صباحاه جحفاً جارا
 وأذاق عتبة مثلها أهوى لها عضباً صقيلاً مرهفاً بتارا^(٢)

ويدل على ذلك أيضاً: ما أجاب به بعض بني عامر حسان بن ثابت
 على أبيات له، يقول ذلك البعض:

ببدر خرجتم للبراز فردكم شيوخ قريش جهرة وتأخروا
 فلما أتاهم حمزة، وعبيدة وجاء علي بالمهند يخطر
 فقالوا: نعم، أكفاء صدق، فأقبلوا إليها سراعاً إذ بغوا وتجبروا
 فجال علي جولة هاشمية فدمرهم لما بغوا وتكبروا^(٣)

وقد كتب «عليه السلام» في رسالة له لمعاوية: «فأنا أبو الحسن حقاً،
 قاتل جدك عتبة، وعمك شيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين
 سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٣، والعثمانية، قسم نقوض الإسكافي
 ص ٤٣٢، والبحار ج ١٩ ص ٢٩٢، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢١.
 (٢) ديوان السيد الحميري ص ٢١٥، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٢.
 (٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٩، والبحار ج ١٩ ص ٢٩١.

القلب ألقى عدوي»^(١).

بعد قتل الفرسان الثلاثة:

وحمل حمزة وعلي «عليه السلام» عبيدة بن الحارث، وأتيا به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستعبر؛ وقال: يا رسول الله، أأنت شهيداً؟! قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي (مما يشير إلى أنه لسوف تأتي قافلة من الشهداء من أهل بيته «صلى الله عليه وآله»، وهكذا كان). فقال عبيدة: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه، قال: وأي أعمامي تعني؟

قال: أبو طالب، حيث يقول:

كذبتهم وبيت الله يبزى محمد ولما نطاعن دونه وناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل
فقال «صلى الله عليه وآله»: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله
ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة؟!
قال: يا رسول الله، أسخطت علي في هذه الحالة؟
قال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك^(٢).

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٤٣٥، ونهج البلاغة بشرح عبده ج ٣ ص ١٣، والغدير ج ١٠ ص ١٥١.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥، والبحار ج ١٩ ص ٢٥٥، وفي شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٠: أن رسول الله استغفر له ولأبي طالب يومئذٍ. والغدير ج ٧ ص ٣١٦. وفي نسب قريش لمصعب ص ٩٤: أن عبيدة قال: يا رسول الله ليت أبا طالب حياً =

وقد روى كثير من المؤرخين هذه القضية من دون ذكر القسم الأخير منها.
قالوا: ونزل في هؤلاء الستة قوله تعالى: {هَذَا نِ حَصَانِ اِخْتَصَمُوا فِي
رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ} (١).
وفي البخاري: أن أبا ذر كان يقسم: أنها نزلت فيهم (٢).
ونزل في علي، وحزرة، وعبيدة أيضاً قوله تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} (٣).
وقيل: نزلت في علي وحده (٤).
وثمة عدة آيات أخرى نزلت في بدر في الثناء على أمير المؤمنين «عليه

= حتى يرى مصداق قوله الخ..>

وربما يقال: إن هذا هو الأنسب بأدب عبيدة وإخلاصه، ولكن لا؛ فإن قوله الأنف لا
يضر في أدبه ولا في إخلاصه، حيث يرى نفسه قد ضحى بنفسه في سبيل الدين،
فلا مانع من أن يقول ذلك.

(١) الآية ١٩ من سورة الحج.

(٢) البخاري ط الميمنية ج ٣ ص ٤، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٨ عن مسلم،
من دون قسم أبي ذر، ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦، وصححه هو والذهبي في
تلخيصه، والغدير ج ٧ ص ٢٠٢ عن: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢، وتفسير ابن
جزري ج ٣ ص ٣٨، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٦٩٨، وتفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٥ -
٢٦، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠، وطبقات ابن سعد ص ٥١٨، وبهذا قال ابن
عباس، وابن خثيم، وقيس بن عباد، والثوري، والأعمش، وسعيد بن جبير،
وعطاء.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٨٠.

(٤) مناقب الخوارزمي ص ١٨٨، والكفاية للخطيب ص ١٢٢.

.....
السلام»^(١) فراجع.

وبعد ما تقدم، فإننا نشير إلى الأمور التالية:

ألف: غضب النبي ' لأبي طالب:

إنه إذا كان الرسول «صلى الله عليه وآله» يغضب لذكر عمه، ولو بهذا النحو المهذب، والمحدود، فكيف إذاً يكون موقفه ممن يرمي أبا طالب بالشرك والكفر، ويعتبره مستحقاً للعذاب الأليم في نار الله المؤصدة؟! فهل تراه سوف يكون مسروراً ومرتاحاً لهذا الكلام، الذي لا سبب له إلا السياسة، وما أدراك ما السياسة؟!!

ب: بدء النبي ' بأهل بيته ^:

وقد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أرجع الثلاثة الذين هم من الأنصار، وأمر حمزة وعلياً وعبيدة بن الحارث بالخروج إلى ساحة القتال أولاً^(٢) وهم من أهل بيته، وقد قال علي «عليه السلام» عن النبي

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٨ وغيره.

(٢) وفي أمالي المرتضى ج ١ ص ٢٧٥، وإعلام الورى ص ٣٠٨، والبحار ج ٤٨ ص ١٤٤، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣١٦ أن الإمام الكاظم عليه السلام قال لنفيع الأنصاري:

<..وإن كنت تريد المفاخرة، فوالله ما رضوا مشركو قومي مسلمي قومك أكفاءهم

حتى قالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش.>

وأقول: لا منافاة بين الأمرين، فلعل المشركين لم يرضوا به، كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرغب في البداية بهم.

«صلى الله عليه وآله»:

«كان إذا حضر البأس، ودعيت نزال، قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه، فقتل عبدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وجعفر يوم مؤتة الخ..»^(١).

ونقول:

إنه حين يبدأ الرسول «صلى الله عليه وآله» الحرب بأهل بيته فإنه يكون قد أثبت بالفعل لا بالقول فقط، للأنصار وللمهاجرين: أنه ليس فقط لا يريد أن يجعلهم وسيلة للوصول إلى أهدافه، ويدفع بهم الخطر عن نفسه وأهل بيته، وإنما ثمة هدف أسمى، لا بد أن يساهم الجميع في العمل من أجله وفي سبيله. وهو «صلى الله عليه وآله» شريك لهم في كل شيء، في السراء والضراء، والشدة والرخاء. وهو يضحى ويقدم قبل أن يطلب ذلك من غيره، بل هو يحاول أن يدفع عن غيره، ولو بأهل بيته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وذلك هو ما يجب أن يكون المثل الأعلى لكل صاحب هدف، ولكل سياسي وقائد. فإن عليه أن يقدم هو أولاً التضحيات فإذا احتاج إلى معونة غيره، فإن طلبه منهم تكون له مبرراته، ويراه كل أحد: أنه صادق ومحق في طلبه ذلك. وليس له أبداً أن يجلس في برجه العاجي، ثم يصدر أوامره للآخرين، دون أن يرى نفسه مسؤولاً عن التحرك في اتجاه الهدف إلا في

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٨١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٧، وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٩٠، ونهج البلاغة باب الكتب الكتاب التاسع، والعقد الفريد ج ٤ ص ٣٣٦، ومناقب الخوارزمي ص ١٧٦، ونهج البلاغة ج ٣ ص ١٠ و ١١.

حدود الكلام وإصدار الأوامر، فإن الكلام لن يكون كافياً في تحقيق الأثر المطلوب في مجال التحرك نحو الهدف، مهما كان ذلك الهدف مقدساً، وسامياً.

ج: سخرية شيبية:

لقد رأينا كيف أن شيبية يسخر من كون حمزة أسد الله وأسد رسوله، ويعتز بكونه أسد الحلفاء؛ مع أن مقتضى الإنصاف والواقع هو عكس ذلك تماماً، فقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأهداف الوضيعة، القائمة على أساس المنطق القبلي، والمنافع الخاصة، التي توخاها الحلفاء من حلفهم ثم هم يتوخونها من حرب بدر وغيرها..

وكلنا يعلم، وهم يعلمون: أن هدف الله ورسوله، وأسد الله من التضحيات على وجه الأرض ليس إلا إسعاد البشرية، ونجاة الإنسانية إن دنيا وإن آخرة.

د: الحق الذي جعله الله للمسلمين:

ثم ما هو هذا الحق الذي أشار إليه النبي «صلى الله عليه وآله» في قوله لعلي «عليه السلام»، وحمزة وعبيدة: «فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم»؟ أليس هو حق حرية الرأي والعقيدة، وحق الدفاع عن دين الله، وعن النفس، ورد البغي والعدوان؟ في مقابل القرشيين الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوا أموالهم، بل وقتلوا منهم من قتلوا، وبغوا عليهم أقبح البغي؟!.

وخلاصة الأمر: أنهم يريدون أن يعيشوا أحراراً، وأن يدافعوا عن دين

الله في مقابل من يريد الاستمرار في الانحراف والتعدي. وللمظلوم حق في أن يطالب بإنصافه من ظالمه، والباغي عليه، ولا سيما بعد أن عرض النبي «صلى الله عليه وآله» على قريش تلك الخيارات المتقدم ذكرها، فلم ترعو عن غيرها. بل أرادت إطفاء نور الله، وأصرت على حرب المسلمين وإذلالهم، قال تعالى:

{أَدِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} (١).

المعركة في ضرامها:

ولما رأى أبو جهل مقتل عتبة وشيبة والوليد، حاول إنقاذ الموقف؛ فقال: لا تعجلوا، ولا تبطروا، كما بطر ابنا ربيعة. عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش، فخذوهم أخذاً، حتى ندخلهم مكة؛ فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها.

ويذكر ابن عباس، في قوله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} (٢): أن النبي «صلى الله عليه وآله» - بأمر من جبرائيل - قال لعلي «عليه السلام»: ناولني كفاً من حصباء، فناوله كفاً من حصباء (وفي رواية: عليه تراب) فرمى به في وجوه القوم؛ فما بقي أحد إلا امتلأت عينه من الحصى. وفي رواية: وأفواهم، ومناخرهم، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم،

(١) الآيتان ٣٩ و ٤٠ من سورة الحج.

(٢) الآية ١٧ من سورة الأنفال.

ويأسرونهم^(١). فابن عباس إنما يطبق الآية على هذا العمل الإعجازي.

الملائكة في بدر:

وقد أمد الله المسلمين بالملائكة لتثبيت قلوبهم، وفي كونهم حاربوا خلاف. وظاهر القرآن ربما لا يساعد عليه حيث يقول تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} ^(٢).

ولكن ثمة آية أخرى تشير إلى اشتراكهم بالقتال، وهي قوله تعالى: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} ^(٣).

هذا إذا كان قوله تعالى: {فَأَضْرِبُوا ..} خطاباً للملائكة، كما لعله الظاهر، وإن كان خطاباً للمقاتلين من الناس، فلا دلالة في الآية على ذلك أيضاً.

ومهما يكن من أمر، فإن الملائكة كانوا يتشبهون بأمر المؤمنين علي «عليه السلام»^(٤).

(١) البحار ج ١٩ ص ٢٢٩ عن تفسير الثعلبي، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١

ص ١٨٩، وليراجع الحلبية ج ٢ ص ١٦٧.

(٢) الآية ١٥ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ١٢ من سورة الأنفال.

(٤) البحار ج ١٩ ص ٢٨٥ عن المناقب.

ويروي الآخرون: أنهم كانوا على هيئة الزبير الذي كان عليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة عليهم عمام صفراء كما في المستدرک للحاكم ج ٣ ص ٣٦١، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ عنه، وعن كنز العمال ص ٢٦٨ عن الطبراني وابن =

ولربما كانوا هم الوسيلة لتكثير المسلمين في أعين المشركين أثناء القتال،
كما قال تعالى: {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ}.

عائشة في حرب الجمل:

وبالمناسبة، فإن عائشة قالت في حرب الجمل: ناولوني كفاً من تراب،
فناولوها؛ فحثت في وجوه أصحاب أمير المؤمنين، وقالت: شأهت الوجوه -
كما فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأهل بدر - فقال أمير المؤمنين: «وما
رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى، وليعودن وبالك عليك إن شاء الله»^(١).
كما أن عائشة قد نظرت إلى علي «عليه السلام» وهو يجول بين
الصفوف في حرب الجمل، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله
«صلى الله عليه وآله» يوم بدر، أما والله ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس^(٢).
وهكذا كان.. صدق أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه».

الخزي والهزيمة:

وهزم الله المشركين شر هزيمة؛ وقتل أبو جهل. وكان رسول الله «صلى

= عساكر، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٤، ولكن يعكر على هذا ما في دلائل النبوة
لأبي نعيم ص ١٧٠، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ عنه من أن الملائكة كان عليهم
يوم بدر عمائم بيض.

- (١) كتاب الجمل للشيخ المفيد ص ١٨٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٥٧،
وراجع الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٣٢٥.
- (٢) الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٢١٤.

.....
الله عليه وآله» قد أوعده أن يقتله الله بأضعف أصحابه، بل أخبر «صلى الله عليه وآله» بكل ما جرى في بدر قبل وقوعه^(١). فقتله رجل أنصاري، واحتز رأسه ابن مسعود.

وقيل: إنه وجدته بآخر رمق، فأجهز عليه، ولكن الأقرب هو الأول، لأن سلبه أخذه غير ابن مسعود.

وكان أول من انهزم في بدر إبليس لعنه الله، فإنه كان قد تبدى للمشركين - كما جاء في الرواية - بصورة سراقه بن مالك المدلجي، من أشرف كنانة، حيث إن قريشاً كانت قد خافت من بني بكر بن عبد مناف، لدم بينهم؛ فتبدى لهم إبليس بصورة سراقه، وأعطاهم جواره؛ فلما رأى ما جرى للمشركين، ورأى الملائكة مع المسلمين نكص على عقبيه، فانهزم المشركون.

وقال المكيون: هزم سراقه؛ فقال سراقه: ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم؛ فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

وروي: أن أبا سفيان لما أبلغ العير إلى مكة رجع، ولحق بجيش قريش، فمضى معهم إلى بدر، فجرح يومئذٍ جراحات، وأفلت هارباً، ولحق بمكة راجلاً^(٢).

(١) البحار ج ١٩ ص ٢٦٧ عن الاحتجاج، والتفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام > ص ١١٨ و ١١٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥.

..... :

الفصل الثاني:

نتائج الحرب

نتائج الحرب:

وقتل في بدر سبعون، وأسر مثلهم.
وقيل: قتل خمسة وأربعون، وأسر مثلهم.
ولعل منشأ هذا القول الأخير هو تسمية البعض لهذا المقدار من القتلى، أو أكثر؛ فتخيلوا: أن ذلك هو العدد النهائي، ولكن ذلك لا يدل إلا على أن من عرفه ذلك الناقل هو هؤلاء، لا على أن هؤلاء هم كل من قتل من المشركين.
واستشهد من المسلمين، قيل تسعة، وقيل أحد عشر، وقيل: أربعة عشر، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.
ولم يؤسر من المسلمين أحد، وغنموا من المشركين مئة وخمسين بغيراً، وعشرة أفراس، وعند ابن الأثير ثلاثين فرساً، ومتاعاً، وسلاحاً، وأنطاعاً، وثياباً، وأدماً كثيراً^(١).

بطولات علي ×:

وأكثر قتلى المشركين قتلوا على أيدي المهاجرين، وبالتحديد على يد

(١) مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٣، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٨،
والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٣.

أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، وبالذات على يد علي «عليه السلام». وقد سماه الكفار يوم بدر بـ «الموت الأحمر» لعظم بلائه ونكايته^(١) وكيف لا ونحن نرى الشعبي يقول: «كان علي أشجع الناس، تفر له بذلك العرب»^(٢). وقد تقدم في الفصل السابق تحت عنوان: المبارزة، قول بعض بني عامر في جواب حسان، وقول هند في رثاء قتلاها.

وقال أسيد بن أبي إياس يجرض مشركي قريش على علي «عليه السلام»:

في كل مجمع غاية أخزاكم	جدع أبر على المذاكي القرح
الله دركم ألمّا تنكروا	قد ينكر الحر الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم	ذبحاً وقتلاً قعصة لم يذبح
أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه	فعل الذليل وبيعة لم ترح
أين الكهول وأين كل دعامة	في العضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قعصاً وضرباً يفتري	بالسيف يعمل حده لم يصفح ^(٣)

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٦٨.

(٢) نور القبس ص ٢٤٩.

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ٢٠ و ٢١، وترجمة الإمام علي <عليه السلام> من تاريخ دمشق، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٥، وإرشاد المقيّد ص ٤٧، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢١، والبحار ج ١٩ ص ٢٨٢، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٨٨، وتيسير المطالب ص ٥٠. والجذع: الأسد. والمذاكي: الخيل بعد مضي خمس سنين من عمرها، وضربه فأقعصه: أي قتله مكانه. ولم يصفح: أي لم يضرب بصفح السيف.

وقال عبد الله بن رواحة:

ليهن علياً يوم بدر حضوره ومشهده بالخير ضرباً مرعباً
وكائن له من مشهد غير خامل يظل له رأس الكمي مجدلاً^(١)
إلى آخر الأبيات.

ولماذا لا يسمى «عليه السلام» بالموت الأحمر؟ وهو الذي تقول في حقه
بعض الروايات: إن جبرائيل قد نادى بين السماء والأرض في بدر:

لافتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار
ويقال: إن هذه المناداة كانت في أحد. وستأتي مع بعض الكلام حولها
إن شاء الله.

وقد قتل «عليه السلام» من المشركين في بدر نصف السبعين، وشارك
في قتل النصف الآخر^(٢).

وقد عد الشيخ المفيد ستة وثلاثين بأسمائهم ممن قتلهم علي «عليه السلام»^(٣).
وقال ابن إسحاق: أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي^(٤).
وقال الطبرسي، والقمي: إنه قتل منهم سبعة وعشرين^(٥).

-
- (١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٠، والبحار ج ١٩ ص ٢٩٢، والمرعبل: المقطع.
 - (٢) راجع: نهج الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٣. ولم يعترض عليه ابن روزبهان بشيء.
 - (٣) الإرشاد ص ٤٣ و ٤٤، والبحار ج ١٩ ص ٢٧٧ و ٣١٦ عنه، وإعلام الوری ص ٧٧.
 - (٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٠، والبحار ج ١٩ ص ٢٩١.
 - (٥) راجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٧١، والبحار ج ١٩ ص ٢٤٠ عن مجمع البيان.

وقال أسامة بن منقذ: قتل أربعة وعشرين سوى من شارك فيهم^(١).
وقال الشبلنجي: قال بعضهم: «إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة
من قتل يوم بدر سبعون رجلاً، قتل علي منهم أحداً وعشرين نسمة باتفاق
الناقلين، وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم»^(٢).
وعد الواقدي اثنين وعشرين؛ ثمانية عشر منهم قتلهم علي، وأربعة
مختلف فيهم^(٣).

وعد المعتزلي، وابن هشام (مع التلفيق بينهما) تسعة وعشرين قتلهم
علي، أو شرك في قتلهم من أصل اثنين وخمسين^(٤).
وهذا الاختلاف ليس ذا أهمية، فإن من يذكر هؤلاء أسماءهم إنما هم
في حدود الخمسين، أو أقل، أو أكثر بقليل^(٥).
ف نجد علياً قد قتل من هؤلاء نصفهم أو أزيد. ولو أنهم اهتموا إلى
أسماء الباقيين، لارتقى عدد من قتلهم علي «عليه السلام» إلى نصف
السبعين، أو زاد، عدا من شرك في قتلهم.
نعم هذه هي الحقيقة، ولكن المؤرخين، الذين جاؤوا بعد هؤلاء قد
ذكروا من عددهم هؤلاء في ضمن الخمسين، واعتبروهم جميع من قتل، مع

(١) لباب الآداب ص ١٧٣.

(٢) نور الأبصار ص ٨٦.

(٣) مغازي الواقدي ج ١ ص ١٤٧ - ١٥٢.

(٤) راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٧٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤
ص ٢٠٨ - ٢١٢.

(٥) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٢، وابن هشام والواقدي وغيرهم.

أنهم بعض من قتل.

ويلاحظ: أن البعض يعرف ممن قتلهم علي «عليه السلام» أشخاصاً، لا يعرفهم البعض الآخر، وبالعكس. وذلك أيضاً يؤيد صحة ما ذكرناه وذكره الشيخ المفيد وغيره ويؤكد.

وعلى كل حال، فقد كان ممن قتلهم أمير المؤمنين «عليه السلام» في بدر: طعيمة بن عدي، وأبو حذيفة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، الذي أحجم الناس عنه، ونوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش، والعاص بن هشام بن المغيرة^(١).

رواية مكدوبة:

وزعم البعض أن عمر بن الخطاب هو الذي قتل العاص بن هشام بن المغيرة^(٢).

ويروون: أن عمر قد قال لسعيد بن العاص: إنه ما قتل أباه، وإنما قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة^(٣).

وهو كلام مشكوك فيه: فإن العاص هذا ليس خالاً لعمر؛ لأن حنمة

(١) المنمق ص ٤٥٦، والأغاني ط ساسي ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥، وراجع نسب قريش لمصعب ص ٣٠١.

(٣) مغازي الواقدي ج ١ ص ٩٢، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٩، ونسب قريش لمصعب ص ١٧٦، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨١، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣، والإصابة، والإستيعاب.

لم تكن بنت هشام بن المغيرة، وإنما هي بنت هاشم بن المغيرة، وقد غلط العلماء من قال: إنها بنت هشام^(١).

وقال ابن حزم: إن هاشماً لم يعقب سوى حتمة^(٢).

وقال ابن قتيبة: «وأم عمر بن الخطاب حتمة بنت هاشم بن المغيرة، ابنة عم أبيه»^(٣).

بل لقد قيل: إن حتمة هي بنت سعيد بن المغيرة^(٤).

واحتمال البعض أن يكون أراد: أنه قتل هذا الذي من قبيلة أمه، ويعد الناس كل أفراد قبيلة الأم أخوالاً، كما قال الشاعر:

ولو أنني بليت بهاشمي خؤولته بني عبد المدان

هذا الاحتمال خلاف الظاهر المتبادر من كلمة «خالي» فإن إطلاق كلمة

أحوال على القبيلة لا يلزم منه صحة أن يقول الشخص: فلان خالي، وهو

ليس بخاله حقيقة، فيصح قولهم: بنو مخزوم أخواننا، ولا يصح أن يقال:

فلان المخزومي خالي، لأن هذا الثاني ينصرف إلى الخؤولة الحقيقية.

بل لقد أنكر البعض أن تكون حتمة مخزومية أصلاً، وقالوا: إن هاشماً

وجدتها مرمية في الطريق، فأخذها، ورباها، ثم زوجها الخطاب، وإنما

نسبت إلى هاشم بالتبني والتربية، كما هي عادة العرب^(٥).

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩.

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤.

(٣) الشعر والشعراء ص ٣٤٨.

(٤) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٠.

(٥) دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٦.

ما هو الصحيح إذا؟!

ولعل الأقرب إلى الاعتبار، والمنسجم مع الوقائع، والأجواء السياسية، والأحداث، هو الرواية التي ذكرها المعتزلي، والشيخ المفيد، وملخصها:
أن عثمان بن عفان، وسعيد بن العاص، حضرا عند عمر أيام خلافته؛ فصار عثمان إلى مجلسه الذي يشتهي، ومال سعيد إلى ناحية، فنظر إليه عمر وقال: ما لي أراك معرضاً؟

كأني قتلت أباك؟

إني لم أقتله، ولكن قتله أبو حسن.

وفي رواية المفيد، أنه قال: فلما رأيت ذلك (يعني هياجه للحرب) هبته، وزغت عنه، فقال: إلى أين يا ابن الخطاب؟ وصمد له علي فتناوله، فوالله ما فارقت مكاني حتى قتله.

وكان علي «عليه السلام» حاضراً، فقال: اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدم؛ فما لك تهيج الناس علي؟! فكف عمر.

فقال سعيد: أما إنه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب^(١).

فهذه الرواية التي تتضمن نجات عمر على يد علي «عليه السلام»، ليس فيها: أنه قتل خاله العاص بن هشام، والذي لم يكن خالاً له - كما قلنا - أو على الأقل يشك كثيراً في هذه الخثولة.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٤ و ١٤٥، والإرشاد ص ٤٦.

.....
وفي هذه الرواية دلالات أخرى لا تخفى، ولا سيما في كلام علي «عليه السلام» وسعيد، فليتأمل المتأمل في ذلك.

إشارة:

ويلاحظ: أن حرب بدر وأحد وغيرهما قد أثرت في قلوب القرشيين أثراً بعيداً حتى «قيل: كانت قريش وإذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصلت خوفاً منه. ونظر إليه رجل، وقد شق العسكر، فقال: قد علمت أن ملك الموت في الجانب الذي فيه علي»^(١).

قتل المشركين في القلب:

وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالقلب أن تعور، ثم أمر بالقتل، فطرحوا فيها. ثم نادى أهل القلب رجلاً رجلاً: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؛ فإني قد وجدت ما وعد ربي حقاً، بئس القوم كنتم لنيكم، كذبتموني، وصدقتني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس. فقال عمر: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد ماتوا؟ فقال «صلى الله عليه وآله»: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢).

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ج ٢ ص ١٣٨.
(٢) راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤ و ٢٣٥، وصحيح البخاري هامش الفتح نفس الموضوع، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣ و ٣٣٤.

وقد أنكرت عائشة قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لقد سمعوا ما قلت.

وقالت: إنما قال: لقد علموا، واحتجت لذلك بقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} الآية.

وبقوله تعالى: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ} (١).

وفي البخاري عن قتادة: إن الله رد إليهم أرواحهم فسمعوا؛ وبهذا أجاب البيهقي (٢).

ونقول: إنه لو ثبت ما ذكره قتادة وصح؛ فلا مانع من أن يكون معجزة لسيد المرسلين محمد «صلى الله عليه وآله الطاهرين».

وأجاب الحلبي: بأنه لا مانع من إبقاء السمع على حقيقته، لأنه إذا قوي تعلق أرواحهم بأجسادهم أمكنهم أن يسمعوا بحاسة سمعهم، لبقاء محل تلك الحاسة.

والسمع المنفي في الآيتين هو السماع النافع، وقد أشار السيوطي إلى ذلك فقال: سماع موتى كلام الله قاطبة جاءت به عندنا الآثار في الكتب وآية النفي معناها سماع هدى لا يقبلون ولا يصغون للأدب لأنه تعالى شبه الكفار الأحياء بالأموات في القبور في عدم انتفاعهم بالإسلام النافع (٣).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢، وليراجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٣١ و ٣٨، وغير ذلك.

(٢) راجع: البخاري باب غزوة بدر، وليراجع: كلام المعتزلي في شرح النهج ج ١٤ ص ٢٧٩.

(٣) راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢.

مهجع سيد الشهداء:

ويقولون: إن مهجعاً (مولى لعمر) هو أول من خرج بعد أن اصطفت الصفوف، فقتل، فنقل بعض المشايخ: أنه أول من يدعى من شهداء هذه الأمة، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال يومئذٍ: مهجع سيد الشهداء^(١). ولكن ذلك مشكوك فيه، إذ:

١ - لماذا كان مهجع أول من يدعى من شهداء هذه الأمة، ولماذا لا يكون ياسر والد عمار أو أمه سمية أول من يدعى من شهداء هذه الأمة؟! وهما أول من استشهد، وكان ذلك قبل بدر بسنوات عديدة.

ولماذا لا يكون عبيدة بن الحارث، الذي قتل في نفس واقعة بدر قبل مهجع، هو أول من يدعى منهم؟!.

٢ - قولهم: إنه أول من خرج بعد أن اصطفت الصفوف، لا يمكن قبوله. فإن أول من خرج من المسلمين هم: علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث بن المطلب.

٣ - وكيف يمكن الجمع بين كون مهجع هو سيد الشهداء، وبين روايتهم: أن حمزة هو سيد الشهداء^(٢) كما سيأتي في غزوة أحد إن شاء الله؟. ويقولون أيضاً: إن علياً «عليه السلام» قد ذكر ذلك في شعره، فقال:

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١، وراجع: المصنف ج ٥ ص ٣٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٧٣، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٩٥ و ١٩٩، وتلخيص الذهبي (مطبوع بهامش المستدرک)، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٦٨، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥.

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي^(١)
وقال «عليه السلام»: «ومنا سيد الشهداء حمزة»^(٢).
٤ - وكيف يجتمع قولهم: بأن أول قتيل من المسلمين هو مهجع، مع
قولهم: إن أول قتيل من المسلمين هو عمير بن الحمام؟!^(٣).
وحاول الحلبي الجمع: بأن عميراً أول قتيل من الأنصار، وذاك أول
قتيل من المهاجرين.

ثم أجاب عن هذا: بأن أول قتيل من الأنصار هو حارثة بن قيس.
ثم رده بأن حارثة كان أول قتيل بسهم لم يدر راميه^(٤).
ولكن من الواضح: أن ذلك ليس إلا تلاعباً بالألفاظ، فإنه إذا قيل:
فلان أول قتيل من المسلمين، أو في بدر مثلاً، لا ينظر في ذلك إلى آلة قتله،
أو إلى بلده، أو نسبه. وإلا لقال: أول قتيل من المهاجرين مثلاً، أو من
الأنصار، أو بسهم، أو نحو ذلك، فإن هذا هو الأنسب والأوفق بمراده.
ولو صح كلام الحلبي؛ فيرد سؤال، وهو: لماذا يطلق على مهجع دون غيره
- مثل عمير بن الحمام أو عبيدة، أو حارثة بن قيس - لقب سيد الشهداء؟!
وما هو وجه اختصاصه بهذا اللقب دون هؤلاء؟!

-
- (١) روضة الواعظين ص ٨٧، والصراف المستقيم للبيضاوي ج ١ ص ٢٧٧، وكنز
الفوائد ج ١ ص ٢٦٦، والغدير ج ٦ ص ٢٥ - ٣٣ عن مصادر كثيرة جداً.
(٢) الإستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٢٧٣، والإصابة ج ١ ص ٣٥٤، وراجع:
البحار ج ٤٤ ص ١٤٠، والمسترشد ص ٥٧.
(٣) الإصابة ج ٣ ص ٣١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١.
(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١.

.....
فهل لأنه كان قد عانى في سبيل الله ما لم يعان غيره؟!
أم لأنه كان يمتاز عنهم بفضائل أخلاقية ونفسانية؟!
أم لأنه كان مولى لعمر بن الخطاب؟!
وقد كان لا بد من أن تكون له فضيلة لم ينلها إلا سيد الشهداء حمزة بن
عبد المطلب والحسين بن علي «عليه السلام»؟!
لا ندري ولعل الفطن الذكي يدري!!

ذو الشمالين:

واستشهد في بدر ذو الشمالين (سمي بذلك لأنه كان يعمل بيديه
جميعاً) واسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان^(١). وتذكر
هنا قضية سهو النبي «صلى الله عليه وآله»، واعتراض ذي الشمالين عليه.
وحيث إن الكلام فيها يطول، فنحن نرجئ الكلام عنها إلى فصل:
«بحوث ليست غريبة عن السيرة» فإلى هناك.
وقبل المضي في الحديث عن سائر ما يرتبط بواقعة بدر، نشير إلى
الملاحظات التالية:

ألف: إهتمام علي × برسول الله ' في بدر:

عن علي «عليه السلام» قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٧، والطبري في ذيل تاريخه ص ١٥٧،
والإستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٤٩١، ونسب قريش لمصعب الزبيرى
ص ٣٩٤، والإصابة ج ١ ص ٤٨٦، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٩.

جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما فعل.

قال: فجئت، فإذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم، يا حي يا قيوم، لا يزيد عليها. فرجعت إلى القتال. ثم جئت، وهو ساجد يقول ذلك أيضاً. فذهبت إلى القتال. ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، حتى فتح الله عليه^(١). ولا يعني ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يشارك في القتال في بدر أصلاً، فلعله شارك فيه في مراحل الأولى، حيث لا بد من تشجيع المسلمين، وتقوية قلوبهم، حتى إذا تحقق له «صلى الله عليه وآله» هذا الهدف، انصرف إلى الابتغال والدعاء. ويلاحظ هنا:

١ - إن علياً «عليه السلام» يتعاهد النبي «صلى الله عليه وآله» باستمرار، ولا يغفل عنه لحظة واحدة، حتى في هذا الموقف، الذي تبلغ فيه القلوب الحناجر، وتزيغ الأبصار.

كما ويلاحظ: أنه «عليه السلام» كان في سائر المواطن والأحوال يتعاهد النبي «صلى الله عليه وآله»، ويأخذ على عاتقه عهدة حفظه وحراسته، فقد قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة، قال: سألت جعفر بن عبد الله بن الحسين عن أسطوان علي بن أبي طالب فقال: إن هذه المحرس كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر، مما يلي باب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحرس النبي «صلى الله عليه وآله»^(٢).

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ عن البيهقي وعن النسائي في اليوم واللييلة، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٠٢ عنه وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٦٧ عن الحاكم، والبخاري، وأبي يعلى والقرطبي.

(٢) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨.

.....
وذكر السهمودي هذه الأسطوان في كتابه باسم «أسطوان المحرس»^(١).
٢ - يلاحظ: مدى اهتمام الرسول «صلى الله عليه وآله» في هذه اللحظات الحرجة بالدعاء، والاتصال بالمبدأ الأعلى، مصدر القوة والفتح والظفر، يتصل به ليهب المسلمين اليقين، والصبر، ويشملهم بعناياته وألطفه، فبدون ذلك لا يمكن النصر، ولا قيمة للظفر.

٣ - كما أننا نجد أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي كان أكثر الناس عناء في هذه الحرب، قد قتل نصف السبعين، وشارك في النصف الآخر، نجده يقول: «حتى فتح الله عليه» فهو ينسب الفتح والظفر إلى النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، ولا يرى لنفسه، ولا لغيره أثراً يستحق الذكر في هذا المجال.

ب: الحرب مصيرية:

وواضح: أن كلاً من الفريقين كان يعتبر أن هذه الحرب مصيرية بالنسبة إليه، فالمسلمون وعلى رأسهم الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» يعتبرون: أنهم لو غلبوا فلن يعبد الله في الأرض بعد. والمشركون أيضاً يريدون أن يأخذوا المهاجرين أخذاً، ليعرفوهم ضلالتهم؛ وأن يجزروا أهل يثرب جزراً، حتى لا يتجرؤوا على ممالأة عدو لهم أبداً، وكى لا يستطيع أحد أن يعترض طريق تجارتهم، وتهابهم العرب.
نعم هذا هو المهم لدى جماعة متهاككة على المال والجاه والدنيا. ولأجل

(١) المصدر السابق.

..... :

ذلك بالذات آذوا النبي «صلى الله عليه وآله» ومن معه، وأخرجوهم،
وحاربوهم، وهم أبناؤهم، وإخوانهم وأباؤهم، وذوو قرابتهم.
فالدنيا بالنسبة إليهم هي كل شيء، وليس قبلها ولا بعدها شيء. وهذا
ما دفعهم لارتكاب تلك الجرائم والموبقات تجاه ذويهم: فمارسوا ضدهم
مختلف أنواع التعذيب، والسخرية، ثم أخذ الأموال، والإخراج من الديار.
ثم الحرب العوان لجز أصلهم واستئصال شأفتهم.

ج: الهزيمة، وعدم تكافؤ القوى، والإمداد بالملائكة:

قد يحدث أن يغلب جيش قليل العدد نسبياً جيشاً أكثر عدداً، وذلك
حينما تكون ثمة امتيازات في هذه القلة تفقدها تلك الكثرة، كالتسلح، أو
الانضباطية، أو البراعة، أو كونها تملك خطة حربية معينة.
ولكن الأمر كان بين المسلمين والمشركين بالعكس تماماً؛ فالتجربة
الحربية، والكثرة، والسلاح، والعدة وغير ذلك قد كان في جانب المشركين،
مع عدم وجود خطة حربية معينة، بحدودها وتفاصيلها لدى المسلمين.
وإنما هم يواجهون حرباً فرضها عليهم عدوهم في الزمان والمكان الذي
أراد. مع وجود امتيازات لصالح المشركين حتى في هذه الناحية أيضاً.
أما أسلوب الحرب، فلا جديد فيه، وإنما على كل من الفريقين أن
يعتمد الأساليب المعروفة. وفي قريش بعض مشاهير فرسان العرب، الذين
امتازوا في الحروب التقليدية بخبرتهم، وبعد صيتهم.
ولكن النتائج التي تمخضت عنها هذه الحرب، لا تتلاءم مع تلك العدة
وذلك العدد، ولا مع الامتيازات التي كان يتمتع بها أحد الفريقين دون الآخر.

فقد كانت خسائر المشركين أضعاف خسائر المسلمين. إذ ما هو وجه النسبة بين ثمانية إلى أربعة عشر شهيداً من المسلمين، وبين سبعين قتيلًا وسبعين أسيراً من المشركين؟! مع أن كل الامتيازات كانت في جانب هؤلاء على أولئك.

نعم، ما هو السر، وما هو السبب ياترى؟!..

والجواب: أن الله سبحانه قد قال في كتابه المجيد: {إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيْتُمْ فِي أُعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أُعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} (١).

وقال تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَّا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَّكُمْ} (٢).

وقال: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} (٣).

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (٤).

(١) الآيتان ٤٣ و ٤٤ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٤٨ من سورة الأنفال.

(٣) الآية ٥ من سورة الأنفال.

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٣، والبخاري ج ١ ص ٤٦ و ٥٧، وج ٢ ص ١٠٧، وج ٤ ص ١٣٥ و ١٦٣، و سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٢٤، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٦٣ - ٦٥، والجامع الصحيح ج ٤ ص ١٢٣، وكشف الأستار ج ١ ص ٤٤، =

ونستنتج من ذلك: أنه قد كان ثمة ألطاف وعنايات، بل وخطبة إلهية لإلقاء الحرب بين المسلمين، والمشركين، لتذهب هيبة قريش من نفوس الكثيرين ممن أسلموا، وإذا حارب المسلمون قريشاً، فلسوف يكونون على حرب غيرها أجراً وأقدر.

وهذه الخطة تتلخص في:

١ - تقوية قلوب المسلمين بما في ذلك أسلوب التقليل والتكثير المشار إليه في الآيات الشريفة.

٢ - ما أمدهم الله به من الملائكة.

٣ - إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم.

بيان ذلك: أن هدف كل من المتحاربين هو الذي يعين نتيجة الحرب، ومصيرها، على صعيد الخسائر المادية والبشرية، وحتى على صعيد التأثير في حركة التاريخ، من جميع الجهات، وعلى مختلف المستويات.

وقد بينا مراراً وتكراراً: أن هدف المشركين من الحرب هو الحصول على الحياة التي يريدون، وعلى الامتيازات التي يتوقعون أن يجدوا فيها ما يحقق آمالهم العراض بالرفاهية والزعامة والسيادة.

وإذا كانوا يجاربون من أجل الحياة الدنيا؛ فكيف يمكن أن يضحوا بحياتهم؟ إن ذلك ليس إلا نقضاً للغرض، وتضييعاً للهدف.

= وج ٣ ص ١٤٧، و سنن النسائي ج ١ ص ٢٠٩ و ٢١٠، وج ٦ ص ٣، ومسنند أحمد ج ١ ص ٩٨ و ٣٠١، وج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٦٤ و ٢٦٨ و ٣١٤ و ٣٦٦ و ٤١٢ و ٤٥٥ و ٥٠١ و ٣ ص ٣٠٤، وج ٤ ص ٤١٦، وج ٥ ص ١٤٥ و ١٤٨ و ١٦٢ و ٢٤٨ و ٢٥٦، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٥، وأمالى الطوسي ص ٥٦.

ويدلنا على هذا المعنى، أنهم يذكرون: أنه لما رأى طليحة بن خويلد
كثرة انهزام أصحابه قال: «ويحكم ما يهزمكم؟! قال رجل منهم: وأنا
أحدثك ما يهزمنا: إنه ليس منا رجل إلا وهو يجب أن يموت صاحبه قبله،
وإننا لنأتي قوماً كلهم يجب أن يموت قبل صاحبه»^(١).
ولما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال: «لو كان ابن صفية يعلم: أنه
على حق ما ولى الخ.»^(٢).

ويقول حميد الطوسي أحد أكابر قواد المأمون: «إننا قد آيسنا من الآخرة
وإنما هي الدنيا؛ فلا نحتمل والله لأحد تنغيصها علينا»^(٣).
أما هدف المسلمين أو بالأحرى بعضهم، وهم الذين جزروا قريشاً
جزراً، كعلي وحمزة وأمثالهما ممن كان لهم نكاية في العدو؛ فقد كان هو الفوز
الأخروي، ويعتبرون أنهم إنما يقدمون على إحدى الحسينين: النصر وهو
فوز أخروي وديني، أو الشهادة، وهي فوز أيضاً حتى دنيوياً.

وإذا كانوا يعدون الموت فوزاً كالنصر العسكري، وإذا كانوا يعتبرون
فرارهم خذلاناً، ووبالاً، ودماراً، وموتاً لهم، بل وشرّاً من الموت، حتى ولو أدى
إلى حفظ حياتهم، وكانت في المستوى الأعلى من الرفاهية والراحة الجسدية
والنعيم الدنيوي، لأنها سوف يعقبها الدمار في الآخرة والعذاب الأليم، إذا
كانوا كذلك فإن حياتهم هذه تكون مرفوضة عندهم، ولا يريدونها؛ بل هم

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٧٦، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٧٠ عنه.

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٢٤١ وهذا يؤيد أنه قتل وهو منهزم كما يصرح به
البعض.

(٣) نشوار المحاضرات ج ٣ ص ١٠٠.

يكرهونها ويهربون منها أكثر مما يكره المشركون الموت، ويهربون منه وهو ما أشار إليه ذلك الرجل في جوابه لطليحة بن خويلد كما قد قدمنا.

ولما سمع عمير بن الحمام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعد من يستشهد بالجنة، وببئ عمير تمرات يأكلهن، قال: بخ بخ، ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، أو قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي، إنها لحياة طويلة. ثم رمى التمرات من يده، وقاتل حتى قتل^(١).

ومن هنا، فقد كان طعم الموت لدى أصحاب الحسين «عليه السلام» أحلى من العسل، بل وحتى الأمهات كن إذا علمن بأن ولدهن في الجنة لم يجدن ألم المصاب، بل وربما فرحن لاستشهاد ابنائهن. فحين قتل حارثة بن سراقة بسهم غرب، قالت أمه: «يا رسول الله، أخبرني عن حارثة؛ فإن كان في الجنة صبرت، وإلا فليرين الله ما أصنع، يعني من النياح».

وفي رواية: وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء.

وفي رواية: لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكي ما عشت في الدنيا».

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» لما أخبرها: أن ولدها في الجنان رجعت وهي تضحك، وتقول: بخ بخ يا حارث^(٢).

(١) راجع: الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٠، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٧ عن مسلم وأحمد، وسنن البيهقي ج ٩ ص ٩٩، ومستدرک الحاكم مختصراً ج ٣ ص ٤٢٦، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٢٤ عن بعض من تقدم.

(٢) راجع: مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٢٠٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٤ عن الشيخين، وسنن البيهقي ج ٩ ص ١٦٧، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٥٢ - ٦٥٣ =

كما أن عمير بن أبي وقاص الذي استشهد يوم بدر، حينما أراد «صلى الله عليه وآله» أن يخلفه بكى^(١)، فأجازه، وأمثال ذلك كثير.

وتقول هند بنت عتبة لرملة بنت شيبه، وكانت من المهاجرات:

لحى الرحمن صابئة بوج ومكة، أو بأطراف الحجون
تدين لمعشر قتلوا أباهما أقتل أبيك جاءك باليقين^(٢)
وأمثال ذلك كثير، لا مجال لتتبعه واستقصائه.

ومن كل ما قدمناه يتجلى مدى حرص هؤلاء على الموت أو النصر، وحرص أولئك على الحياة والسلامة، فالمسلمون يرون الموت انتقالاً، والشهادة عطاء. وأولئك يرون الموت خسراناً، وفناءً، ودماراً.

وقد تحدث الله عن بني إسرائيل الذين يهتمون بالدنيا وليس للآخرة مكان في تفكيرهم، وحتى في عقائدهم، فقال: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ
الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَلَتَجِدَنَّهِنَّ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ
بِمُزَحَّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (٣).

= عنهم، وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٧٣ و ٢٧٥، وج ٧ ص ٧٦، وعن ابن سعد ج ٣ ص ٦٨.

(١) نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٦٣، والإصابة ج ٣ ص ٣٥ عن الحاكم والبغوي، وابن سعد، والواقدي.

(٢) نسب قريش لمصعب ص ١٥٦، والإصابة ج ٤ ص ٣٠٧.

(٣) الآيات ٩٤ - ٩٦ من سورة البقرة.

ولذلك احتاجت الحرب إلى: أن يريهم الله بادي الأمر المسلمين قليلاً؛ ليتشجعوا على خوض غمار الحرب، براحة فكر، ولرفع مستوى احتمالات السلامة والبقاء. ولا أقل من أن يصمدوا ولا يفروا، ليقوم علي «عليه السلام» بإذلال فراعنة الشرك، وقتل أبطالهم، وأسر رجالهم؛ وفقاً لما جاء عن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء: كلما حشوا ناراً للحرب أطفاها، ونجم قرن الضلال أو فغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يطاء صماخها بأخصه، ويخمد لهبها بحده، مكدوداً في ذات الله الخ..^(١).

ثم وبعد نشوب الحرب كان لا بد أن يروا المسلمين كثيراً؛ فأمد الله المسلمين بالملائكة، وكثرهم بهم، وأمرهم بالحرب وبضرب الأعناق، وألقى في قلوب المشركين الرعب. وقد أخبر الله عن هذه المرحلة الأخيرة التي سوف تأتي بعد نشوب الحرب بقوله: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} ^(٢).

وواضح: أن القضاء على الجبان الخائف مهما كان قوياً أيسر، وأسهل من القضاء على الضعيف المقدام، الذي لا يبالي، أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

ومن هنا فقد كانت المعركة لصالح هؤلاء دون أولئك، الذين لا

(١) بلاغات النساء ص ٢٥ ط النهضة الحديثة، وأعلام النساء ج ٤ ص ١١٧.

(٢) الآية ١٢ من سورة الأنفال.

يمكنهم إلا أن يتجنبوا مواجهة الأبطال، وملاقة الرجال.
فالمسلمون والمشركون أنفسهم كانوا على المشركين. وهذا ما يفسر قول
أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ما لقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه»^(١).
وكان لإمداد المسلمين بالملائكة ناحية أخرى لا بد من ملاحظتها، فإنه
حين يكون من الممكن أن لا تكون درجة المعرفة واليقين قد بلغت لدى بعض
المسلمين مستوياتها العالية، وحين يكون احتمال الانهيار لدى البعض، أو على
الأقل أن يضعفوا عن مواجهة هذه النازلة، موجوداً، فإن الله يلطف بالمسلمين،
ويمددهم بالملائكة، بشرى منه، وتثبيتاً، ويقلل المشركين في أعينهم في بادئ
الأمر، ليتشجعوا على حربهم. إلى غير ذلك من أسباب النصر التي تفضل
عليهم بها.

ومن هنا نعرف أيضاً: لماذا كان القتلى في جانب المشركين أضعاف
الشهداء في جانب المسلمين، وأسر من المشركين سبعون، ولم يؤسر من
المسلمين أحد. وهذه النتائج لا تختص ببدر، وإنما تشمل كل المعارك التي
كانت بين الإيمان والكفر - وما حديث كربلاء عن أذهاننا ببعيد.

د: حقد قريش على الأنصار:

١ - لقد اتضح من كلمات أبي جهل المتقدمة: أن قريشاً كانت تعتمد
إلحاق أكبر قدر ممكن من الخسائر في صفوف الأنصار، حتى لقد أمر أبو
جهل أصحابه بأن يجزروا أهل يثرب جزراً. ولكن موقفهم بالنسبة

(١) نهج البلاغة، الحكم رقم: ٣١٨.

.....
: للقرشيين كان مختلفاً، فقد طلب أبو جهل: أن يأخذوهم أخذاً، ليدخلوهم مكة، ويعرفوهم ضاللتهم.

ولعل موقفهم هذا من القرشيين يرجع إلى رغبتهم في الحفاظ على علاقاتهم فيما بينهم، لأن كل قرشي من المسلمين له أقارب وعشيرة في مكة، ولن يرتاح هؤلاء لقتل أبنائهم، حتى وإن كانوا يخالفونهم في العقيدة والرأي.

وهذا هو المنطق القبلي الذي كان يسيطر على عقليات المشركين، ويحكم تصرفاتهم ومواقفهم حتى في هذه الظروف الدقيقة والحرجة بالذات.

وهو يريد في نفس الوقت أن يلحق الأنصار درساً، لكي لا يعودوا بعد الآن لمناصرة أعداء قريش، ومناوئتها..

٢ - وحيث قد عرفنا: أن مراجل حقد قريش كانت في أشد الغليان على أهل يثرب، الذين آووا ونصروا، وقد عبر أبو جهل عن ذلك لسعد بن معاذ في فترة سابقة، وها هو يعود فيأمر بجزر أهل يثرب جزراً.

فإننا نلاحظ: أن هذا الحقد قد استمر عشرات السنين، وقد أكده وزاده حدة: معارضة الأنصار في الخلافة في قصة السقيفة، ثم كونهم إلى علي «عليه السلام» أميل منهم إلى غيره. وقد ناصروه في حروبه، التي تزعمت قريش الجانب الآخر منها^(١) حتى لقد قال معاوية في صفين لنعمان بن بشير، ومسلمة بن مخلد: «ولقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج، واضعي سيوفهم على عواتقهم، يدعون إلى النزال، حتى لقد جنبونا من أصحابي

(١) راجع: المصنف ج ٥ ص ٤٥٦ و ٤٥٨ وغير ذلك.

.....
الشجاع. وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قيل: قتله
الأنصار، أما والله، لألقينهم بحدي وحديدي^(١). إلى آخر الكلام.
ويقول النعمان بن بشير، في كلام له مع الأنصار: «ثم لم ينزل خطب قط
إلا هونتم عليه المصيبة»^(٢).

ثم كان موقف الأنصار تجاه شيخ بني أمية عثمان بن عفان، ومشاركتهم
بشكل فعال في الثورة ضده، فزاد ذلك في حقد قريش عليهم وتمائمها ضدهم،
حتى ليقول معاوية، وإن كان إظهار حزنه على عثمان إنما جاء لأهداف سياسية
لا تخفى:

لا تحسبوا أنني أنسى مصيبتهم وفي البلاد من الأنصار من أحد^(٣)
وقد عمق معاوية هذا الحقد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ثم جاء بعده
يزيد فانتقم منهم في واقعة الحرة شر انتقام^(٤)، بعد أن قتل أهل بيت نبيهم في
كربلاء.

وأخيراً، فقد روى أحمد حديث ابن عمر، الذي يقدم فيه أهل بدر من
المهاجرين على أهل بدر من الأنصار^(٥).

وقد تقدم جانب مما يتعلق بهذا الموضوع في فصل: سرايا وغزوات قبل
بدر، حين الكلام عن سر إرسال المهاجرين في السرايا في أول الأمر؛ فلا

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٤ و ٨٥، وراجع ص ٨٧ و ٤٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٨.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٤٤.

(٤) راجع: واقعة الحرة في تاريخ الأمم والملوك، والكامل في التاريخ، وغير ذلك.

(٥) مناقب الإمام أحمد ص ٢٣٥.

غنى لمن أراد استكمال هذا البحث عن مراجعة ذلك الموضوع.

٣- ومن الجهة الثانية، فإن قريشاً تريد أن تلقن الأنصار في حرب بدر درساً لن ينسوه، حتى لا يعودوا مثلها من المبالاة لأعدائها، ويكفي الأنصار ذنباً بالنسبة لقريش أنهم مكنوا للمسلمين: أن يبلغوا هذا القدر من القدرة والشوكة، حتى لقد طلب أبو جهل - الذي كان يثق أولاً بالنصر - : أن لا يفلت من أيدي أهل مكة أحد من اليشيين.

أضف إلى ذلك كله: أن أهل المدينة كانوا قحطانيين، أما أهل مكة فعدنانيون.

لماذا أهل البيت ^ أولاً؟!

ولعل كل ما قدمناه آنفاً وسواه هو السر في تقديمه «صلى الله عليه وآله» أهل بيته في الحرب؛ لتكون التضحيات منه، وفي نفسه، وأهل بيته أولاً. ولا ينسى التاريخ مواقف علي «عليه السلام»، ولا بطولات حمزة وجعفر وسواهما ممن أخلص لهذا الدين من خيرة الصحابة، فكان هؤلاء أعني علياً، وأهل بيته «عليه السلام» هم الدرع الواقى، وبهم حفظ الله الدين، وخفف بذلك من حقد قريش الذين كانوا في الغالب أعداء لهذا الدين وأهله على الأنصار، وذلك حفاظاً على مستقبل الأنصار، لأن أحقاد قريش عليهم وعلى الإسلام قد تركت في المستقبل أثرها المرير والبغيض.

هـ: بدر وأثرها على علي × وأهل بيته ^ :

ويلاحظ هنا: أن أكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على أيدي المهاجرين، ولا سيما أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعمه حمزة.

فقد قدمنا: أن علياً «عليه السلام» قد قتل نصف السبعين، وشارك في

النصف الآخر.

ومن هنا نجد قريشاً لم تستطع أن تحب علياً وأهل بيته، رغم أنها تتظاهر بالإسلام، وتحاول الحصول على الامتيازات عن طريقه، ورغم النصوص القرآنية والنبوية الأمرة بمحبتهم ومودتهم.

وقد أخرج الحاكم: أن العباس جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو مغضب، فقال «صلى الله عليه وآله»: ما شأنك؟

فقال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش؟

فقال: ما لك ولهم؟

قال: يلقي بعضهم بعضاً بوجوه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك.

قال: فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى استدر عرق بين عينيه، فلما أسفر عنه، قال: والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب امرء الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله إلخ^(١).

ولقد شكى أمير المؤمنين «عليه السلام» من قريش: أنهم قطعوا رحمه ومالأوا عليه عدوه^(٢) - كما سنشير إليه في واقعة أحد إن شاء الله تعالى - .

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٦٩، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عمّن تقدم.

(٢) وإذ كانت الضربات متوجهة إلى القائد المعصوم؛ فإنه يستطيع أن يتحمل، وأن يصمد، ويواجهها بالحكمة والروية وبها أوتيه من علم وعقل وصبر.

أما غيره فلربما يصعب عليه تحمل الصعاب، أو اتخاذ الموقف المناسب لتجاوزها؛ ولأجل هذا نجد النبي «صلى الله عليه وآله» كان يؤثر أن يكون علي «عليه السلام» هو المتعرض لقريش دون غيره.

وعن ابن عباس: قال عثمان لعلي:

«ما ذنبي إذا لم تحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً، كأن وجوههم سيوف (أو شنوف) الذهب»^(١).

هذا وقد ظل الأحلاف يتحينون الفرص للأخذ بثارات بدر وأحد، وغيرهما. وقد فشلوا في حرب الجمل وصفين، إلى أن سنحت لهم الفرصة - بزعمهم - في واقعة كربلاء المشهورة، ثم ما أعقبها من ظلم واضطهاد لأهل البيت وشيعتهم.

ونجد أن يزيد الطاغية لم يستطع أن يخفي دوافعه وكفره، وأنه يريد الثأر لأشياخه في بدر، فتمثل بأبيات ابن الزبير؛ وأضاف إليها إنكاره الوحي والنبوة فقال وهو ينكت ثانياً سيد شباب أهل الجنة بالقضيب:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٢)
وليراجع ما قاله قتادة لخالد القسري حول بدر^(٣). وقتادة من أكابر

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي رقم ٤٩٧/١، وشرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ٢٢.

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٩ و ٤٥٠، واللهوف ص ٧٥ و ٧٦.

(٣) البحار ج ١٩ ص ٢٩٨ و ٣٠٠، وروضة الكافي ص ١١١ - ١١٣.

محدثي البصرة، وهو مشهور ومعروف.

الشهداء من الأنصار:

ومع أن المهاجرين كانوا يمثلون خمس أو ربع الجيش الإسلامي في بدر، إلا أن الشهداء من المهاجرين كانوا بالنسبة إلى شهداء الأنصار بنسبة واحد إلى أقل من اثنين أو ثلاثة على اختلاف النقل، مع أن الأمر كان يجب أن يكون أكثر من ذلك بكثير إذا لوحظت الكمية العددية.

كلام للعلامة الطباطبائي & حول آية التخفيف:

وللعلامة الطباطبائي «رحمه الله» كلام هام يرتبط فيما نحن فيه، لا بأس بإيراد موجز عنه، وهو:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ، الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ، مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْحَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }^(١).

فعلل تعالى غلبة العشرين على المئتين بأن المئتين لا يفقهون، والعشرون يفقهون.

وذلك لأن المؤمنين إنما يقدمون عن إيمان بالله تعالى، وهذا الإيمان قوة

(١) الآيات ٦٥ - ٦٧ من سورة الأنفال.

لا تدانيها قوة؛ لأنه قائم على الفقه الصحيح، الموجب لتحليلهم بكل السجايا الفاضلة، كالشجاعة، والشهامة، والجرأة، والاستقامة، والوقار، والطمأنينة، والثقة به تعالى، واليقين بأنه مقدم على إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة، وبأن الموت ليس فناء كما يعتقد الكفار، وإنما هو السعادة، والانتقال إلى دار البقاء.

أما الكفار: فيعتمدون على تسويل الشيطان، وهوى النفس. ولا تثبت النفس على هواها إلى حد تقبل الموت إلا فيما ندر.

ففقه المؤمنين، ومعه العلم والإيمان، هو السر في انتصارهم في بدر، وجهل الكفار ومعه الكفر والهوى هو الموجب لانهمزاهم.

وأما بعد ذلك، وحيث زاد عدد المسلمين؛ فقد ضعفوا في القوة الروحية، بسبب قلة نسبة الفقه المشار إليه في الآية الأولى بقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} ^(١) وقلة الصبر المشار إليه في الآية الثانية بقوله تعالى: {وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} ^(٢).

وسبب هذا الضعف هو: أن كل جماعة أو فئة تسعى للوصول إلى هدف حيوي: دنيوياً كان أو دينياً.

فإنها في بادئ الأمر تشعر بالموانع، وتواجه المحن التي ترى أنها تتهدد وجودها وبنيتها، فتستيقظ هممها الدافعة للجهاد في سبيل هدفها المشروع عندها، ويهون عليها بذل أنفسها وأموالها في سبيله.

(١) الآية ١٣ من سورة الحشر.

(٢) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

.....
فإذا جاهدت وتقدمت نحو غاياتها، وصفا لها الجو بعض الصفاء،
وكثر جمعها، فإنها تبدأ بالاستفادة من نتائج تضحياتها، وتتعمق وترتاح
وتطمئن لجني ثمرات ما بذلته وقدمته.

وتبدأ قواها الروحية المحركة بالخمود.

وواضح: أنه مهما قلت أفراد تلك الجماعة، أو ذلك المجتمع، فإنهم ولا
شك يكونون متفاوتين في درجات إيمانهم بهدفهم، وفي مستوى تفكيرهم
ووعيمهم، وفي سجايهم بشكل عام.

وكلما كثر أفرادها كلما زاد فيهم ضعفاء الإيمان والمنافقون، والذين في
قلوبهم مرض، ويتدنى مستوى القوى الروحية في متوسط الأفراد عموماً.
وقد أثبتت التجربة أنه كلما قلت أفراد الجماعة، وقوي خصومها
ومنافسوها؛ وأحاطت بها المحن والفتن، فإنها تكون أكثر نشاطاً في العمل،
وأحد في الأثر.

وكلما كثر أفرادها، فإنها تصير أكثر خموداً، وأقل تيقظاً، وأسفه حليماً.
وغزوات النبي «صلى الله عليه وآله» خير شاهد على ما نقول. فليقارن
بين عدة وعدد، وظروف، وحالة المسلمين في غزوة بدر، وبين عدتهم
وعدددهم، وظروفهم في غيرها، وليقارن بين نتائجها، ونتائج غيرها، كأحد،
والخندق، وخيبر، وحنين، وهي أقساها، حتى لقد قال تعالى:

{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ
عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} {الآيات (١)}.

وهكذا يتضح مفاد الآيات التي نحن بصدددها، ولربما تشير إلى ذلك أيضاً الآية الثالثة المتقدمة، التي أشارت إلى أنهم رغبوا في الأسرى؛ لأنهم يريدون عرض الدنيا.

وإذا كانت الآيتان الأوليان متضمنتين لبيان طبع القوى الروحية في زمانين مختلفين، فلا مانع من نزول الآيتين دفعة واحدة، فإن وجود حكمين مختلفين في زمانين لا يوجب نزول الآية المتضمنة لأحدهما في زمان والمتضمنة للآخر في زمان آخر إذا كان ذلك الحكم حكماً طبعياً وليس حكماً تكليفاً.

ثم ذكر أيده الله: أن ظاهر التعليل في الآية الأولى بالفقه، وفي الثانية بالصبر مع كون المقاتل مؤمناً في الآيتين، يدل على أن الصبر يرجح الواحد في قوة الروح على مثليه، والفقه يرجحه على خمسة أمثاله، فإذا اجتمعا في واحد ترجح على عشرة أمثال نفسه^(١) والصبر لا يفارق الفقه، وإن جاز العكس^(٢).

(١) قد يقال: إن مقتضى كلامه: أنها لو اجتمعا رجح على سبعة أمثال نفسه. ونقول مقصوده رحمه الله أن الصبر يضاعف الخمسة التي نشأت عن الفقه. وهذا هو الأنسب والأوفق بظاهر الآيتين، لأن بالفقه يحصل الصبر وسائر السجايا. والصبر يرجحه على مثليه.

(٢) راجع: الميزان للعلامة الطباطبائي ج ٩ ص ١٢٢-١٢٥.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

١ - الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: قضايا وأحداث غير عسكرية ٥ - ٢٤

الباب الثاني: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة

الفصل الأول: التاريخ الهجري أولاً ٢٩ - ٧٤

الفصل الثاني: بناء مسجد المدينة ٧٥ - ٩٦

الفصل الثالث: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ٩٧ - ١٢٤

الفصل الرابع: أسس العلاقات في المجتمع الجديد ١٢٥ - ١٤٤

الباب الثالث: تشريعات وأحكام

الفصل الأول: الأذان ١٤٧ - ١٨٢

الفصل الثاني: تشريع بعض الأحكام ١٨٣ - ٢٠٤

الفصل الثالث: الجهاد في الإسلام ٢٠٥ - ٢٢٠

الفصل الرابع: سرايا وغزوات قبل بدر ٢٢١ - ٢٦٢

القسم الخامس: حتى أهد

الباب الأول: معركة بدر

الفصل الأول: في أجواء القتال ٢٦٧ - ٣٢٠

الفصل الثاني: نتائج الحرب ٣٢١ - ٣٥٤

الفهارس ٣٥٥ - ٣٦٧

٢ = الفهرس التفصلي

الفصل الثاني: قضايا وأحداث غير عسكرية

- ٧ عودة بعض المهاجرين من الحبشة:
- ٩ عائشة في بيت النبي ':
- ٩ مراسم الزفاف:
- ١٠ استدلال طريف:
- ١١ فاتحة عهد جديد:
- ١١ آية الصلح بين المؤمنين:
- ١٤ إسلام سلمان المحمدي:
- ١٦ بئر رومة في صدقات عثمان:
- ٢١ بئر أريس:
- ٢١ حقيقة القضية:
- ٢٢ تأبير النخل:

الباب الثاني: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة

- ٢٧ بداية:

الفصل الأول: التاريخ الهجري أولاً

- ٣١ التاريخ الهجري:
- ٣٢ من هو أول من أرخ بالهجرة النبوية؟

-
- الحكاية كما يرويها المؤرخون: ٣٣.....
- الرأي الأمثل: ٣٦.....
- من المشير بمحرم؟! : ٣٧.....
- الموافقون على هذا الرأي: ٤١.....
- كلام السهيلي: ٤٣.....
- ما نستند إليه: ٤٦.....
- عود على بدء: ٦٧.....
- والتاريخ المسيحي إذاً لماذا؟: ٦٩.....
- دعوة مخلص: ٧٢.....

الفصل الثاني: بناء مسجد المدينة

- بناء المسجد: ٧٧.....
- أ- أبو بكر والعشرة دنانير: ٧٨.....
- ب- أحجار الخلافة: ٧٩.....
- تحريف في مستدرك الحاكم: ٨٢.....
- ج: عثمان وعمار: ٨٢.....
- ألم يكن عثمان في الحبشة؟! : ٨٤.....
- سر انتصار النبي ' لعمار: ٨٧.....
- لماذا المسجد أولاً: ٨٨.....
- مشاركة النساء في بناء المسجد: ٩٢.....
- مشاركة النبي ' في بناء المسجد: ٩٣.....
- جماعة خاصة بالنساء: ٩٤.....

الفصل الثالث: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

- المؤاخاة: ٩٩
- المؤاخاة على التوارث موضع شك: ١٠٠
- عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم: ١٠١
- المؤاخاة بين كل ونظيره: ١٠٣
- مؤاخاة النبي ' لعللي × : ١٠٤
- تواتر حديث المؤاخاة: ١٠٥
- تكنية علي × بأبي تراب: ١٠٧
- مع المنكرين لمؤاخاة النبي ' لعللي × : ١٠٨
- مع قضية المؤاخاة: ١١١
- ألف: البديل الأنسب: ١١١
- ب: السمو بالعلاقات الإنسانية: ١١٢
- ج: دور المؤاخاة في بناء المجتمع الجديد: ١١٢
- الأول: الحق: ١١٤
- الثاني: المؤاساة: ١١٥
- خلة أبي بكر: ١١٥
- مؤاخاة سلمان مع من؟! : ١١٦
- إنكار حديث المؤاخاة، والإجابة عن ذلك: ١١٧

الفصل الرابع: أسس العلاقات في المجتمع الجديد

- أسس العلاقات: ١٢٧
- نص الوثيقة: ١٢٨

- وثيقة أم وثائق؟! : ١٣٣
- ملاحظات سريعة على الوثيقة: ١٣٦
- موادعة اليهود: ١٤٤

الباب الثالث: تشريعات وأحكام

الفصل الأول: الأذان

- تشريع الأذان: ١٤٩
- مناقشة روايات الأذان: ١٥٠
- الكلمة الأخيرة: ١٦٠
- حي على خير العمل في الأذان: ١٦١
- إشكالات غير واردة: ١٧٥
- حي على خير العمل موقف وشعار: ١٧٦
- سبب حذف هذه العبارة: ١٧٩
- كلمة حول هذا الرأي: ١٨٠

الفصل الثاني: تشريع بعض العبادات

- الزيادة في الصلاة: ١٨٥
- قول آخر في فرض الصلاة: ١٨٦
- فرض الزكاة: ١٨٧
- رواية تعارض ما سبق: ١٩٠
- فرض زكاة الفطرة: ١٩١
- فرض الصيام: ١٩١
- مناقشة وردتها: ١٩٢

-
- ١٩٣ صيام يوم عاشوراء:
- ١٩٤ كذب تلك الروايات:
- ١٩٨ في فضائل يوم عاشوراء أيضاً:
- ١٩٨ أيوم عزاء أم يوم عيد؟!:
- ٢٠٠ وضع الأحاديث:
- ٢٠٢ أساليب مقاومة عاشوراء:

الفصل الثالث: الجهاد في الإسلام

- ٢٠٧ الإسلام، والسيف!!
- ٢٠٨ ١ - الحرب في الإسلام وفي غيره:
- ٢١٠ إشارة:
- ٢١٠ ٢ - حيث لا بد من الحرب:
- ٢١٩ هل الإسلام قام بالسيف?!:

الفصل الرابع: سرايا وغزوات قبل بدر

- ٢٢٣ غزواته ' وسراياه:
- ٢٢٥ ما نتعرض له في هذا الكتاب:
- ٢٢٥ السرايا الأولى:
- ٢٢٩ ١ - تكنية علي بأبي تراب:
- ٢٣١ التزوير والافتراء:
- ٢٣٦ لماذا الوضع والاختلاق?!:
- ٢٣٧ قيمة هذه الكنية:
- ٢٣٩ ٢ - لماذا السرايا?!:

-
- الأول: الموادعات والتحالفات: ٢٣٩.....
- الثاني: مضايقة قريش: ٢٤٠.....
- ٣- وصايا هـ ' لبعوثه: ٢٤٢.....
- ٤- لماذا المهاجرون فقط؟!..... ٢٤٣
- أ- على الأنصار نصره ' في دارهم: ٢٤٤.....
- ب- مسألة الحرب والسلام: ٢٤٤.....
- ج- ظروف الأنصار الخاصة: ٢٤٥.....
- د- الحالة النفسية للمهاجرين: ٢٤٧.....
- هـ - العربي وقضية الدم: ٢٤٨.....
- و- قريش، والأنصار: ٢٥١.....
- ز- تزوير التاريخ: ٢٥٤.....
- ح: تأكيد النبي ' على بر الأنصار: ٢٥٨.....
- ط- لا غنى في الحرب عن الأنصار: ٢٦١.....

القسم الخامس: حتى أهد

الباب الأول: معركة بدر

الفصل الأول: في أجواء القتال

- محاولة قرشية فاشلة: ٢٦٩.....
- الإنتداب إلى بدر: ٢٧٠.....
- الذين يخشون الناس: ٢٧١.....
- رؤيا عاتكة: ٢٧٤.....
- قريش تتجهز: ٢٧٥.....

-
- ٢٧٥ موقف أمية بن خلف:
- ٢٧٦ مع قضية ابن خلف:
- ٢٧٨ رجوع طالب بن أبي طالب عن الحرب:
- ٢٧٩ هكذا قالوا.. ونحن نقول:
- ٢٨٠ المكرهون والراجعون:
- ٢٨١ موقف الرسول ' من المكرهين والراجعين:
- ٢٨١ نظرة في موقف النبي ' من هؤلاء:
- ٢٨٢ النبي ' يستشير في أمر الحرب:
- ٢٨٥ ١- إستشارة النبي ' أصحابه:
- ٢٨٧ ٢- حرب قريش هو الرأي:
- ٢٨٨ ٣- التربية النفسية:
- ٢٨٨ ٤- نظرة في الآراء حول الحرب:
- ٢٩٠ ٥- سر سروره ' بكلام سعد والمقداد:
- ٢٩١ ٦- أين رأي علي ×!؟
- ٢٩١ الحباب ذو الرأي:
- ٢٩٤ عدة وعدد المسلمين والمشركين:
- ٢٩٦ المشركون يدركون بغيهم وعدوانهم:
- ٢٩٧ مواقع الجيشين:
- ٢٩٨ معنويات المسلمين والعنايات الربانية:
- ٣٠٠ أهداف الحرب:
- ٣٠٠ في المواجهة:

-
- ٣٠٢ هذوء ما قبل العاصفة:
- ٣٠٣ ألف: سر رعب المشركين:
- ٣٠٤ ب: نظرة في عروض النبي ' على المشركين:
- ٣٠٥ ج: النبي ' لا يبدأ القتال:
- ٣٠٦ النبي ' في العريش:
- ٣٠٩ إشارة:
- ٣١٠ المبارزة:
- ٣١٢ بعد قتل الفرسان الثلاثة:
- ٣١٤ ألف: غضب النبي ' لأبي طالب:
- ٣١٤ ب: بدء النبي ' بأهل بيته ^:
- ٣١٦ ج: سخريه شيبه:
- ٣١٦ د: الحق الذي جعله الله للمسلمين:
- ٣١٧ المعركة في ضرامها:
- ٣١٨ الملائكة في بدر:
- ٣١٩ عائشة في حرب الجمل:
- ٣١٩ الخزي والهزيمة:

الفصل الثاني: نتائج الحرب

- ٣٢٣ نتائج الحرب:
- ٣٢٣ بطولات علي ×:
- ٣٢٧ رواية مكذوبة:
- ٣٢٩ ما هو الصحيح إذا؟!:

.....	إشارة:	٣٣٠
.....	قتلى المشركين في القليب:	٣٣٠
.....	مهجع سيد الشهداء:	٣٣٢
.....	ذو الشمالين:	٣٣٤
.....	ألف: إهتمام علي × برسول الله ' في بدر:	٣٣٤
.....	ب: الحرب مصيرية:	٣٣٦
.....	ج: الهزيمة، وعدم تكافؤ القوى، والإمداد بالملائكة:	٣٣٧
.....	د: حقد قريش على الأنصار:	٣٤٤
.....	لماذا أهل البيت ^ أولاً؟!:	٣٤٧
.....	هـ: بدر وأثرها على علي × وأهل بيته ^:	٣٤٧
.....	الشهداء من الأنصار:	٣٥٠
.....	كلام للعلامة الطباطبائي & حول آية التخفيف:	٣٥٠

الفهارس:

.....	١- الفهرس الإجمالي	٣٥٧
.....	٢- الفهرس التفصيلي	٣٥٩